

٢٤٤
٢١٢
١٣٥

عَصْرُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضَرِّ بِاللَّهِ

١٢٤٢ هـ / ١٢٤٦ م - ١٢٤٠ هـ / ١٢٤٢ م

رسالة تقدم بها

حسين حديس جاسم الجميلي

إلى

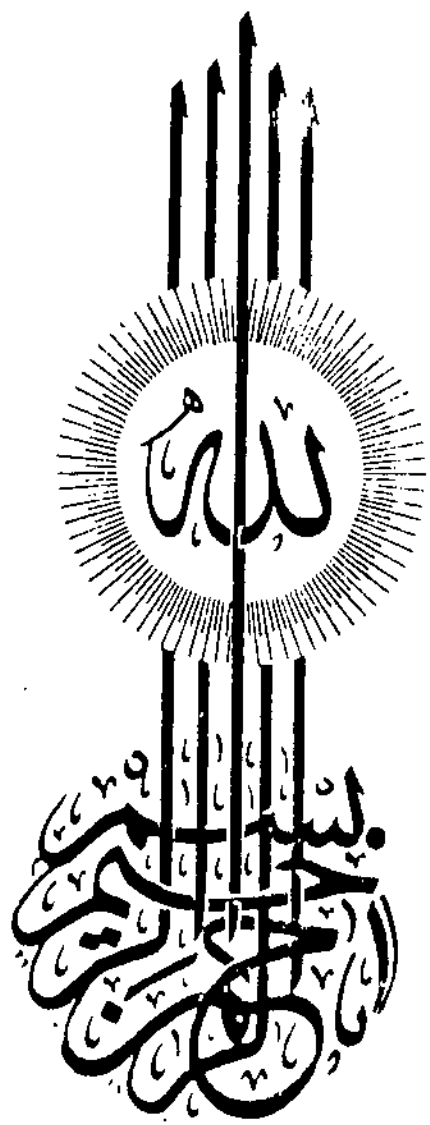
مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الدكتور عبد المنعم رشاد

أيلول ١٩٨٩ م

صفر ١٤١٠ هـ



وَمَارُوسْتُمْ مَرَدُّ لَعَمْرُ اللَّهِ فَبِئْسَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ

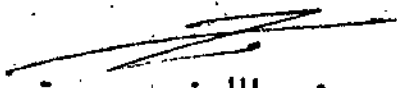
أشهد بأن أعداد هذه الأطروحة جرى تحت إشرافي
في جامعة الموصل وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي .

اسم المشرف : د . عبد المنعم رشاد

التوقيع:

التاريخ : ١١/٩ / ١٤٢٩

نشهد بأننا أعضاء لجنة التقييم والمناقشة ، اطلعنا على
هذه الأطروحة وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها
وفيما له علاقة بها بأنها جديدة بالقبول لنيل
درجة الماجستير آداب في التاريخ الأسلامي .


رئيس اللجنة

الدكتور

عبد المنعم رشاد محمد


عضو

الدكتور

حسام الدين النقشبندي


عضو

الدكتور

جزيل عبد الجبار الجومرد


التوقيع:

الاسم : الدكتور صلاح الدين امين

عميد كلية الآداب

الرموز المستعملة في الرسالة

جزء	ج
صفحة	ص
طبعة	ط
قسم	ق
عدد	ع
ميلاد سنة	م
هجري سنة	هـ
مجلد	مج
لا يوجد مكان التبع	لا م
لا يوجد تاريخ الطبع	لا م ت

ان وضع ثلاث نقاط داخل اى نص تعني رفع عبارة أو بضملة كلمات
لا ضرورة لها .

المقدمة ونطاق البحث :

المستنصر بالله هو الخليفة السادس والثلاثون ، وفترة حكمه تمتد من سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م - ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) وتقع ضمن الفترة التي أطلق عليها المؤرخون بفترة (انتعاش الخلافة) أو (الصحو الأخيرة) وقد بدأت بعصر الخليفة الناصر لدين الله من (٥٧٥هـ / ١١٧٩م - ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) وبخاصة بعد استقلال الخلافة وتحررها من نفوذ السلاجقة ، فكان عصره من خلال ذلك عصر خير ورخاء وفترة استقرار وهدوء نسبي عاشته الخلافة ، على الرغم من وجود الخطر الخارجي المتمثل بـ (المغول) ، وهو الخطر الذي رافقه طيلة فترة حكمه ، إلا أنه لم يشن من عزمه في انجازاته الكثيرة التي من أبرزها (المدرسة المستنصرية) وقد أصبحت شهرتها تفوق شهرة مؤسسها الخليفة المستنصر بالله وكتب بحقها الكثير من البحوث والدراسات فضلا عن الندوات العلمية والرسائل الجامعية التي تناولتها بشيء من التفصيل .

وقد يلاحظ أن معظم الباحثين اكدوا في دراساتهم هذا الانجاز الحضارى فقط ، ولم يظهروا شيئا من الاهتمام بدراسة الجوانب الأخرى لعصر هذا الخليفة ما جعل صورة الخلافة في هذه الفترة غير متكاملة فهي بذلك تحتاج الى المزيد من الدراسة والمتابعة لاستكمال النقص فيها ، حيث إن المعلومات المتوافرة عنها موزعة نتفا في بطون الكتب القديمة منها والحديثة . لهذا عازمت على دراسة (عصر الخليفة المستنصر بالله) دراسة علمية شاملة لتقديم جهد متواضع للقارى الكريم يتضمن حياة الخليفة وحالة عصره وانجازاته واهتماماته الأخرى منذ توليه الخلافة حتى وفاته ، وقد اشتمل هذا البحث على خمسة فصول :

تضمن الفصل الاول الذي يعد تمهيد لبقية فصول الرسالة اللاحقة

دراسة حياة الخليفة المستنصر بالله بما فيها : اسمه ولقبه ونسبه مع التعريف بأولاده وزوجته فضلا عن صفاته الأخرى مثل تدينه وعدله وكسره واهتماماته العلمية والثقافية ، حتى ينتهي بوفاته وملاساتها ، وكيفية تقليد ابنه احمد المدعو المستنصر بالله خليفة بعده . أما الفصل الثاني فقد تضمن دراسة الحالة السياسية لعصره وبحث علاقة الخلافة وطبيعتها الإيجابية أو العدائية بالاقطار الخارجية والدويلات التابعة لها ، حيث تعرضنا فيها الى علاقة الخلافة بالدويلات الواقعة غربها كالمغرب والاندلس ومكة والمدينة واليمن ، وكذلك حللنا فيها طبيعة العلاقة بالدويلات الواقعة شمالها كالايوبيين في مصر والشام وأمارة الموصل وسلاجقة الروم كما تناول الفصل دراسة العلاقة بالقوى الواقعة شرق الخلافة كالمغول وبداية احتكاكهم وهجماتهم على أرض الخلافة وموقف المستنصر وتصديده لهم . فضلا عن العلاقة بالدولة الخوارزمية وطبيعة علاقتها غير المستقرة بالخلافة حتى قضى عليها المغول سنة (٦٢٨ هـ / ١١٢٣ م) وكذلك دراسة علاقة الخلافة بالحركة الاسماعيلية (النزارية) وموقف الأخيرة من الخلافة في هذه الفترة حتى نهاية هــ هذه الحركة على يد هولاكو سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) . كما عالج الفصل الثالث دراسة الجانب الاقتصادي لدولة الخليفة المستنصر بالله الذي شمل البحث فيـه الزراعة وما يتعلق فيها ، كالري وعرض بالدراسة لنهرى دجلة والفرات وفروعهمـا . كما تناول نوعية ملكية الاراضي والاقطاع ، فضلا عن دراسة المحاصيل الزراعية السائدة في العراق في هذه الفترة . وشمل مبحث آخر الصناعة ايضا ، حيث تطرق الى بعض الصناعات المعروفة آنشذ كصناعة النسيج والصباغة والورق والذهب وبعض الصناعات الأخرى . كما تضمن مبحث آخر دراسة التجارة عالج فيه أهمية التجارة واسباب نشاطها ، وطرقها التجارية المسلوكة البحرية والبرية مع دراسة المراكز التجارية المشهورة التي لها نشاط تجارى ملحوظ ، ولا يغتني أن اذكر ما غابته من قلة مصادر

هذا الجانب ، فاعتمدت أسلوب القياس والاستنتاج والمقارنة للوصول الى
الهدف .

اما الفصل الرابع : فإنه تضمن دراسة الادارة في عصره وتناول الوظائف
الرئيسية والمهمة في الدولة (كالوزارة والقضاء وأبرز الدواوين والحسبة) ، وقد اكد
البحث معرفة الاشخاص الذين تولوا ادارة هذه المناصب في عصره ، ويقدر ما
وفرته لنا المصادر ، كما شمل دراسة الجيش واهتمام الخليفة به وتسلط الضوء
على دور بعض الامراء العسكريين في سياسة الدولة وتدخلهم في شؤونهن الخلافة .

وتناول الفصل الخامس دور الخليفة المستنصر وأثره على الحياة الثقافية
والفكرية في عصره ، ووقف المبحث الاول عند اهتمامات الخليفة الثقافية ورعايته
للعلم واهم العلوم التي كانت سائدة في عصره وكذلك تضمن دراسة (المدرسة
المستنصرية) بشيء من الايجاز وذلك لكثرة ما كتب عنها من البحوث مما أغنانا عن
الأعادة والتكرار فيها فأقتصرنا على ذكر اسباب بنائها ووصفها واهتمامات
المستنصر بها ورعايته لها ، اما المبحث الثاني في هذا الفصل فإنه حلل علاقة
الخليفة بالفقهاء وعلماء الدين ورعايته لهم وتدينه وانجازاته الدينية . اما المبحث
الثالث من هذا الفصل فإنه انفرد بدراسة حركة الفتوة وتسميتها وتطورها واهتمام
الخليفة المستنصر بالله فيها ومحاولته نشرها خارج حدود العراق لأنها خير
وسيلة لجمع شمل العالم الاسلامي ووحدته وقوته بوجه الخطر المغولي الذي
الذي بدأ يتنامى ويتعظم خطره في هذه الحقبة .

٣٨٤٥٩٨

وقد اعتمدت في كتابة رسالتي هذه على مجموعة من المصادر الأولية
المخطوطة والمنشورة وحاولت التركيز فيها على المصادر المعاصرة والقريبة لعصره ،
الا انها قليلة ونادرة في هذه الحقبة فألجأتني الحاجة أحيانا الى اعتماد النص في
اكثر من موضع من الرسالة ، كما استعنت ببعض المصادر البعيدة الاخرى والبياتي
افادني بمعلومات مفيدة ايضا ، فضلا عن اعتمادي على عدد كبير من المراجع التاريخية
والجغرافية والأدبية والمعاجم وعدد من الدوريات وبعض الكتب الاجنبية المترجمة

وعدد من بعض المقالات التي ضمتها دائرة المعارف الاسلامية . اما اهم هذه المصادر المعتمدة في الرسالة :

آ - المخطوطات :

والتي من اهمها :

- ١ - مخطوطه (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) لأبي الفضائل محمد بن علي المتوفي (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) وهي مخطوطة غير محققة مصورة وقد نشرها المستشرق بطرس غريازنيويج في (موسكو ١٩٦٣م) وقد أفادت الرسالة في بيان نسب الخليفة المستنصر بالله وتسلله في قائمة الخلفاء العباسيين .

- ٢ - مخطوطة (مختصر تاريخ الاسلام) للذهبي المتوفى (٧٤٨هـ / ١٢٤٧م) الموجودة في مكتبة الدراسات العليا في مكتبة كلية الاداب جامعة بغداد (مايكرو فلم ١٨٠٣) والتي تضمنت معلومات مهمة أغنت معظم فصول الرسالة .

ب - الكتب المطبوعة : وتشمل

- ١ - كتب التواريخ العامة : وفي مقدمتها (الكامل في التاريخ) لابن الاثير المتوفى (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) وقد أفاد البحث بمعلومات مهمة وبخاصة من الناحية السياسية ، الا ان وفاته المبكرة حالت دون الاستفادة منه لبقية فترة عصر الخليفة المستنصر بالله . وكذلك كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي المتوفى (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) الذي يعد مصدرا قريبا أفاد البحث في عدة جوانب . أما كتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) المنسوب لابن الفوطي المتوفى (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) فإنه يعد في مقدمة الكتب التي أغنت البحث في اغلب موضوعات الرسالة . وكذلك (ذيل مرآة الزمان) لليونيني

المتوفى (٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م) و (تاريخ مختصر الدول) لابن
العبري المتوفى (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) والمختصر في اخبار البشر
لأبي الفداء المتوفى (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) . كما افاد البحث من كتابي
الذهبي (دول الاسلام ، والعبر في خبر من غبر) وابن كثير المتوفى
(٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) في كتابه الموسوم (البداية والنهاية في التاريخ)
وابن تغري بردى المتوفى (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) في كتابه (النجوم
الزاهرة) وغير ذلك من المصادر المهمة التي أفنت البحث في جوانب
عديدة منه ، كما ان بعض المصادر جاء مكمل لمصادر أخرى قد سبقته مما
زاد من أهميتها انها أعطت تسلسلا تاريخيا . مثل (تاريخ ابن خلدون
المسمى بالعبر ودوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن
عاصره من ذوى السلطان الاكبر) لابن خلدون المتوفى (٨٠٨ هـ /
١٤٠٥ م) و (تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس) للديار بكري
المتوفى (٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) و (اخبار الدول واثار الاول في التاريخ)
للقرماني المتوفى (١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م) .

٢ - كتب تواريخ الدول : ومنها كتاب (مغزى الكروب في اخبار بني ايوب)
وخاصة الجزء الثالث والرابع والخامس وقد افاد الرسالة في علاقة الايوبيين
بالخلافة العباسية ، فضلا عن معلومات أخرى مهمة . وكذلك كتاب
(شفاء القلوب في مناقب بني ايوب) لمؤلفه احمد بن ابراهيم الخنبلي
المتوفى (٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) وقد افاد الرسالة ببعض المعلومات السني
تتعلق بالاسرة الايوبية .

٣ - كتب التراجم والطبقات : وتكمن اهميتها بما تحتويه من مادة غزيرة
في مختلف جوانب حياة الشخصيات الذين ترجمت لهم سواء كانت سياسية
ام اقتصادية ام ثقافية وادارية . لذا فانها أمدت البحث بمعلومات

كثيرة عن الشخصيات الواردة فيها . وهي كتب كثيرة منها :

- كتاب (وفيات الاعيان وانباء ابناؤ الزمان) لابن خلكان المتوفى (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وكتاب (مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس) لابن الكازروني المتوفى (٦٩٢هـ / ١٢٩٧م) وكتاب (خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك لمؤلفه عبيد الرحمن سنيط قنيتو الارلي المتوفى (٧١٢هـ / ١٣١٧م) وكتاب (تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقب) لابن الفوطي المتوفى (٧٢٣هـ / ١٣٢٣) وكتاب (فوات الوفيات والذيل عليها) لابن شاکر الكتبي المتوفى (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ومن كتب الطبقات التي افادت الرسالة كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) لمؤلفه السبكي المتوفى (٧٧١هـ / ١٣٦٩م) .

٤

٤ - الكتب الادارية : وهي الكتب التي افادت البحث بمعلومات عن

الموظائف الادارية وموظفيها ومن بين هذه الكتب (الاحكام السلطانية) و (أدب القاضي) للماوردي المتوفى (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) وكذلك كتاب (صبح الأعشى في صناعة الانشا) لمؤلفه القلقشندي المتوفى (٨٢١هـ / ١٤١٨م) وكتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) لابن بتمام .

٥

٥ - الكتب الجغرافية والرحلات : وهذه الكتب ايضا لها أهميتها الكبيرة

في تزويد البحث بمعلومات مفيدة عن الناحية الاقتصادية فضلا عن معلومات اخرى منهجية ودقيقة لأن بعض اصحابها شهدوا لما رأوه من الاقاليم في أثناء ترحالهم اليها ووصفهم لمدنها ومواقعها وزراعتها وصناعاتها وتجاريتها ، ويقع في مقدمة هذه الكتب (معجم البلدان) لياقوت الحموي المتوفى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ومراسد الاطلاع لابن عبد الحق المتوفى (٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) على الرغم من كونه مختصرا لكتاب معجم البلدان و (آثار البلاد واخبار العباد) للقزويني المتوفى (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) و (كتاب الجغرافيا) لابن سعيد المغربي المتوفى (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

و (رحلة ابن بطوطة) لابن بطوطة المتوفى (٧٢٩هـ / ١٣٢٧م)
 فضلا عن مصادر اضافية اخرى ومراجع حديثة أفادت الرسالة في جوانب
 عديدة * نرى . ليس من الضرورة ذكرها كلها هنا .

المحتويات

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
الشكر والتقدير	٥
رموز الرسالة	٦
المقدمة ونطاق البحث	٧-١١
الفصل الاول : حياة الخليفة المستنصر بالله	١٩-٣٣
اسمه	١٩
لقبه	٢٠
نسبه	٢٠-٢٢
مولده	٢٢
صفاته	٢٣
اولاده	٢٤
زوجته	٢٥
بيعتة ونقش خاتمه	٢٥-٢٦
تدينه	٢٦-٢٧
عدله	٢٧
كرمه وجهه لعمل الخير	٢٨-٣٠
جهه للعلم	٣٠
عهده وانجازاته	٣١
وفاته ودفنه	٣١-٣٣
الفصل الثاني : العلاقات السياسية للخلافة العباسية من ٦٢٣ هـ - ٦٤٠ هـ ٣٤ - ٧٠	
اولا : علاقة الخلافة بالمدويلات الواقعة غربها :-	٣٤-٤٢
آ - المغرب	٣٤-٣٥
ب - الاندلس	٣٦-٣٧
ج - مكة والمدينة	٣٧-٤٠
د - اليمن	٤٠-٤٢

- ثانيا : علاقة الخلافة بالدولة الواقعة شمالها : - ٤٢ - ٥٧
- آ - الابويون في بلاد الشام ومصر . ٤٢ - ٤٨
- ب - إمارة الموصل ٤٩ - ٥٥
- ج - سلاجقة الروم ٥٥ - ٥٧
- ثالثا : علاقة الخلافة بالقوى الواقعة شرقها : - ٥٧ - ٧٠
- آ - الدولة الخوارزمية ٥٧ - ٦١
- ب - الحركة الاسماعيلية (النزارية) ٦١ - ٦٣
- ج - المغول (التتار) ٦٤ - ٧٠
- ١ - اصل المغول ووطنهم ٦٤ - ٦٥
- ٢ - بداية الاحتكاك بينهم وبين الخلافة العباسية ٦٥ - ٦٦
- ٣ - الاحتكاك بالمغول زمن المستنصر بالله ٦٦ - ٦٨
- ٤ - موقف المستنصر بالله من الغزو المغولي ٦٨ - ٧٠
- آ - الموقف العسكري ٦٨ - ٦٩
- ب - الموقف الايجابي للمستنصر بالله ٦٩ - ٧٠
- الفصل الثالث : الحالة الاقتصادية ٧١ - ١١٥
- اولا : الزراعة ٧١ - ٨٧
- ١ - السرى ٧١ - ٧٢
- آ - نهر دجلة ٧١ - ٧٢
- أهم الانهار التي تتفرع من دجلة : ٧٣ - ٧٤
- ب - نهر الفرات ٧٤ - ٧٥
- الانهار التي تتفرع من الفرات وتصب في دجلة ٧٥ - ٧٦
- ج - اهتمام الدولة بالسرى ٧٦ - ٧٧
- ٢ - ملكية الاراضي والاقطاع ٧٧ - ٨٠
- آ - اقطاع الاستغلال ٧٨ - ٧٩
- ب - اقطاع التبليغ ٧٩ - ٨٠

٣- المحاصيل الزراعية

٨٧ - ٨٠

٩٨ - ٨٨

٩٠ - ٨٨

٩٢ - ٩١

٩٢

٩٣

٩٤

٩٥

٩٨ - ٩٥

١٠٥ - ٩٩

١٠٣ - ١٠٠

١٠١

١٠٣ - ١٠١

١١٠ - ١٠٣

١٠٦ - ١٠٣

١٠٧ - ١٠٦

١٠٨

١٠٩

١٠٩

١١٥ - ١١٠

١١٢ - ١١١

١١٣

١١٥ - ١١٣

١٣٨ - ١١٦

ثانيا : الصناعة :

١- صناعة النسيج والحياسة

٢- صناعة الصباغة

٣- صناعة الورق

٤- صناعة الصباغة (الذهب)

٥- صناعة الزجاج

٦- صناعة الصابون

٧- صناعات اخرى

ثالثا : التجارة :

١- الطرق التجارية :

آ- الطرق البحرية

ب- الطرق البرية

٢- المراكز التجارية

آ- بغداد

ب- البصرة

ج- واسط

د- الكوفة

هـ- تكريت

٣- وسائل التعامل التجاري :

آ- التعامل دون اللجوء الى استعمال النقود

ب- التعامل بالمقايضة (المبادلة)

ج- التعامل بالنقود

الفصل الرابع : الادارة

توطئة

١١٨ - ١١٧	الوزارة	أولاً :
١٢٢ - ١١٩	القضاء	ثانياً :
١٣٢ - ١٢٣	الدواوين	ثالثاً :
١٢٤ - ١٢٣	١- ديوان الانشاء	
١٢٥ - ١٢٤	٢- ديوان البريد	
١٢٦ - ١٢٥	٣- ديوان الزمام	
١٢٧ - ١٢٦	٤- ديوان الابنية والعقار	
١٢٨ - ١٢٧	٥- ديوان المعرض (الجند)	
١٣٠ - ١٢٩	٦- ديوان المخسزن	
١٣١	٧- ديوان التركات	
١٣٢ - ١٣١	٨- ديوان الجواليقي	
١٣٢	٩- ديوان الطبسق	
١٣٤ - ١٣٣	الحسبة	رابعاً :
١٣٤	المظالم	خامساً :
١٣٨ - ١٣٥	الجيش	سادساً :
١٣٧ - ١٣٦	١- اهتمامه بالجيش	
١٣٨ - ١٣٧	٢- دور الامراء العسكريين	

١٢٨	١٢٩ - ١٢٠	الفصل الخامس :	الخليفة المستنصر بالله واثره في الحياة الثقافية والفكرية
	١٥٣ - ١٣٩	اولا :	اهتماماته الثقافية :
	١٤٢ - ١٣٩	آ -	رعايته للعلم والعلماء
	١٥٣ - ١٤٣	ب -	الدرسة المستنصرية
	١٤٦ - ١٤٤	١ -	اسباب بنائها
	١٤٥ - ١٤٤	٢ - آ -	الباعث الديني
	١٤٥	ب -	الباعث العلمي
	١٤٦ - ١٤٥	ج -	الباعث السياسي
	١٤٦	د -	الباعث الذاتي
	١٤٧ - ١٤٦	٢ -	موقعها
	١٤٨ - ١٤٧	٣ -	وصف بنائها
	١٥١ - ١٤٨	٤ -	مرافقها
	١٥٣ - ١٥١	٥ -	ملحقاتها العلمية
	١٥١	آ -	دار الحديث
	١٥٢	ب -	دار القرآن
	١٥٣ - ١٥٢	ج -	المكتبة
	١٦٢ - ١٥٤	ثانيا :	علاقته بالفقهاء وعلماء الدين
	١٥٦ - ١٥٤	١ -	تدبيره
	١٥٨ - ١٥٦	٢ -	انجازاته الدينية
	١٦٢ - ١٥٨	٣ -	مظاهر علاقته بالفقهاء وعلماء الدين
	١٧٠ - ١٦٣	ثالثا :	اهتمامه بالفتوة
	١٦٥ - ١٦٣	١ -	معنى الفتوة
	١٦٧ - ١٦٥	٢ -	الفتوة في عهد الناصر لدين الله
	١٧٠ - ١٦٨	٣ -	الفتوة في عهده
	١٧٣ - ١٧١		الخاتمة
	١٩٥ - ١٧٤		قائمة المصادر والمراجع
	آ - خ		الملاحق
	آ - ث		ملخص الرسالة باللغة الانكليزية

الفصل الأول

حياة الخليفة المستنصر بالله

١	- اسمه
٢	- لقبه
٣	- نسبه
٤	- مولده
٥	- صفاته
٦	- اولاده
٧	- زوجته
٨	- بيعته ونقش خاتمه
٩	- دينه
١٠	- عدله
١١	- كرمه وحبه لعمل الخير
١٢	- حبه للعلم
١٣	- عهد وانجازاته
١٤	- وفاته ومدفنه

انتقلت أغلب المصادر المعاصرة للخليفة المستنصر بالله
والمستأخره عنه على أن اسمه أبو جعفر منصور بن محمد بن الأمام
الناصر لدين الله (١)

- (١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ مج ١٢ ، (دار صادر ودار بيروت ١٩٦٦م)
ص ٤٥٨ ما
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، مج ٨ ق ٢ ، (الدكن / ١٩٥٢م) ، ص ٦٤٣
ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، تحقيق مصطفى جواد ، (بغداد / ١٩٧٠م) ،
ص ٢٥٨
الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، (بغداد / لا . ت) ، ص ٢٨٥
ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق ، مصطفى
جواد ، ج ٤ ق ٣ ، (لا . م / ١٩٦٥) ، ص ٥٥١
اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، مج ١ ، ح ١ ، (الدكن / ١٩٥٤م) ، ص ٣
ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، (مصر / لا . ت) ، ص ١٧١
الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، مخطوطة على المايكروفلم محفوظة في مكتبة
الدراسات العليا بكلية الاداب / بغداد (برقم ١٨٠٣) ، ورقة
٣٠٢
٢٠ العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،
ج ٥ (الكويت ١٩٦٦م) ، ص ١٦٦
الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، مج ٤ ، (بيروت / ١٩٧٤م)
ص ١٦٩
السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبدالفتاح محمود الخلسو
ومحمود محمد الطناحي ، ج ٨ ، (لا . م / ١٩٧١م) ، ص ٢٦١
الفساني : المسجد المسبوك والجوهر المحكوك ، تحقيق شاكر محمود
عبدالمعزم ، ج ٢ ، (بغداد / ١٩٧٥م) ، ص ٤٢٠

لقبه :

ان من التقاليد المألوفة في البلاط العباسي أن يختار الخليفة العباسي الجديد لقباً يتلقب به في خلافته ويباع عليه فيعرض عليه الكتاب أو الوزراء قائمة من الألقاب ليختار منها لقباً يرتاح له ويلائم شخصيته^(١) ، فاختار هو امثالاً له هذه القاعدة لقب المستنصر بالله^(٢) .

نسبه :

ان نسب الخليفة المستنصر بالله هو امتداد لنسب ابيه وجده من الشجرة العباسية التي تنتهي الى العباس عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد ورد تسلسل نسبه في أغلب المصادر التاريخية ، فهو الخليفة السادس والثلاثون أبو جعفر منصور بن محمد الظاهر بن احمد الناصر بن الحسن المستضيء بن يوسف المستنجد بن محمد المقتفي بن احمد المستظهر بن عبد الله المقتدى بن الأمير محمد الذخيرة بن عبد الله القائم بن احمد القادر بن الأمير اسحق بن ابي الفضل

(١) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق ، مصطفى جواد (بغداد / ١٩٥٥م) ، ص ١٥٩ ، وينظر : القزاز ، محمد صالح : الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ، (النجف / ١٩٢١) ، ص ٩٠ .

(٢) مسبط بن الجوزي : مرآة ٨ في ٢ / ٦٤٣ وينظر : —

ابن واصل : مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، ج ٤ ، (لا م / ١٩٧٢م) ، ص ١١٦ .

ابن الفوطي : مجمع الآداب ، ٤ ق ٥٥١ / ٣ ، اليونيني ، ذيل المرأة ٣ / ١ .

جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد ابن الأمير طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد
المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي
بن عبد الله بن العباس^(١) . وبما ان نسبه يرجع الى الشجرة الهاشمية وجسده
عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقد انطلق بعض الشعراء مثل النشابي^(٢) في مدح
ال خليفة المستنصر بالله ونسبه الهاشمي وبالخ فيه الى حد بعيد فجعلـــــــــــــــــه
وارث النبوة من خلال هذا النسب الشريف وقال :

(١) الحموي ، أبو الفضائل : التاريخ المنصوري ، نسخة غير محققة مصورة
، نشرها ، المستشرق بطرس عزيزانيويج ، (موسكو / ١٩٦٣) ، ورقـــــــــــــــــه
٢٦-٢٢ .

وينظر : سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٦٤٣ / ٢ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخـــــــــــــــــه
ع ٢٥٨ .

الاريلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٥ ، ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٥٥١ / ٣
اليونيني : ذيل المرأة ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ،
الذهبي : ١ - مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٠٢
٢ - المعبر ٥ / ١٦٦ ،

الكتبي : فوات الوفيات ٤ / ١٦٩ ، المبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٢٦١ ،
الفساني : المسجد ٢ / ٤٢٠ ، القلقشندي : مآثر الانافة ، تحقيقـــــــــــــــــه
عبد الستار احمد الفراج ، ج ٢ ، (بيروت : ١٩٦٠) ، ص ٢٨ ،
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، (القاهرة / ١٩٦٣ م) ، ص ٣٤٥ ،
السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميدـــــــــــــــــه
(مصر / ١٩٥٢ م) ، ص ٤٦٠ .

(٢) هو سعد بن ابراهيم بن حسن الشيباني الاريلي المولود بأربل سنة ٥٨٢ هـ ،
وعمل النشاب بداية شبابه ، تنقل في الجزيرة الفراتية والشام ثم عاد الى
أربل وتولى كتابة الانشاء لدى مظفر الدين كوكبري ثم سافر الى بغداد
وخدم الخلافة العباسية وحصل على مكانه مرموقة فيها حتى احتلالها
من قبل المغول . وتوفي سنة ٦٥٢ هـ . (العبود : عبد الكريم توفيق :
الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ، بغداد
١٩٦٦ م ، ص ٧٦) .

(١) وراث النبوة طاهرا عن طاهر ارثا ينزه عن مقالة مفتري

وقال في تصيدة أخرى :

(٢) يا امام العصر والزمان امام الـ خلق طرا ووارث الانبياء

موسمده :

ذكرت أغلب المصادر التاريخية أن ولادة الخليفة المستنصر بالله كانت في صفر سنة ثمان وثمانين وخمسائة للهجرة^(٣) . ما عدا الكسبي^(٤) ، وأورزانسه ولد في الثالث عشر من صفر سنة ثمان وخمسين وخمسائة للهجرة وهذا خطأ واضح لا يمكن الأخذ به وذلك لاختلافه مع كل المصادر والمراجع العابقة عليه واللاحقة له . وكانت أمه أم ولد جارية روسية ذكر ابن الكازروني^(٥) أن اسمها « شيرين » والاريلي^(٦) « أخشو » والقرماني^(٧) « زهرة » .

(١) العبود : عبد الكريم : الشعر العربي في العراق ، ص ٢٦ .

(٢) نفسه ، ص ٨٠ .

(٣) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ٢٥٨ وينظر :

الاريلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٥ ، الذهبي : ١ - العبر ١٦٦/٥ - ١٦٧

٢ - مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٢٩٦ ، الغساني : المسجد ٢/٤٢٠ ،

السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٠ .

(٤) فوات الوفيات ١٦٩/٤ .

(٥) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٥٨ .

(٦) الاريلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٥ .

(٧) أخبار الدول وآثار الأول ، (بيروت / لا ت) ، ص ١٨٠ .

يمكن التعرف الى صفات الخليفة المستنصر بالله وشكله من خلال وصف المؤرخين وبخاصة المعاصرين له مثل ابن الساعي الذي شاهده وحضر بيعته ووصف شكله وقد نقله الينا ابن الكازروني^(١) وقال : " شاهده وهو أبيض اللون ، مشرب حمرة ، مستنير البشرة جميل المنظر ، بعيد ما بين المنكبين وسيع الصدر ، معتدل الخلق " . وقد اكدت مصادر أخرى هذه الصفات فضلا عن صفات أخرى لم يذكرها ابن الساعي منها أنه كان أشقر سمينا ومربوعا أنح الحاجبين^(٢) أدعج العينين^(٣) كما انه كان اشيب الرأس في هذه الفترة فاستخدم الحناء لتخضيب شعره ثم ترك ذلك^(٤) .

-
- (١) مختصر التاريخ ، ص ٢٥٩ ، الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٦
وينظر : الذهبي ، دول الاسلام ، تحقيق ، محمد فهم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، ج ٢ ، (مصر / ١٩٧٤) ، ص ١٢٩ .
- (٢) تعني دقة في الحاجبين وطولهما (ابن منظور : لسان العرب ، ج ٣ ، القاهرة / لا ت ، مادة ، زجج ، ص ١١١)
- (٣) الدعج للعينين هو شدة سواد العين مع سعتها (ابن منظور : نفسه ، ج ٣ ، مادة ، دعج ، ص ٩٦) .
- (٤) الذهبي : ١ - مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
٢ - العسير ١٦٧/٥ .

الغساني : المسجد ٤٢٠/٢ ، ابن تغري بردى : النجم ٣٤٥/٦ .
الدهار بكري : تاريخ الخبيس ، ج ٢ ، (بيروت / لا ت) ، ص ٣٢٠ .

أولاده :

ذكر ابن الكازروني^(١) ان للمستنصر ولدَين احدهما
أبو احمد عبدالله الذي تولى الخلافة فيها بعد ولقب بالمستنصر بالله والذي
قتل على يد المغول سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ، والاخر يكنى أبا القاسم عبيد
العزیز وقد توفي في خلافة أخيه المستنصر سنة اثنتين وخمسين وستائة
للهجرة ودفن بالرصافة ، كما أن له كريمتين احداهما (ست العرب) التي
توفيت أيام ابیها سنة ثلاث وعشرين وستائة للهجرة والاخرى (ست الشرف)
وقد توفيت في خلافة أخيه المستنصر بالله سنة خمس وخمسين وستائة للهجرة .
وقد اهتم المستنصر بالله بتأديب اولاده وتربيتهم تربية دينية واسلامية تليق^(٢)
بهم كأبناء خليفة المسلمين على يد الشيخ صدر الدين بن النيار^(٣) .

(١) مختصر التاريخ ، ص ٢٦٤ ، الأريلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٩ ،
الفحاني : الصجد ٦٢٢/٢ .

(٢) فقي سنة ٦٣٢ هـ ، ختم الامير أبو احمد عبدالله ولد الخليفة المستنصر
القرآن الكريم على يد موهبه العدل ابي المظفر علي بن النيار الذي
اكرمه الخليفة المستنصر بالله وانعم عليه احتراماً له وتثميناً لجهوده (ابن
الغوطي : ١ - الحوادث ، ص ٧١ - ٢ - تلخيص مجمع الاداب فقي
معجم الالقاب ، ج ٤ ق ١ ، دمشق ١٩٦٢ م) ، ص ٤٩٨ ، حاشية
رقم - ١ -) .

(٣) كان الشيخ صدر الدين ابو المظفر علي بن النيار مثالا للعالم المتدين في ورعه
واستقامته فاختره الخليفة المستنصر بالله لتربية اولاده وتأديبهم ، ومنهم
المستنصر بالله الذي تولى الخلافة بعد ابيه وكافاً موهبه ابن النيار وعرض
عليه تقليد الوزارة ، الا انه رفضها وفضل عليها طريقته الصوفية (الشبيبي ،
محمد رضا : موهج العراق بن الغوطي ، بغداد / ١٩٥٨ م ، ص ١٠٧ ،
حاشية رقم - ٢ -) .

زوجتيه :

لأسمعنا الصادر والمراجع بأكثر من الإشارة إلى أن المستنصر بالله
زوجتين واحدة هي هاجر ، كانت جارية من جواريه فأعجب بها وتزوجها
وأنجب منها ولدين : هما المستعصم بالله ، والامير عبدالعزيز . ويبدو أنها
كانت متدينة وقد حجت سنة (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) وفي خدمتها اقبال
الشرابي (١) ، وانفقت الشيء الكثير من الصدقات على الفقراء ، أما الثانية فقد
إشار لها ابن الفوطي (٣) إشارة عابرة دون ذكر اسمها .

بيعتيه ونقش خاتمه :

بيع الخليفة المستنصر بالله بيعته الخاصة يوم الجمعة الموافق ثالث عشر
من شهر رجب سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) من قبل اخوته وعمومته وباقي أسرته ،
ثم بايعه البيعة العامة ، أرباب الدولة والقضاة والفقهاء والمتصرفية
وبقية عامة الناس لمدة ثلاثة أيام ، حيث تولى شؤون هذه المهمات

(١) اقبال الشرابي : هو ملوك حبشي بدار الخلافة ، وكان شرابيا ، يقدم
الشراب للخليفة المستنصر بالله ، ثم التحق بالجيش
وارتقى إلى رتبة الامراء حتى أصبح قائد الجيش للمستنصر
ومن بعده للمستعصم حيث كان له دور في توليته الخلافة
(الكتبي ، محمد بن شاکر : عيون التواريخ ، تحقيق
فيصل السامر ونبيه عبد المنعم داود ، مج ٢٠ ، بغداد
١٩٨٠ / ص ٨٤ ، حاشية رقم ١٣ -) .

(٢) جواد ، مصطفى : سيدات البلاط العباسي ، (بيروت / لا ت) ، ص
١٨٩ .

(٣) الحوادث ، ص ١٥٦ .

أستاذ الدار^(١) أبو نصر المبارك بن الضحاك ، بحضور نائب الوزارة محمد بن محمد بن القمي^(٢) . أما نقش خاتمه فقد اختلفت المصادر فيه كذلك ، حيث ذكر ابن الكازروني^(٣) ، أن نقش خاتمه هو ((العفوبك أولى)) وقد اكدها الاريلي^(٤) أيضا ، أما القرمانلي^(٥) فقد قال انه كتب على خاتمه عبارة ((المستنصر بالله)) وهي تدل على لقبه ، ولكن من خلال المقارنة بين العبارتين يتضح لنا ان العبارة الاولى هي التي تمثل نقش خاتم الخليفة .

تدوينه :

سلك الخليفة المستنصر بالله سيرة والده الظاهر في الدين وفي اعتناقه مذهب أهل السنة والجماعة^(٦) فكان متواضعا حريصا على صلاته وقراءة

(١) استاذية الدار: لقب يطلق على الشخص الذي يتولى قبض وحبس مال السلطان أو الأمير (القلشندي: ص ٤٥٧/٥) .

(٢) محمد بن القمي: (توفي سنة ٦٠٠ هـ) من مشايخ الفقهاء المشهورين في عصره .

(٣) ابن الكازروني: مختصر التاريخ ، ص ٢٥٨ .

الاريلي: خلاصة الذهب ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

الذهبي: دول الاسلام ١٢٩/٢ ، الفصاني: المسجد ٤٢٠/٢ .

(٤) مختصر التاريخ ، ص ٢٥٩ .

(٥) خلاصة الذهب ، ص ٢٨٦ .

(٦) اخبار الدول ، ص ١٨٠ .

(٦) ابن واصل: مفتاح الكروب في اخبار بني ايوب ، ج ٥ ، تحقيق حسنين

محمد ربيع ، (مصر ١٩٧٧م) ، ص ٣١٥ .

(١) القرآن وقد تعلمه على يد المقرئ هبة الله بن الحسن البغدادي،
 وكان له اهتمام كبير في مجال الدين فبنى المساجد والربط^(٢) وله صدقات
 وانجازات دينية كثيرة سنقوم بتفصيلها لاحقاً .

عبد الله :

وصف الخليفة المستنصر كما ذكر سابقاً بأنه متديناً حذاً حذو والده
 الظاهر في العدل والأحسان والانصاف وقد حمل الناس على أقوم المسنين
 وذكر أنه أمر أن ينادى في بغداد بأشاعة العدل وانصاف المظلوم وقضاء
 حاجة كل من له حاجة أو مظلمة من الرعية بعد اطلاعه عليها^(٣)
 وكانت هذه الصفات الفاضلة ملازمة له قبل توليه الخلافة حتى كان جده الناصر
 يحبه ويقربه اليه ويمسكه «القاضي» لرجاحة عقله وسمو أخلاقه وحبه
 للحق والعدل^(٤) .

(١) المقرئ أبو القاسم المعروف بالاشقر : كان شيخاً فاضلاً حسن التلاوة
 وكان يدخل إلى الإمام المستنصر بالله فيقرئه القرآن (ابن رجب : الذيل
 على طبقات الحنابلة ، طبع و تصحيح ، محمد حامد اللقي ، ج ٢) القاهرة
 ١٩٥٢ م) ص ٢١١ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٠ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ٤٥٨/١٢ .

سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٢/٢٤٣ ، ٧٣٩ .

ابن العميد ، المكيين جرجيس : اخبار الايوبيين ، تحقيق ، كلود كاهن ، مج ١٥ ،
 (دمشق / ١٩٥٨ م) ، ص ١٥٤ . ابن واصل : الفرج ٣١٥/٥ .

أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٣٢ . الذهبي : دول
 الاسلام ١٤٦/٢ .

ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، (النجف / ١٩٦٩ م) ، ص ٢١٢ .
 الكتبي : فوات الوفيات ١٧٠/٤ .

(٤) ابن الفوطي : مجمع الآداب ٥٥١/٣ .

الذهبي : دول الاسلام ١٤٦/٢ . مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٣٦ .
 الكتبي : فوات الوفيات ١٧٠/٤ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦١ .

كريمة وجهه لعمل الخير :

من الشاغل الحميدة الأخرى في المستنصر بالله الكرم وجهه لعمل السبر والاحسان ومساعدة الفقراء والمحتاجين من رعيته وقضاء حوائجهم^(١) مما يسعدهم ويشبع مجته في نفوسهم . ومن طرائف كرمه ورقة قلبه أنه ركب يوما للصيد في رمضان ، وبعد أن وصل بين الحريبة^(٢) ودارالقرز^(٣) رأى شيخا معه انا، فيه طبع ويريد دخول الحريبة ، حيث توجد في كل محلة دارمضيف فقال للشيخ من انت ؟ فأجابه الشيخ من الحريبة ، قال الخليفة أعلم ان في محلتكم دارمضيف فلماذا تأخذ من الموضعين ؟ فبكى الشيخ وقال والله ما اخذت من المحلتين وانما انا رجل كنت موسرا وكان لي مال كثير فافتقرت ، وذهب مالي ، وأستحي من اهل محلتي أن آخذ من دارالمضيف ، فأذهب الى المحلة التي لا يعرفني فيها أحد فأخذ الطعام في القدر وأتي الى باب الحريبة حتى أذان المغرب فدخل الناس بيوتهم للصلاة ، فأدخل بيوتي ولا يراني منهم أحد ، فبكى الخليفة وقال لنفسه : ويحك يا منصور ما جوابك غدا اذا سألك ربك عن حالة هذا الفقير المحتاج ، فأعطاء ألف دينار وقال له : اذا تقذت تعال الينا مرة أخرى ، فأخذ الرجل المال ، وقد تملكه الفرج الشديد ، الا أنه لم يمض سوى عشرين يوما مات بعدها .

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٥٨/١٢ ، سبط ابن الجوزي مرآة ٨ ق ٦٤٣/٢ .

(٢) محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، بينها وبين بغداد نحو ميلين (٤) كم ، وفيها اسواق متنوعة ، ولها جامع عظيم فيه خطبة الجمعة (الحموي ، نياقوت : معجم البلدان ، مج ٢ ، بيروت ١٩٦٦م ، ص ٢٣٢) .

(٣) محلة كبيرة ببغداد ، خرب ما حولها فأصبح بينها وبين البلد نحو فرسخ ، (٦) كم ، وكانت تشتهر بصناعة الكافد (الورق) (الحموي : معجم البلدان ٤٢٢/٢) .

ولم ينقص من المال غير دينار واحد ، فأخبر الخليفة بذلك ، فقال : ادفعوا بقية المال لورثته ان اكان له ورثة ، او تصدقوا على الفقراء ، لأنه مال خراج لانفاقه في سبيل الله ولا يمكن اعادته اليها ثانية ^(١) . فكان المستنصر كرمها سخيا ليس للمال قيمة عنده وهو القائل ((انا لا اثاب على ما أفعله... لأن المال الذي انفقه في أبواب البر ماله عندي قدر ، بل مثل التراب ، والثواب انما يكون على قدر المشقة)) ^(٢) .

ويذكر أنه كان لجده الناصر بركة للمال في داره ، وكان همه ان يعيش حتى يملأها ، على خلاف حفيده المستنصر الذي كان عنده نفس البركة ، فكان يسأل نفسه كم يعيش حتى يفرغها ^(٣) بالصدقات على المحتاجين من الرعية ؟ فأى فرق بين الاثنين ؟ . ومن مآثر كرمه ايضا أن رجلا صالحا حضر عند ابن الجوزي وشكا حاجة له في قضاء دين عليه عجز عن الوفاء به ، فأراد ابن الجوزي ان يقضي دينه الا انه فكر في أمر الخليفة وحبه لعمل البر ، فأخبر الخليفة بأمره ، ففرح الخليفة بذلك وبعث الى الرجل مقدار دينه ومائتي دينار فضلا عن نفقته ، كما بعث

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) نفسه ٨ ق ٢ / ٢٤٠ .

(٣) نفسه ٨ ق ٢ / ٢٤٠ .

(٤) هو يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي ولد سنة ثمانين وخمسائة وثفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل وسمع من أبيه الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن ومن أبي القاسم يحيى بن اسعد وأبي الفرج عبد المنعم بن كليب ، وترسل من قبل الخلافة الى مصر والشام والروم والشرق والموصل والجزيرة وعدة جهات في ايام المستنصر والمستعصم . (اليونيني : ذيل المرأة ١ / ٣٣٢ - ٣٣٣) .

الى ابن الجوزى خمسمائة دينار لا يشاره له بهذه الصدقة ^(١) ، كما أنه أوقف
أموالا كثيرة ووزعها في مختلف أبواب البر والاحسان طلبا للمثوبة والغفران ^(٢) .

وكان ((جوادا يبارى الريح كرما وجودا)) ^(٣) فكانت سيرته أحسن
السير في السلوك والاحسان الى الرعية فأكسب بأعماله هذه حب الناس له ^(٤)

حبسه للعلم :

وفضلا عما اسلفنا القول في اهتمامات الخليفة المستنصر بالله المـ
الذكر فقد كان له اهتمام كبير آخر عرف به واشتهر عنه هو حبه للعلم وتشجيع
طلابه فيه وعنايته بالأدب وعلوم الدين منذ طفولته ، ولذلك كانت إقامته
زاهرة بمختلف العلوم ، فكثر الاشتغال بالخط والكتابة في عصره ، وكان
من نتائج هذا الميل العلمي انشاؤه خزانة كتب قسرية من مجلسه تحوى
مختلف انواع الكتب العلمية والادبية ، ولم يكتف بذلك حتى أمر بإنشاء المدرسة
المستنصرية سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) وجعل فيها ايضا خزانة كتب كبيرة تحوى
مختلف انواع المعرفة لتدريس كل العلم الدينية والدنيوية حتى صارت قبلة الدنيا
وقصد طلاب العلم من انحاء المعمورة كافة ^(٥) .

- (١) الكسبي : فوات الوفيات ١٢١/٤ .
- (٢) القلقشندي : مآثر ٨١/٢ .
- (٣) ابن الطقطقي : الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية (مصر /
لا ت) ، ص ٢٦٦ .
- (٤) افندي ، نظمي زاوه مرتضى : كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ،
(النجف / لا ت) ، ص ١٢٥ .
- (٥) ابن الكازروني : مختصر التاريخ : ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ،
الاريلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .
ولزيادة التفاصيل من هذا الاهتمام ينظر الفصل الخامس من رساله ، ص ١٣٩

عهد وانجازاته :

جاء الخليفة المستنصر بالله في فترة انتعاش الخلافة العباسية وقوتها ، فكان عصره امتدادا لعصر جده الناصر الذي تمثل بمصر القوة وهيبة الخلافة ، فكان الخليفة المستنصر المكمل لقيادة هذه الدولة ، ولكن ليس بنفس القوة ، وبخاصة من الناحية العسكرية ، الا انه نهض بأعباء الخلافة ونشر العدل والأصاف من الرعاية وقضى على الفتن وجمع الجيوش وقام بأمر الجهاد وحماية العراق من المغول ^(١) . الا أن اكسرا نجازاته تشكلت في الناحية الثقافية والعمرانية حيث أنشأ المدرسة المستنصرية ورعى المدارس الأخرى والمساجد والربط والمارستانات و الأسوار ^(٢) وشق الأنهار ^(٣) فكان عهده عهد خير ورخاء ^(٤) (ولو قيل انه لم يكن في خلفاء بني العباس مثله لصدق القائل) ^(٥) .

وفاته ودفنه :

توفي الخليفة المستنصر بالله يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة للهجرة ^(٦) وبلغ عمره اثنتان وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما . وينفرد ابن العميد ^(٧) باختلاف بسيط في تاريخ وفاته ، حيث ذكر

- (١) عن عمديه لهجات المغول ينظر الفصل الثاني * العلاقة مع المغول ، صفحة ٦٤ من الرسالة .
- (٢) الذهبي : ١ - مختصر تاريخ الإسلام ، ورقة ٣٣٢ .
٢ - دولة الإسلام ١٤٦/٢ .
- (٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١١١ .
- (٤) سوسه ، أحمد : رى سامرا في عهد الخلافة العباسية ، ج ١ ، (بغداد / ١٩٤٨م) ، ص ١٨١ .
- (٥) ابن الطقطقي : الفخرى ، ص ٢٦٧ .
- (٦) سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٧٣٩/٢ .
- ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٣ ، ابن واصل : المغرغ ١٣٥/٥
- الأربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٨ .
- الذهبي : ١ - دول الإسلام ١٤٥/٢ ٢ - المعبر ١٦٧/٥
- (٧) أخبار الأيوبيين ، مج ١٥٣/١٥ .

أنها كانت سنة تسع وثلاثين وستائة وهذا غير معقول اذا أخذنا بنظر الاعتبار اتفاق اغلب المؤرخين على الرأي الاول . أما مدفنه فكان في السدار المشنة^(١) على دجلة ثم نقل الى تربة الرصافة فدفن تحت قبة كان قد أعدها لنفسه مدفنا^(٢) .

ويبدو أن الخليفة المستنصر بالله مات موت الفجاءة مما أدى الى تضارب الروايات في وافته فذكر بعضها انه توفي نتيجة المرض اثر انتشار الوباء الذي أصاب بغداد سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م)^(٣) ومنها انه قتل بمبضع مسموم^(٤) ، مما يوحي بوجود تأمر عليه ، ويعزى ذلك الى سببين أحدهما قوة شخصية الخليفة المستنصر بالله وسيطرته على زمام الامور ، والاخر ربما أراد الخليفة في ايامه الاخيرة ترشيح أخيه الخفاجي لولاية العهد بعده ، ذلك الذي يتصف بالشهامة والشجاعة ، وكان من أول اهدافه القضاء على المفلول ومطاردتهم وراء نهر جيحون وتخليص البلاد من شرهم اذا تولى أمر الخلافة^(٥) . وهذا ما لم يرق لكل من الدوادار الصغير^(٦) واقبال الشرايبي أمير الجيش ، لأن وجوده خليفة قويا ومستقلا برأيه

-
- (١) دار مشهورة تقع في دار الخلافة العباسية الاخيرة (ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٣ حاشية رقم - ٤٦٥ -) .
- (٢) ابن الكازروني : نفسه ، ص ٢٦٣ ، الاريلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٨ . وللمزيد حول تفاصيل نقله الى المدفن ينظر : - ابن الفوطي : الحوادث ص ١٢١ - ١٢٣ .
- (٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ١٥٥ ، الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٥١ .
- (٤) ابن واصل : الفرج ٣١٥/٥ ، المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه ، محمد مصطفى زيادة ، ج ١ ق ٢ ، (القاهرة ١٩٥٢ م) ، ص ٣١١ .
- (٥) ابن واصل : الفرج ٣١٨/٥ ، اليونيني : ذيل المرأة ٢٥٥/١ ، الذهبي : دول الاسلام ١٤٦/٢ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٢/٨ .
- (٦) هو الامير مجاهد الدين ابيك المستنصر ، الملقب بالدوادار الصغير . اما الدوادار تعني لقب حامل دواة السلطان او الامير أو غيرهما ويقوم بتنفيذ الاوامر الصادرة له بحسب ما يقتضيه الحال . (ابن الفوطي : صبح ٤٦٢/٥) .

دونهما مسألة لاتخدم مصالحهما^(١) فأثرا وقيمة أرباب الدولة تقليد
 ابنه الأكبر ابي احمد عبدالله الذي تلقب بـ (المستعصم بالله) ، فكتبوا
 موت أبيه ورتبوا له مراسم البيعة وتقليد شؤون الخلافة^(٢) ، على الرغم من
 وصفه باللين وضعف الرأي^(٣) وعلى الرغم من معارضة أعمامه لــــه
 وامتناعهم عــــن مبايعته ، فأصبح
 خليفة ضعيف الرأي والتدبير ، والعوية بيد من اختاره خليفة فتدهورت الأحوال
 الاقتصادية في البلاد وكثرت الفيضانات فضلا عن سوء الأحوال الأمنية والفتن
 الطائفية في بغداد ، وشدة خطر المغول المترص بالبلاد .

(١) الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٠٥ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦١ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث ص ١٥٨ - ١٦٠ ، الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٨ ،
 الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ٣٠٢ - ٣٠٤ حول مراسيم بيعة المستعصم .

(٣) ابن الطقطقي : الفخرى ، ص ٢٦٨ ، ابوالفداء : المختصر ١٢١/٣ .

(٤) الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٩٠ .

((الفصل الثاني))

العلاقات السياسية للخلافة العباسية من ٦٢٣هـ - ٦٤٠هـ

أولا : علاقة الخلافة بالدويلات الواقعة غربها :

- أ - المغرب
- ب - الأندلس
- ج - مكة والمدينة
- د - اليمن

ثانيا : علاقة الخلافة بالدويلات الواقعة شمالها :

- أ - الأيوبيون في بلاد الشام ومصر
- ب - إمارة الموصل
- ج - سلاجقة الروم

ثالثا : علاقة الخلافة بالقوى - الواقعة شرقها :

- أ - الدولة الخوارزمية
- ب - الحركة اسماعيلية (النزارية)
- ج - المغول (التتار)

أولا : علاقة الخلافة بالدولات الواقعة غربها :
=====

آ - العلاقة بالمغرب :

من المعروف أن الخلافة الفاطمية كانت تناصب الخلافة العباسية العداء وتنافسها على خلافة المسلمين وتختلف مذهبيا معها ، وبسبب من ذلك قطعت الخطبة في أفريقيا ودول المغرب الأقصى للعباسيين حتى أعيدت مرة ثانية سنة (٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) على يد المعز بن باديس (١) الذي أمر أن يخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله الذي رد عليه بالخلع وقسلده أفريقية وكل ما يفتح في المستقبل (٢) . وهكذا ظلت الحال حتى زوال الخلافة الفاطمية نهائيا على يد البطل التاريخي صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٦٢ هـ / ١١٧١ م) باستيلائه على مصر وإعادة الخطبة للخليفة العباسي (٣) ، أما المرابطون الذين حكموا في المغرب الأقصى والاندلس في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة فإن علاقتهم بالخلافة العباسية كانت جيدة وتسمى زعيمهم يوسف بن تاشفين (أمير المسلمين) بدلا من (أمير المؤمنين) لإحترامه للخليفة العباسي المستظهر بالله آنذاك الذي أقـرره

(١) من ملوك الدولة الصنهاجية بأفريقية ولد بالمنصورة من (أعمال أفريقية) ولي بعد وفاة أبيه سنة (٤٠٦ هـ) وأقره الحاكم الفاطمي (صاحب مصر

والمغرب) ولقبه (شرف الدولة) وكان ولاءه وخطبته للفاطمين إلا أنه قطعهما سنة (٤٤٠ هـ) وجعلها للعباسيين (الزركلي ، خير الدين : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ج ٨ ، (لأم / لا ت) ، ص ١٨٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥٢١ / ٩ - ٥٢٢ ، أبو الفداء : المختصر ، ج ٢ ، (مصر / لا ت) ، ص ١٦٢ . ويشير ابن عذاري في البيان المغرب ، تحقيق ج . س . كولان وإل . ليفي بروفنسال ، ج ١ ، (بيروت / لا ت) ، ص ٢٨٨ بأن الخطبة أقيمت سنة (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) .
(٣) ارنولد ، توماس . الخلافة (بغداد / ١٩٥٦ م) ، ص ٥٣ .

على ماتحت يده من البلاد وما سيفتحه مستقبلاً (١).

الا ان الملاحظ ان هذه الحالة تغيرت بمجيء الموحدين الذين كانوا على نقيض المرابطين في علاقتهم بالخليفة العباسي وعدم الاعتراف به ، وتلقب زعمائهم بلقب (أمير المؤمنين) ابتداءً من عبد المؤمن بن علي (٥٢٤هـ / ١١٢٩ - ٥٥٨هـ / ١١٦٢ م) ومن جاءوا بعده ، وبقي الحال في المغرب تحت سيطرتهم ، حتى مجيء ابن هود الجذامي الذي سيطر على المغرب والأندلس وأخذ من بني عبد المؤمن وخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله سنة (٦٢٧هـ / ١٢٢٩ م) (٢) إضافة الى نقش اسم الخليفة المستنصر بالله والقاب على نقوده (٣) وبذلك عادت العلاقة بالخلافة العباسية طيبة من جديد . (٤)

- (١) ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تعليق : احسان عباس ، ج ٤ (بيروت / ١٩٦٧ م) ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ابن أبي صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامه على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، (بغداد / ١٩٧٩) ، ص ٢٦٠ حاشية رقم ٣ - ، القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ٥ ، (القاهرة / ١٩٦٣ م) ، ص ٤٨٦ .
- (٢) الناصري : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق ، جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج ٢ ، (الدار البيضاء / ١٩٥٤ م) ، ص ١٠٩ ، سليمان ، احمد السعيد : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، ج ١ (القاهرة / ١٩٦٩ م) ، ص ٥٣ - ٥٤ .
- (٣) ابن القوطي : الحوادث ، ص ١٥ - ١٦ ، الفساني : المعجد ٢ / ٤٤٢ وينظر : القزاز : في العصر العباسي الاخير ، ص ٢٩٣ ، فهد ، بدرى محمد : تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير (بغداد / ١٩٧٣) ، ص ١٢ - ١٤ .
- (٤) لزيادة التفاصيل عن القاب الخليفة المستنصر بالله التي نقشت على نقود دولة بني هود في المغرب والأندلس وباقي الدول المستقلة الاخرى المعاصرة للمستنصر التي تدعى بالولاء للخلافة العباسية ينظر : الحسيني ، محمد باقر (نقود الخليفة العباسي المستنصر بالله) ، مجلة المسكوكات ، العدد ٨ - ٩ ، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٢ - ١٩٧٨ ، ص ٨٨ - ١٢٠ .

ب - العلاقة مع الاندلس

ان الانقسامات التي نشبت بين امراء الموحدين أضعفتهم وفسحت المجال لبعض الثوار والمتمردين عليهم بالثورة والاستقلال في الاندلس، ومن هؤلاء الثوار محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي خرج على ادريس الموحدى في التاسع من رجب (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) (١) في الاندلس وملك مرسية وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة والمريسة والجزيرة الخضراء وجبل الفتح من أيدي الموحدين سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) وتلقب بالمتوكل على الله (٢)، وأظهر منذ البدايات ولاءه للخلافة العباسية واستظل بظلمها ، ودعا للخليفة المستنصر بالله العباسي (٣) وبعث رسولا الى بغداد سنة (٦٢٧هـ / ١٢٢٩م) يطلب المرسوم والخلع الخلافي (٤) وقد رحب به المستنصر بالله ورد عليه بالهدايا والمرسوم وقد وصلت الى ابن هود في عام (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) (٥) مع مبعوث الخليفة أبي علي حسن الكردى الملقب بـ (الكمال) (٦)، وهو يومئذ بغرناطة ، فقرأ مرسوم التولية (٧) على الناس بمصلى العيد ، فظهر ابن هود وهو يرتدى

-
- (١) ابو الفداء : المختصر ١٣٩/٣ ، ابن الأبار : الحلة المسماة ، تحقيق ، حسين مؤنس ، ج ٢ ، (القاهرة / ١٩٦٣م) ، ص ٣٠٨ كما أشار ابن الخطيب ، لسان الدين : في اللوحة البدرية في الدولة النصرية (بيروت / ١٩٨٠م) فسين صفحة ٣٢ أن خروجه على الموحدين كان في سنة (٦٢٦هـ) .
- (٢) ابن الخطيب : تاريخ اسبانيا أو اعمال الاعلام ، تحقيق ، ليفي بروفنسال ق ٢ (بيروت / ١٩٥٦م) ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
- (٣) الذهبي : دول الاسلام ١٤٦ / ٢ .
- (٤) ابن القوطي : الحوادث ، ص ١٥ - ١٦ .
- (٥) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٨٠ .
- (٦) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب المعبر ، ج ٤ ، (بيروت / ١٩٧٩م) ص ١٦٩ ، وينظر : عنان ، محمد ، عبد الله : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ق ٢ (القاهرة / ١٩٦٤م) ، ص ٤١٢ .
- (٧) ولزيادة التفاصيل عن كتاب المرسوم ينظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ص ٢٨٠ - ٢٨٥ .

السواد شعار العباسيين حاملا رايتهم السوداء بين يديه ، فحياء الناس واستبشروا به خيرا (١) .

ويبدو ان هذا التقليد زاد من مكانته بالاندلس ، حتى جعل المنصورين عليه يتراجعون عن رأيهم ويتحدون معه ومنهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بـ (ابن الاحمر) الذي ثار على ابن هود عام (٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م) واستقل في مدينة جيان ودعا لامير أفريقية ، الا انه عاد ودعا للخليفة المستنصر العباسي على نحو ما فعل ابن هود (٢) ، وقد ذكر الناصري (٣) العلاقة بين ابن هود والخليفة المستنصر بالله في البيتين الاتيين : -

وكان من اعقابه الامير	محمد بن يوسف الاخير
وكان باسلا شديد الباس	وباع المستنصر العباسي

هذا وقد خطب للخليفة العباسي في الاندلس زعيم آخر هو جميل زيان ابن مردنيش الذي سكن قصر (أبذه) في بلنسية واخذ البيعة لنفسه فـ في صفر (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ودعا للمستنصر في بغداد (٤) .

ج - العلاقة بين هاتان المدينتين :

لما تمتلكه هاتان المدينتان من قدسية وقيمة روحية لسدى المسلمين ظل اهتمام الخلفاء العباسيين بهما كثيرا ، فقد سعوا من خلال ذلك

-
- (١) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢٨٠ .
 (٢) ابن خلدون : تاريخ ١٢٠ / ٤ ، عنان : عصر المرابطين ، ص ٤١٥ .
 (٣) الناصري : الاستقصا ٢ / ٢٣٥ ، نقل الناصري ذلك عن ابن الخطيب في كتابه (رقم الحل) .
 (٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٧٧ ، نقلا عن فهد : تاريخ العراق ، ص ١٥ ، وينظر : عنان : عصر المرابطين ، ص ٤١٤ .

التي فرض السلطان الروحي والفعلاني أحياناً أو الاكتفاء بالسلطان الاسمي عليهما فقط ، وظهور الخليفة بمظهر حامي الحرمين الشريفين أمام المسلمين وأمام شعبه فبالنسبة الى مكة فقد ظلت العلاقة ودية والخطبة مستمرة حتى بعد زوال دولة الهواشم وخضوع مكة لبني قتادة (١) الذين استمر حكمهم فيها الى سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) فأصبحت بعد ذلك تحت ملك صاحب اليمن الملك المسعود الملقب (اطيسين) بن الملك الكامل صاحب مصر (٢) وهنا حصل تغيير في مسار العلاقة مع الخلافة العباسية حيث قام المسعود باستيلائه على مكة وقتل جماعة الاشراف وقدم رايته على راية الخليفة (٣) ((ومنع عسكر الخليفة أن يتقدم)) (٤) ، مما أغضب عمه هذا الخليفة الناصر لدين الله وشكسائه الى والده الكامل الذي غضب بدوره وكتب اليه ((برئت يا أقسر من ظهر العادل ان لم اقطع يمينك . فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك)) (٥) ، واستمرت العلاقة على هذا النحو المشين حتى وفاة المسعود سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، ومجيء حكم بني رسول أصبحت العلاقة بهم جيدة وبخاصة مع عمر بن علي الملقب بـ (المنصور) الذي أعاد الخطبة لبني العباس من جديد (٦) ،

(١) قتادة : نسبة الى قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الحكم بن موسى بن عيسى بن عبد الله ابي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن ابن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (القلقشندی : صبح ٢٧٢ / ٤) .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، ص ٥٥ ، (بيروت : لا . ت) ، ص ٧٥ - ٧٦ ، و ((أفسيز)) كلمة تركية معناها ماله اسم (الحنبلي : شفاء القلوب ، ٣٦٢ خاشية رقم ١٠٧ - ١٠٨) .

(٣) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ج ١ ق ١ (القاهرة : ١٩٥٦ م) ، ص ٢١٣ .

(٤) الحنبلي : أحمد بن ابراهيم : شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق : ناظم رشيد (بغداد : ١٩٧٨ م) ، ص ٣٦٣ .

(٥) القلقشندی : صبح ٢٧٢ / ٤ - ٢٧٣ .

(٦) راجع العلاقة مع اليمن في نفس الرسالة صفحة ٤٠ .

واستمرت هذه العلاقة الجيدة في زمن المستعصم بالله وكذلك بعد عـودة بني قتادة واستيلائهم على مكة واعتراؤ الخليفة بأمانة غانم بن راجح بن قتادة على مكة (١) .

أما العلاقة بالمدينة : فانها كانت ودية ايضا وذلك لاعتـراف الخليفة العباسي بأمر المدينة والخطبة له بالمقابل ، وان هذه العلاقة كانت قائمة قبل عهد المستنصر بالله حيث كان الخلفاء العباسيون كالمستضيء والناصر لدين الله يبعثون بكسوة الحجرة الشريفة من الأبريسم والصدقات في موسم الحج الى المدينة وقد اشار الى ذلك القلقشندى (٢) وذكر ان الناصر كان يتصدق في كل سنة عليها ، ويرسل أربعة آلاف دينار للصدقات وألفاً وخمسمائة ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء هناك ، وكذلك ارساله القناديل والشيوخ والشمع والند والعمود لتبخير المسجد الحرام .

وفضلا عن هذه الاعمال الخيرة التي لا تدل الا على حسن النوايا والعلاقات الجيدة فقد كانت هناك ظاهرة الزيارات التي توثق هذه العلاقة وتوطدها ففي سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) وصل منيف بن الأمير شيهه أمير المدينة في جماعة من العرب صحبه الحاج العراقي وخرج لاستقباله موكب الديوان الشريف ، وأسكن في الجانب الغربي من بغداد ثم شرفوه بلباس الفتوة عن الخليفة المستنصر بالله وخلع عليه وأكرم وعاد الى بلاده (٣) . ومن الأمراء الذين تولوا إمارة المدينة في هذه الفترة هو شيهه بن سالم بن قاسم (٤) الذي عاصر المستنصر بالله ثم المستعصم بالله الى أن قتل سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) فولي بعده ابنه عيسى (٥) . من خلال هذه المظاهر الايجابية تبين لنا طبيعة

(١) ابن الفوطي : الحوادث ص ٢٧٣-٢٧٤ وينظر : فهد : تاريخ العراق ص ١٨٠ .
 (٢) صبح ٣٠٣/٤ - ٣٠٤ .
 (٣) ابن الفوطي : الحوادث سنة ٦٣٧ هـ ص ١٢٦ .
 (٤) القلقشندى : مآثر ٨٦ / ٢ .
 (٥) القلقشندى : صبح ٣٠٠ / ٤ .

العلاقة الودية الطيبة بين الجانبين وقد استمرت كذلك حتى احتلال المغول
لبغداد .

د - العلاقة باليمن ::

ان العلاقة بين اليمن والخلافة العباسية في هذه . تبدأ
بمجيء عائلة آل رسول وزوال حكم الايوبيين الذين كان آخرهم الملك المسعود
المتوفى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) والذي لم تكن علاقته حسنة بالخلافة حتى وفاته (١) .
ثم تحسنت هذه العلاقة بعدئذ وبخاصة مع نور الدين عمر بن علي بن رسول
الذي استقل باليمن ولقب نفسه الملك المنصور نور الدين ، وضرب السكة باسمه
وخطب لنفسه دون ذكر الايوبيين (٢) كما انه اراد ان يجعل حكمه شرعياً
في اليمن فأرسل رسولا الى بغداد طالبا من الخليفة المستنصر تقليد حكم اليمن
الا ان الخليفة المستنصر ربما امتنع عن ذلك في بداية الامر حتى وفاة الملك
الكامل الايوبي ، حتوما لمشاعره وللعلاقة الطيبة بينهما (٣) ، عندئذ اعطاه
تقليده في الحكم وبقي حتى قتل سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وتوارث بعده ابناءؤه

(١) ابن العميد : اخبار ١٣٨/١ ، القلقشندي : صبح ٢٧٢/٤ - ٢٧٣ ، المقرئ
: السلوك ج ١ ق ١ / ٢٣٧ .

(٢) اليماني ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد : تاريخ اليمن المسمى بهجته
الزمن في تاريخ اليمن ، (دار العودة ، بيروت ، دار الكلمة ، صنعاء ١٩٦٥)
ص ٨٥ - ٨٦ .

الخرنيجي ، الشيخ علي بن الحسن : كتاب العقود اللولوية في تاريخ الدولة
الرسولية ، ج ١ ، (مصر ١٩١١م) ، ص ٥١ ، القلقشندي : صبح ٣٠/٥ -
٣١ - ٢ - مآثر ٨٦ / ٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، (مصر ١٩٥٢) ،
ص ٤٦٣ ، وينظر : حسن ، حسن ، ابراهيم : اليمن البلاد السعيدة ، (مصر
/ لا . ت) ، ص ١٠٥ ، محمود ، حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي
في العصر الاسلامي (بغداد ١٩٦٩م) ، ص ٢٥٦ ، الثور ، عبد الله
بن احمد : مختصر من تاريخ اليمن ، (القاهرة ١٩٧٩م) ، ص ٧٨ .

التكريتي ، محمود ياسين : الايوبيين في اليمن ، تاريخهم السياسي من ٥٦٩ -
٦٢٦هـ) اداب الرفاذين ، ع ١٢٥ (الموصل ١٩٨٠) ، ص ٤١ - ١٤٢ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٣ ، القزاة : في العصر العباسي الاخير ،
ص ٢٨٦ .

حكم اليمن ^(١)، ومن مظاهر هذه العلاقة الايجابية كثرة الزيارات والهدايا ففي سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) ارسل السلطان نور الدين هدية عظيمة الى الخليفة العباسي طالبا تجديد تشريفه على اليمن ، فعاد جواب الخليفة بالقبول ووعده بأنها ستصل اليه في عرفة مع الحاج ، وبالفعل أرسلت له التشرifte والتقليد الخلافي صحبة الحاج ، الا انها لم تصل اليه بسبب رجوع الحاج من منتصف الطريق بسبب الاغراب مما حال دون وصول الركب العراقي الى الحجاز فتأجل التجديد وأرسل له في السنة القادمة أي في سنة (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) مع كسوة الكعبة ، ولما وصل الركب العراقي مكّة وضعوا الكسوة في مكانها وتوجهوا الى اليمن حاملين تجديد شرعيته بالحكم ^(٢) . وفي السنة نفسها وصل رسول صاحب اليمن بغداد ومعه تحف وهدايا فاستقبل بها بالاجلال والتقدير والاحترام ^(٣) . وفي سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) بعث عمر بن رسول رسولا الى بغداد يحمل تحفا وهدايا واخبر هذا الرسول بوصول رجل هاشمي الى اليمن ادعى انه رسول من خلافة بغداد الى صاحب اليمن وكانت معه خلعة فقال له السلطان من عادة الديوان اذا شرف سلطانا بخلعة يبعث معه تقليدا بالبلاد ليكون حكمه شرعيا ، فأجاب بأن ذلك يحتاج الى طلب ، فكتب السلطان الطلب وسلمه الى الرسول الذي أخذه وادعى انه سيوصله الى الديوان الا انه اختفى ولم يعثر له بخبر ، مما أثار الدهشة والتعجب . فأكرموا الرسول وخلعوا عليه ثم اذنوا له بالعودة الى بلاده ^(٤) .

-
- (١) القلقشندي : مآثر ٨٦ / ٢ وينظر : ياسين ، محمود : (الايوبيين في اليمن) اداب الراغبين ، ع ١٢ جامعة الموصل / ١٩٨٠ ص ١٤١ - ١٤٢ .
 (٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ٥٤ / ١ - ٥٥ .
 (٣) الغساني : المسجد ٤٦٤ / ٢ .
 (٤) الحوادث ، ص ١٢٢ ، الغساني : المسجد ٤٨٩ / ٢ - ٤٩٠ .

ان كثرة هذه الزيارات وتبادل التحف والهدايا بين الطرفين —
 مما له مدلول ايجابي على حسن العلاقة طيلة عصر المستنصر بالله ومن بعده
 ابنه المستعصم حتى احتلال المغول بغداد .

ثانيا : علاقة الخلافة بالدويلات الواقعة شمالها :

آ - العلاقة بالايوبيين في بلاد الشام ومصر :

ان العلاقة بين الخلافة العباسية والاسر الحاكمة من البيت الايوبي
 في مصر وبلاد الشام في عهدي الناصر لدين الله ومن بعده الظاهر بأمر الله
 لم تكن حسنة وايجابية بالمستوى المطلوب وانما كانت علاقة يشوبها الجسود
 والبرود أحيانا ولم تصل الى مستوى التعاون العسكري في الظروف الصعبة من قبل
 الخلافة وبخاصة عندما تعرض الايوبيين للخطر الصليبي على دمياط سنة (٦١٦هـ /
 ١٢١٩م)^(١) ، وربما يعزى ذلك الى الهموم والمشكلات الداخلية للخليفة الناصر
 لدين الله وبخاصة في ايام حكمه الاخيرة ، ومن بعده الظاهر بأمر الله الذي لم
 تتجاوز فترة حكمه سنة ، حتى مجيء المستنصر بالله سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٩م) ويمكن
 ان ندرس هذه العلاقة في عهد المستنصر بالله مع الايوبيين من خلال مظاهرها
 التي نجملها بعدة نقاط وحسب السنوات وكما يأتي :-

١ - بعد وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله وخلافة المستنصر سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م)
 جاءت وفود الايوبيين تقدم التعزية بالظاهر والتهنئة بالمستنصر ، فبعث
 الكامل في تلك المناسبة رسالة حملها معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ
 (صدر الدين) بن حمويه نيابة عنه ، ولما وصل بغداد وصار بين يدي
 نائب الوزارة ابن القمي قدم نيابة عن الكامل عبارات الولاء الكبيرة^(٢) .

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ١ / ٢٠١ .

(٢) تقسيمه : ج ١ ق ١ / ٢٢٠ - ٢٢١ .

٢ - وفي سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) أرسل الخليفة المستنصر بالله فخر الدين أبو طالب أحمد بن محمد الداخاني البغدادي الى الكامل في مهمة (١) لا يعرف الغرض منها ولكنها دليل على تطور العلاقة نحو الافضل .

٣ - في سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) قام المستنصر بالله بالوساطة بين البيست الايوبي وجلال الدين خوارزم شاه ملك الدولة الخوارزمية عندما حاصر جلال الدين مدينة (خلاط) (٢) وتمكن من فتحها وكان فيها تقي الدين عباس بن الملك العادل وأخذ الأخير اسيرا وأرسله هدية الى الخليفة المستنصر بالله في بغداد الا ان الخليفة استقبله وخلع عليه وأكرمه وسلمه الى كمال الدين ابي الكرم الموصلبي رسول الاشرف (٣) ، ومنه لائى العلاقة الايجابية ايضا بعث الملك الكامل محمد بن العادل رسولا الى خليفة بغداد سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) في مهمة خاصة لم يذكر سببها (٤) .

٤ - في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) ضمن تبادل الوفود والزيارات بعث الملك الكامل أبا العباس أحمد بن القاضي الفاضل الى الخليفة في بغداد فأستقبل بأجلال واكبار واكرم ثم عاد الى بلاده (٥) .

٥ - ومن الدلائل الاخرى للعلاقة الطيبة احترام رأى الخليفة لدى الايوبيين ومنهم الملك الاشرف موسى صاحب دمشق الذي توجه الى سنجار سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) يريد اخذ أرمل فاستجد صاحبها مظفر الدين كوكبرى بالخليفة المستنصر بالله لمنع الاشرف من ذلك ، وبالفعل راسله الخليفة ونهاه فأمتثل للأمر وامتنع عن ضم أرمل (٦) .

(١) ابن القوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٣ / ٩٩ .

(٢) خلاط : مدينة تقع في ارمينيا الوسطى (الحموى : معجم البلدان ٢ / ٣٨٠ - ٣٨١) .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، (بيروت ١٩٥٨ م) ص ٢٤٦ .

(٤) الغساني : المسجد ٢ / ٤٤٢ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ مج ١٣ (بيروت والرياض ١٩٦٦ م) ص ١٢٩ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٢ / ٦٨٠ ، الغساني : المسجد ٢ / ٤٨٢ .

٦ - وفي سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أيضا توجه رسول الخليفة محيي الدين ابن الجوزي الى الملك الكامل ومعه كتاب التقليد بالسلطنة^(١) وهو من انشاء الوزير احمد بن الناقد ويخط العدل ناصر بن رشيد^(٢).

٧ - أما سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) فقد شهدت حل خلاقات البيت الايوبي والتي بدأت على اثر فشل الكامل في غزو بلاد الروم وعودته لمصر ومحاولته الانتقام من ابناء عمومته نتيجة تصوره بأنهم سبب انكساره وهزيمته ومنهم الملك الناصر داود بن عيسى الايوبي صاحب الكوك وقد اجبره الكامل على طلاق ابنته منه قسرا وتهديده بأخذ بلاده الكوك منه . ولم يجد الناصر ملجأ ازاء هذه المشكلة وحمايته من عمه الكامل غير الخليفة المستنصر العباسي لمكانته عند الكامل بأعتماده خليفة المسلمين^(٣) فكان تدبيره سليما من الناصر بهذا الاختيار الذي حل مشكلته مع عمه الكامل مما يدل في الوقت ذاته على علاقة الخلافة الطيبة بالبيت الايوبي .

٨ - وفي سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) وعند وصول الملك الناصر داود بغداد لاستجارته من عمه ، خلع عليه الخليفة المستنصر بالله وأكرمه^(٤) الا انه منعهم في بداية الامر من الاجتماع به مراعاة لمشاعر عمه الكامل وعلاقته الحسنة به ايضا ، وكان الخليفة قد قابل قبيل ذلك في سنة ٦٢٨ هـ صاحب اربل وأكرمه ، فرغب الناصر أن يعامل بالمعاملة

(١) المقرئ : السلوك ج ١ ق ٢٤٧ . اما نص التقليد فسنورده في ملحق رقم (١) .

(٢) الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٢٨١ .

(٣) ابن واصل المفرج ٨٧ / ٥ .

(٤) قدم له فرسا عربي بمركب كبير ذهبا وخلع على جميع خواصه واتباعه واعطي عدة رؤوس من الخيل فضلا عن هدايا اخرى ثم سمح له بالعودة الى بلاده ، بعد حل خلافاته مع عمه الكامل . (الغساني : المسجد

٢ / ٤٧٢ - ٤٧٣) .

ذاتها بأعتماره اكبر بيتا وأعرق نسبا من مظفر الدين كوكبرى^(١) ، مما
أثر في نفس الناصر وجعله يتألم كثيرا ، فنظم قصيدة عتابية رائعة
للخليفة المستنصر بالله على تفضيل شخص لا يساويه حسبا ونسبا قال فيها^(٢) :

ويأتيك غيرى من بلاد قريبة	له الامن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم الق مثله	ويحظى ولا احظى بما انا طالبه
فلو كان يعلوني بنفس ورتبه	وصدق ولا لست منه اصاقبه
لكنت أسلي النفس عما ترومه	وكنت اذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلي ، ولو قلت انني	ازيد عليه لم يحب ذاك عائبه
ومن عجبني أني لدى البحر واقف	وأشكو الظما والبحر جم عجائبه

. . .

فانت الامام العدل والمفرق الذي	به شرفت انسابه ومناصبه
وتسمح لي بالمال والجاه بغيتي	وما الجاه الا ما انت واهبه

وقد اعجب الخليفة بهذه القصيدة اعجابا كبيرا ، فرق له قلبه واستدعاه
الى مجلسه وقابله وزاد اعجابه بشخصيته وبلاغته وأمر ان يقام له احتفال
على شرفه في المدرسة المستنصرية يليق بمقامه^(٣) .

(١) ابن واصل المفرج ٥ / ١٠١ وينظر : ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٧٧
اليونيني : ذيل المرأة ١ / ١٣٢ ، ابو الفداء : المختصر

٣ / ١٥٧ - ١٥٨ .
(٢) اليونيني : ذيل المرأة ١ / ١٣٢ - ١٣٥ ، الصفيدي : الوافي
بالوفيات ، اعتناء ، يوسف فان ، اس ، ج ٩ ، (بيروت / ١٩٧٣ م) ، ص ٣٤ .
وينظر : رشيد ، ناظم : داود بن عيسى الايوبي حياته وادبه ، اطروحة
دكتوراه (غير منشورة) من كلية الاداب ، جامعة بغداد / ١٩٨١ م ، ص ٥٤ .
(٣) ابن واصل المفرج ٥ / ١٠٦ - ١٠٧ .

٩ - وفي سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) رجع الملك الناصر الى دياره ، والاعلام السود مرفوعة على رأسه ، ومعه في خدمته رسول من خواص الخليفة الى الملك الكامل ليشفع له ويصفح عنه ويبقيه على بلاده الكسرك (١) فاستقبل الكامل وفد الخليفة والملك الناصر ، استقبالا رائعا وقبل شفاعته الخليفة له بمطلبه وعاش بعد ذلك مطمئنا وآمنا بفضل الخليفة وانتسابه اليه (٢) .

ولما تمكن الملك الناصر داود من فتح القدس سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٩م) بعد حصار دام واحدا وعشرين يوما وأخرج الفرنجة منها ، بعث كتابا من انشائه الى الخليفة المستنصر بالله يهنئه فيه ويعلمه بالانتصار (٣) اقترن بهذه المناسبة وصول رسول الخليفة محيي الدين ابن الجوزي الذي هنأ بالنصر نيابة عن الخليفة المستنصر بالله ، وكان معه جمال الدين بن مطروح الذي مدح الملك الناصر داود والملك الناصر صلاح الدين الايوبي لاشتراكهما في الفعل واللقب (٤) ، وقال في ذلك قصيدة منها :

المسجد الاقصى له عادة	سادت فصارت مثلا سائرا
اذا غدا للكفر مستوطن	أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره اولا	وناصر طهره آخر (٥)

-
- (١) اليونيني : ذيل المرأة ١ / ١٣٧ .
 (٢) ابن واصل : السفيج ٥ / ١١٣ .
 (٣) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، نشر وتحقيق سامي الدهان ، (دمشق / ١٩٦٢) ص ٢٢٥ - ٢٣٣ .
 (٤) المقرئ : السلوك ، ج ١ ق ٤ / ٢٩١ .
 (٥) ابن مطروح ، صاحب جمال الدين : ديوان صاحب جمال الدين بن مطروح ، قسطنطينة / ١٢٩٨ ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

ولما مات الخليفة المستنصر بالله صدم لوفاته الملك الناصر ورثاه
بقصيدة رائعة عبر فيها عن احساسه وفضله عليه واكرامه له ايام محتشمه
مع عمه الكامل وجامل في الوقت نفسه فيها الخليفة الجديد المستعصم بالله
وقال (١) :

أيا رفعة الناعي عشت بمسمعي	فأججت نار الحزن ما بين أضلعي
ومن كنت أرجو انتي في زمانه	أبادر أيام الزمان المضيح
فاستدرك الماضي بفضل تضرع	واستقبل الاتي بصدع تروع
ولو كان خطب الموت يفيل فديته	ويدفعه سعي الكمي المدرع
فديتك بالنفس النفيسة طائعا	ودافعت بالجيش اللهم المنع
سأبكيه أيام الحياة وأن امت	بكته عظامي في قرارة مضجعي

١٠- وفي سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) كان ابن الجوزي وسيط الخليفة في الصراع
الايوبي بين الصالح المحاصر في دمشق وبين اخيه الكامل وتم الاتفاق
بتسليم دمشق للكامل على ان يعطي للملك الصالح بدلها بملبـك
والبقاع وبصرى والسواد (٢) ، وبذلك حل المشكلة بينهما نتيجة احترامهم
له لانه مثل الخلافة في بغداد . أما بصدد المساعدات والامدادات
العسكرية أثر هجمات المغول وأزدياد خطرهم نحو البلاد الاسلامية ودعوة
المستنصر بالله دويلات الاطراف لصددهم وتكوين جيش كبير لدرء خطرهم
نلاحظ استجابة الايوبيين لهذا الطلب وبخاصة الكامل الذي بعث مساعدات
تقدر بـ ٥٠٠ الف فارس تكون نفقتها من ماله الخاص وليس من الخليفة
المستنصر بالله (٣) .

(١) رشيد : داود بن عيسى الايوبي ، ص ١٣٧ - ١٣٩ .

(٢) ابن واصل : المغرغ ٥ / ١٥٢ ، أبو الفداء / المختصر : ٣ / ١٦٠ ، الحنبلي :
شفاء القلوب ص ٣١٨ .

(٣) ابن العميد : اخبار الايوبيين ١٥ / ١٤٣ ، وذكر الغساني في العسجد ج ٢
صفحة ٤٨٠ - ٤٨١ ان امدادات مصر بلغت الف فارس و امدادات دمشق
ستمائة فارس فقط ، كما ذكر المقرئ في كتاب السلوك ج ١ ق ١ صفحة ٥٥

١١ - ومن الدلائل الايجابية الاخرى ، ارسل الملك الاشرف موسى بن العادل الوزير فلك الدين بن هبة الله بن علي المسيري الى بغداد في مهمة للخليفة المستنصر بالله الذي بالغ في اكرامه واعطاه الف دينار^(١)

١٢ - وفضلا عما سبق فقد ذكر الايوبيون اسم الخليفة المستنصر بالله والقابله على نقودهم^(٢) وهنا يجوز لنا أن نستنتج من الأدلة المارة الذكر وقد تمثلت بكثرة الزيارات وتبادل الهدايا والوفود فضلا عن الاعدادات العسكرية في اثناء تعرض الخلافة سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٢م) لهجمات المغول ، وتدخل الخلافة المباشرة في حل خلافات البيت الايوبي أو بأرسال من ينوب عنها لحلها على ان العلاقة بين الخلافة في عهد المستنصر بالله وبين الايوبيين في مصر والشام على وجه العموم تهدر حصة وايجابية بل هي افضل مما كانت عليه سابقا .

= ٢٥٧ - ٢٥٨ ان اعدادات الكامل بلغت نحو ثلاثة الاف فارس وتحت قيسادة

الملك الناصر داود الذي سار بها نحو بغداد .

(١) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٣ / ٥٠٣ - ٥٠٤ .

(٢) ينظر ملحق رقم - ٢ -

ب - العلاقة بأمانة الموصل :

كانت أمانة الموصل إحدى الأتابكيات ^(١) التابعة للخلافة العباسية زمن الخليفة الناصر لدين الله ^(٢) وقد استمرت في ولائها كذلك زمن المستنصر بالله ، وخاصة في عهد بدر الدين لؤلؤ الذي طور هذه العلاقة بعد أن أصبح ملكاً مستقلاً بعد وفاة آخر ملك آتابكي سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ^(٣) وذلك نتيجة شجاعته ودهائه وتدبيره ^(٤) ، مما جعل الخليفة المستنصر بالله يعلن موافقته على توليته حكم أمانة الموصل سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) وأذن له أن يذكر اسمه

-
- (١) الآتابكة : كلمة مشتقة من آتابك وهو لفظ تركي مركب من مقطعين (آتا) ومعناه (أب) و (بك) ومعناه (أمير) فهي بذلك تعني (الوالد الأمير) وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربية أولاد السلاطين السلاجقة لحدائشة سنهم ، وأول من تلقب به الوزير (نظام الملك) وذلك منذ أن فوض إليه السلطان ملكشاه بن البارسلان تدبير المملكة سنة ٤٦٥هـ (الجبيلي ، رشيد : دولة الآتابكة في الموصل ، (بيروت / ١٩٧٠م) ، ص ٢٧ ، حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي فسي العصر العباسي ، ج ٤ ، (القاهرة / ١٩٦٧) ، ص ٦٠ - ٦١ ، الباشا ، حسن : الانقلاب الاسلامي (القاهرة / ١٩٥٧م) ، ص ١٢٢ - ١٢٣) .
- (٢) ابن الأثير : الكامل ١١ / ٤٦٠ .
- (٣) أبوشامة : الذيل على الروضتين ، نشر ، السيد عزت العطار الحسيني ، (بيروت / ١٩٧٤م) ، ص ١١٤ .
- وينظر : الرويشدي ، سوادى عبد محمّد : أمانة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ، (بغداد / ١٩٧١م) ، ص ٢٧ .
- (٤) الذهبي : دول الإسلام ٢ / ١٢٥ ، ابن كثير : البداية ١٣ / ٢١٤ .

(١) على منابر أمارته وينقش اسمه على سكتة ويلقب بـ (الملك السعود) .
أما عن العلاقة بالخلافة العباسية فمن الملاحظ من خلال الاحداث أن بدر الدين
لؤلؤ نجح في كسب ود الخلفاء العباسيين الناصر ومن بعده المستنصر الذي
أقره وبارك تقليده أمانة الموصل كما ذكر ، وبدأت بوادر هذه العلاقة تظهر منذ
وفاة الظاهر بأمر الله وتولية المستنصر حيث أرسل بدر الدين لؤلؤ ضياء الدين ابن
الجزري الى بغداد مهتماً للمستنصر ومعزياً بالظاهر (٢) واستفاد لؤلؤ من هذه العلاقة
بالوصول على نتائج ايجابية له ولبلاده ، ولتسلسل احداث هذه العلاقة الايجابية
بالخلافة حسب السنوات يمكن اجمالها في النقاط الآتية :

- ١ - في سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) بعث بدر الدين لؤلؤ تحفاً وهداياً نادرة
الى بغداد ثم التمس تزويج ابنته من الدويدار الصغير مجاهد الدين ابيك
المستنصري (٣) فاهتم الخليفة بهذا الأمر ووافقه على هذا الزواج وباركه ،
وحضر قاضي القضاة عبدالرحمن بن مقبل وناثبء عبدالرحمن بن عبدالسلام
بن اللغمانى وعبدالرحمن بن يحيى التكريتي وحضر مجاهد الدين الدويدار
مع جماعة من خدم الخليفة واصحاب اقبال الشرايبي والقي خطبة النكاح
أبو طالب الحسين بن المهتدي ثم قام القاضي ابن اللغمانى بأنجاز العقد
بين الطرفين على صداق قدره عشرون ألف دينار ومكتوب في ثوب اطلس ابيض
في احتفال كبير بهذه المناسبة (٤) .

-
- (١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٢ ، الفصاني ، المسجد ٤٥٧/٢ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق ، حسين محمد
ربيع ، ج ٤ ، (لا م ١٩٢٢) ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .
وينظر : ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٣٦ .
(٣) الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٣٩ ، الشيبني : مؤرخ العراق
٨٠/٢ .
(٤) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٧٢ ، الفصاني : المسجد ٤٦٥/٢ .
وينظر : معروف : حياة اقبال الشرايبي ، (بغداد / ١٩٦٦م) ، ص ٥١ .
الرويشدي : أمانة الموصل ، ص ٥٩ .

٢ - وفي نهاية ربيع الاول سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) قام ابن بدر الدين
لؤلؤ الأمير ركن الدين اسماعيل بزيارة بغداد وتعزير أوامر الصاهرة
فخرج للقاء جمع كبير من وجهاء بغداد واكابرها وخدم وحشم وموكب
الديوان الذي يدل على اهتمام الخليفة به وحسن العلاقة فدخل باب
النوبي (١) ، وادى المراسيم المطلوبة وخلع عليه نائب الوزارة ابن الناقد
قباء (٢) اطلس وقدم له فرسا بعدة كاملة ثم اسكن احدى السدور
المخصصة للامراء (٣) .

٣ - وفي السابع عشر من ربيع الآخر من السنة نفسها (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)
حضر بالبدرية (٤) ايضا ركن الدين اسماعيل الذي يمثل والده في هذه
الزيارات عند شرف الدين اقبال الشرايبي الذي اكرمه بتحف وهدايا
وكذلك زار نائب الوزارة ابن الناقد واكرمه ايضا واعطاء الأموال التي تكفيه مع
حاشيته الى الموصل . ولاهمية علاقة والده بالخلافة فانه عد من
الشخصيات الكبيرة والتميزة التي يحتل بها في الاماكن المهمة في بغداد
مثل المستنصرية حيث اقيمت له دعوة فيها ، وحضر القا محاضرات
المدرسين وجلس في ايوانها واطلع على أنظمتها وطاف في أروقتها (٥) .

(١) باب النوبي : باب كبير من ابواب دار الخلافة في بغداد الشرقية وقيل
له باب العتبة لان الملوك والامراء يقبلونها عند دخولهم دار الخلافة
(ابن المعمار : كتاب الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وآخر ، بغداد /
١٩٥٨ م) ، المقدمة ، ص ٥٩ .
(٢) لباس رجالي خارجي يشبه العباءة (دوزي : المعجم الفصل باسماء
الملابس عند العرب ، ترجمة اكرم فاضل ، بغداد / ١٩٧١ م) ، ص ٨٤ -
٨٥)

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٧٩ - ٨٠ ، الفسائي ، المسجد : ٤٧١ / ٢ .
(٤) البدرية : هي دار تقع في دار الخلافة وانها باب يسمى باب البدرية وترجع
تسميتها الى بدر ملوك الخليفة المعتضد بالله (جواد سوسة : دليل
خارطة بغداد ، ص ١٥٨) .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٨٠ ويبدو من خلال زيارته للمستنصرية
انه كانت عادة أو تقليدا رسميا لدى الخلافة ان يزور المستنصرية الضيوف
والشخصيات المهمة التي تزور بغداد للاطلاع على الانجازات الحضارية
للخليفة المستنصر او ربما كان الضيوف أنفسهم يرغبون في الاطلاع على
المنشآت التي بناها المستنصر في بغداد .

٤ - ولكي يوثق بدر الدين علاقته بالخليفة المستنصر ويعززها انتفى الى الفتوة التي تبناها المستنصر بالله وحافظ على نظامها بعد جده الناصر وانتسب الى رمي البندق^(١) فبعث بخادم ورجلين من رماة البندق ومعهم طائر كان قد صاده وعرضاه على شرف الدين اقبال الشرايبي فأمر بتعليقه بباب البدرية ونثر عليه الف دينار واعطى الخادم ثلاثة الاف دينار^(٢) .

٥ - وفي سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) ارسل الخليفة من يقوم باحضار ابنة بسدر الدين لولوه لتزوجها من مجاهد الدين أيك الدويدار الصغير وأستقبل ركب زفافها الشحنة^(٣) بدر الدين الظاهري ومعه ثلاثين خادماً وجماعة من المماليك^(٤) .

٦ - وفي ربيع الآخر من سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م) توفيت ابنة بدر الدين لولوه الثانية زوجة علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وكان قد مضى على زواجها عشر سنين . فاهتمت الدولة بتأبينها وتشيعها تشيعة مهيبا يدل على عظمة والدها ومكانته لدى الخلافة وأهمية استدامة العلاقة معه فدعي كافة الفقهاء ومشايخ الربط وكبار أرباب الدولة للصلاة عليها^(٥) .
إلا ان الملاحظ انه على الرغم من موقف الخلافة الودي والمؤيد لبدر الدين لولوه نتيجة للعلاقات الشخصية الحميمة بينهما وكثرة الزيارات

-
- (١) البندق : كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص كان يستخدمها الرماة من الفتيان في صيد الطيور بعد أن يلبسوا سراويل الفتوة التي أسسها الناصر لدين الله وسار عليها المستنصر من بعده (معسروف : حياة اقبال الشرايبي ، ص ٥٤) .
- (٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٦ .
- (٣) الشحنة : وظيفة عسكرية تعني الحاكم العسكري (ابن المعطار : كتاب الفتوة ، المقدمة ، ص ٤٢ ، ٥٩) .
- (٤) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٢ ، الفخاني : المعجد ٢ / ٤٧٥ .
- (٥) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٠١ .

وتبادل الهدايا والمصاهرة مع حاشية الخليفة ان موقف لؤلؤ لم يكن مخلصا تجاه الخلافة وانما كان موقفا أنانيا ينطلق من المصلحة الذاتية شأنه في ذلك شأن بقية الامراء والسلاطين الآخرين الذين لم يشغلهم سوى البقاء في مناصبهم ، والطمع في ممتلكات مجاورتهم ، لتوسيع رقعة بلادهم حتى وان اقتضى الأمر منهم التحالف مع أعداء المسلمين كالمغول والصليبيين ، فكان بدر الدين لؤلؤ واحدا منهم وتحالف مع المغول وادهم بكل ما يحتاجونه من المساعدات المادية والعسكرية عندما دخلوا سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) ، مما اضطر الخليفة الى محاربتهم (١) .

ولكن مع هذا الامر المشين والمخالف للاسلام فان الخليفة المستنصر لم يفض عليه ولم تتغير سياسته تجاهه وذلك لكونه اماما عاما للمسلمين ، ويجب عليه ان يتحمل كل الهفوات التي تحصل من الامراء الصغار من امثال بدر الدين لؤلؤ حفاظا على وحدة الخلافة تجاه الاعداء (٢) .

٧ -

لقد جنى بدر الدين لؤلؤ ثمار علاقته بالخلافة العباسية وحصل على سنجار في سنة (٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م) حيث اتفق مع الملك الجواد سليمان بن مودود (صاحب سنجار) على تسليمه سنجار صلحا مقابل مبلغ من المال يدفعه اليه ، الا ان الاخير ما طل في ذلك بعد ان اخذ المال وذهب الى الخليفة المستنصر في بغداد شاكيا له لؤلؤا ، فآكرمه الخليفة وخلع عليه وعلى اتباعه ، الا أنه لم يستجب لمطلبه مما اضطره ان يذهب الى طائفة التي لم يبق له سواها ثم باعها اخيرا للخليفة المستنصر وخمس كل شيء (٣) .

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٩٩ .

(٢) فهد : تاريخ العراق ، ص ٤٩ .

(٣) ابن واصل : المفرج ، ٢٥٣/٥ ، ٢٨١ - ٢٨٢ ، الفسائي : المسجد ، ٤٩٠/٢ - ٤٩١ .

٨ - وفي سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) بعث بدر الدين لؤلؤ رسولا ومعه طائر وجماعة من رماة البندق شهيدا لدى المستنصر بالله ان الأمير ابراهيم بن بدر الدين لؤلؤ رماه بالبندق وصرعه وانتسب الى الخليفة في ذلك فقبله منه وفرح به وأمر بتعليق الطائر بباب البدرية حسب التقاليد المرمية كما نثر عليه الفدينار واكرم الوفد وخلع عليهم (١) .

٩ - وفي سنة (٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) استنجد بدر الدين لؤلؤ بالخليفة المستنصر بالله عندما قصد الخوارزمية (٢) الموصل وانضم اليهم غازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين (٣) وغزما على أخذ الموصل وسنجار فكتب الى الخليفة يعلمه بالحال ويطلب نجدة لانهم وصلوا أعمال الموصل ونهبوها ، فأمر ديوان الخلافة الأمير أزيك بن يرتعش بالتوجه اليهم والتصدى لهم ، فذهب في الحال نحوهم وانهزموا راجعين ، لكنهم أعادوا الكرة من جديد بعودة الأمير ، فاستخدم المستنصر هذه المرة الأسلوب الديني والسياسي وبعث اليهم محيي الدين ابن الجوزي السدي أمرهم بالرجوع فامتثلوا لأمره ورجعوا خائبيين واندفع خطرهم وارتاح بدر الدين من شرهم (٤) .

ان العلاقة بين الخلافة العباسية وأمارة الموصل لم تنقطع بوفاة الخليفة المستنصر بل استمرت وظلت طيبة بسجي ابنه المستعصم بالله وقد ارسل بدر الدين لؤلؤ ابنه مثالا رسميا له الى بغداد في ثاني جمادى الآخرة من سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٣٢ م) معزيا بوفاة المستنصر ومهنئا بخلافة المستعصم ، فوصل بغداد مرتديا ثياب الحداد فاستقبله الامراء وعارض

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٤٣ .

(٢) الخوارزمية : هم بقايا الدولة الخوارزمية بعد سقوطها .

(٣) ميافارقين : أشهر مدينه بديار بكر (الحوى : معجم البلدان مبع ٥

(بيروت / ١٩٥٢ م) ، ص ٢٣٥ .

(٤) الفسائي : المسجد ، ٥٠١ / ٢ - ٥٠٢ .

الجيش خارج بغداد باحتفال مهيب ، فقبل عتبة باب النوبي ودخل
دار الوزارة وادى مراسيم العزاء والتهنئة ثم توجه الى دار خصصت
لأقامته في بغداد (١) .

وكذلك في الرابع عشر من ذات الشهر والسنة بعث بدر الدين لؤلؤ
رسولا آخر الى بغداد ومعه تعزية وتهنئة للمستعصم وهدية تتضمن
ثوبين أطلس وألف دينار (٢) .

ج - العلاقة بسلاجقة الروم :

ان سلاجقة الروم فرع من السلاجقة الذين ينتسبون الى جدهم الاعلى
سلجوق بن تغلق احد زعماء الاتراك الذين سكنوا بلاد ما وراء النهر قرب بخارى ،
وكانوا يتصفون بالخشونة وظل العيش وصعوبة المراس وعدم الانقياد لسلطة سلطان ،
واذا قصدهم عدو وليس لديهم قدرة على قتاله يختفون ويتخذون ويتحصنون بالرمال
والتلال حتى لا يصل اليهم عدوهم (٣) ، الا انهم مع ذلك أصبح لهم فيما بعد شأن
عظيم في التاريخ واسسوا امبراطورية كبيرة سيطرت على آسيا الصغرى وبلاد الشام
وايران فضلا عن الخلافة العباسية في بغداد .

هذا ولا يعني هنا ان نتطرق الى كل فروع السلاجقة في عصر الخليفة المستنصر ،
لأن دولهم انقرضت قبل عصره ، ما عدا سلاجقة الروم الذين عاصروه زمن حكم علاء الدين كيقباد
الاول (٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) - ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) وغيث الدين كيخسرو الثاني

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٦٥ .

(٢) نفسه ، ص ١٦٥ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ،

مج ٥ ، (بيروت / لا . ت) ، ص ٦٣ - ٦٤ .

وينظر : البنداري الاصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، (بيروت / ١٩٨٠ م)

ص ٢ - ١١ ، حسنين ، عبد النعيم محمد : سلاجقة ايران والعراق ،

(القاهرة / ١٩٥٩ م) ، ص ١٦ - ١٧ .

(٦٣٤هـ / ١٢٣٦م - ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) (١) . أما عن العلاقة بينهم وبين الخلافة زمن المستنصر بالله فأنها لم تكن علاقة واضحة للعيان فضلا عن عدم توافر المصادر حولها . إلا أننا من خلال تحليل مجريات الأحداث والظواهر بينهم وبين الخلافة في الزمن المعني نستطيع أن نحدد طبيعة هذه العلاقة بين الطرفين ومن هذه المظاهر وجود نوع من تبادل الهدايا بين الخلافة وحكام آل سلجوقي فقد ورد عن أبي الفتح علاء الدين كيقباد بن كيخسروا بن كيكادوس بن قلع أرسلان سلطان الروم السلجوقي (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) أنه تسلم من الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة وربما استمر في فتوته إلى زمن المستنصر بالله الذي اهتم أيضا بفتوة جده الناصر وسار عليهم (٢) .

ولكون المستنصر بالله إماما وخليفة المسلمين فقد كان كلامه مسموعا لدى زعماء الأطراف المسلمين الذين يدعون بالولاء للخلافة العباسية ، وبمثل ذلك قيامه سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) بالتدخل بين سلطان الروم صاحب آمد (٣) الذي حوصرت مدينته من قبل الأول فأوديت ، وذلك ، بأرساله مجي الدين ابن الجوزي مع رسالة له إلى سلطان الروم للكف ، ففعل الأخير ذلك بعد أن قبل الرسالة وقراها وانسحب (٤) . مما يدل على احترامه وولائه للخلافة العباسية .

(١) حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ٨٩ / ٤ - ٩٠ .

(٢) ابن الفوطي : مجمع الآداب ٤ ق ٢ / ١١٤٨ - ١١٤٩ .

(٣) آمد : مدينة كبيرة ومشهورة في ديار بكر (الحموي : معجم البلدان ، مج ١) (بيروت / ١٩٥٥م) ص ٥٦ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث ص ٩١ .

وهناك إشارة أخرى لليونيني^(١) من خلال ذكره لمحيي الدين ابن الجوزي بأنه أرسل من قبل الخلافة إلى الروم مرات عديدة لحل الخلافات بينهم وبين الإيوبيين في صرما يوحى أيضاً بطيب العلاقة بينهما . ويمكننا هنا أن نستنتج دليلاً آخر فضلاً عما ذكر على حسن العلاقة والولاء للخلافة من قبل سلاجقة الروم وذلك من خلال ذكر اسم الخليفة المستنصر بالله وألقابه على نقودهم^(٢) ومن بعده المستعصم بالله كذلك حتى بعد تغيير الظروف واحتلال المغول لبغداد ، حيث ظل اسمه يضرب على النقود الفضية لأحد سلاطين سلاجقة الروم (في إسحيا الصغرى) ركن الدين اسماعيل قلج أرسلان الرابع (١٢٥٥هـ/١٢٥٧م - ١٢٦٣هـ/١٢٦٤م) دون انقطاع على الرغم من أن المستعصم بالله مات منذ سنة (١٢٥٦هـ/١٢٥٨م) وذلك من أجل الاحتفاظ بشرعية حقهم في الحكم^(٣) .

ثالثاً : علاقة الخلافة بالقوى الواقعة شرقها :

أ - العلاقة بالدولة الخوارزمية :

إن العلاقة بين الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية بدأت تتحسن وتميل إلى الوفاق والتفاهم في عهد الخليفة الظاهر بأمر الله (١٢٢٢هـ/١٢٢٥م - ١٢٢٣هـ/١٢٢٦م) مع جلال الدين منكبرتي (١٢١٧هـ/١٢٢٠م - ١٢٢٨هـ/١٢٣٠م) وقد تهادلا الوفود والخلع والهدايا وحاولا حل الخلافات وتجاوز المشكلات بينهما^(٤) لصالح كلا الطرفين . إلا أن ذلك لم يدم طويلاً حيث توفي الظاهر بأمر الله وطادت العلاقة من جديد إلى سابق جذورها العدائية زمن الخليفة المستنصر

(١) ذهب إلى المرأة ١/٣٣٣ .

(٢) ينظر : ملحق رقم - ٢ - .

(٣) الحميني ، محمد باقر : تطور النقود العربية الإسلامية ، (بغداد /

١٩٦٩م) ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٤) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، (القاهرة/١٩٥٣م)

بالسنة سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) الذي لم يكن واثقاً من جلال الدين ونواياه
ازاء الخلافة ، ولذلك حاول أن يستخدم كل الوسائل التي من شأنها اضعافه
والحد من قوته ، ومن هذه الوسائل : مساعدة أخيه غياث الدين الذي كان
في حالة خلاف مع أخيه جلال ، فأكرم رسوله وأعطاه ثلاثين ألف دينار مع وعود بمساعدته^(١)
وهكذا ظلت حالة العداء مستمرة بين جلال الدين والخلافة حتى سنة
(٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) عند حصار جلال الدين لمدينة (خلاط) ، حيث تدخل المستنصر
بالله وأرسل له وفداً بهذا الخصوص ليعرض له الصلح مع الأيوبيين ويرفع الحصار عن
(خلاط)^(٢) ، كما أن هذا الصلح كان مشروطاً بشروطين :-

الاول : ان لا يتعرض جلال الدين لبعض الامراء المسلمين الذين هم من
أتباع الخليفة مثل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومظفر الدين كوكيرى صاحب أربل
وعباد الدين بهلولان بن هزاراً سب ملك الجبال^(٣)

الثاني : ان تعاد الخطبة الى الخليفة المستنصر بعد قطعها بسبب
الخلاعات ، وقد وافق جلال الدين على شروط الخليفة واعادة الخطبة على سائر منابر
الدولة الخوارزمية ما عدا شرط (خلاط) التي علل بقرب فتحها ، وأرسل من قبله
بدر الدين طوطق بن ايتانج خان رسولا الى دار الخلافة في بغداد فوصل واستقبل
وخلع عليه واكرم^(٤) كما عاد وفد آخر يحمل خلعاً السلطنة من الخلافة الساسية
الى جلال الدين وهم فلك الدين بن سنقر الطويل وسعد الدين بن الحاجب
وفخر الدين احمد بن الدامغاني وشمس الدين عبدالرحمن بن شيخ الشيوخ

-
- (١) النسوى : سيرة السلطان ، ص ٢٤٢ .
(٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٤ - ٥ .
(٣) النسوى : سيرة السلطان ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .
(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٥ وينظر :
المعبر : الدولة الخوارزمية ، ص ١١٤ ، معروف : تاريخ علماء
المستنصرية ، ج ٢ ، (بغداد / ١٩٦٥ م) ، ص ١٦١ .

فوصلوا سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م) ومعهم هدايا وخلع وسراويل الفتوة ^(١) فضربت
 لهم خيمة وانتظروا من جلال الدين ان يلبس خلع الخليفة بحضورهم لكنه لم يفعل
 ذلك بل ضربت له خيمة أخرى دخلها ولبس الخلع ^(٢) لكنه على الرغم من ذلك لم
 يوافق على رفع الحصار عن خلاط حتى لا يعمد ضعيفا ، وربما لاحظ قرب فتحها
 فعلا ، فاستمر في حصارها حتى تمكن من فتحها بعد ان ساءت احوالها
 في سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٣٠ م) ولم ينفع نداء الخليفة له في الشفاعة لأهلها شيئا ^(٣) ،
 لكنه راعى شعور الخليفة فقط عند وصول ابن الجوزي رسوله للتشفع في الأيوبيين
 المأسورين في خلاط بعد فتحها واطلق تقي الدين عباس ابن العادل وارسله الى

(١) ابن الفوطي : ١- الحوادث الجامعة ، ص ١٤ .

٢- مجمع الاداب ، ٤ ق ٣ / ٩٩ .

أما بصدد الهدايا التي بعثها المستنصر لجلال الدين فمن الصعوبة
 يمكن ذكرها هنا وذلك لكثرتها وترجيح طابع البالغ فيها ، ومن
 اهم هذه الهدايا ((خلعتان للسلطان الواحدة فيها جبة وعمامة وسيف
 هندي ، وقد رصع بجدا ، والاخرى قباء وكفه وفرجيه وسيف قرا حولي
 محلي بالذهب معزق الحياصة بالدينانير وقلادة مرصعة ثمينة وفروسان
 بالساخت والسرفسار والطوق اثقل ما يكون وانهى ، وشانني تطبيقات طبقت
 على حوافرها عند السليم وزن كل تطبيق منها مائة دينار وترس ذهب
 مرصع بنقائس الجوهر فيه واحد واربعون فصا من ياقوت وبذخاني في وسطه
 فيروز كبير وثلاثون فرسا من الخيل العربية مجللة بالاطلس الرومي مبطنة
 الجلال بالاطلس البغدادي ، وعلى رأس كل جنيب مقود حرير ، وقد ضربت
 عليه ستون دينار خليفية وثلاثون أو عشرون مملوكا بالعدة والمركوب وعشرة
 فهود بجلال الاطلس وقلائد الذهب وعشرة صقور مكلفة الكمام بصفار ، ومائة
 وخمسون بقجة في كل واحدة فيها عشرة ثياب ، بالاضافة الى اكر من العنبر
 الاشهب مضلعة بالذهب ، بالاضافة الى هدايا اخرى لا سبيل لذكرها
 (السنوي : سيرة السلطان ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩) .

(٢) السنوي : سيرة السلطان ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٣) اليونيني : ذيل السرارة ١ / ٣٣٤ ، الذهبي : المعبر ٥ / ١٠٧ .

بغداد فأكرم من قبل الخلافة وأعيد إلى أهله ودياره (١) ، وبعد ذلك بعث جلال الدين رسولا إلى الخليفة المستنصر يعلمه بفتح خلاط وامتلاكها ، وعند وصول رسوله إلى بغداد استقبل فيها واسكن في دار الأمير محمد بن الأنباري وأكرم وخلع عليه وعلى جماعته ثم عاد إلى بلاده بعد إقامته عدة أيام (٢) .

والملاحظ هنا أن العلاقة تحسنت بين الخلافة العباسية والخواريزميين فأصبحت أفضل مما كانت عليه سابقا كما تطور جلال الدين في رسائله تجاه الخليفة وأخذ يظهر الاحترام والطاعة ويبدأ رسائله ((عبده المطواع منكوبرتي بن السلطان سنجر)) و ((سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين إمام المشرق والمغرب والمنيف على الذروة العليا من لوى بن غالب)) (٣) .

لقد كان من الممكن أن يكون الصلح بين الخلافة وجلال الدين عاملا على تقوية الجبهة الإسلامية أمام المغول لو أن جلال الدين تخلى عن مطامعه وأنانيته وتمسك بطاعة الخلافة ، إلا أن رغبته غير المشروعة في غزو بغداد وإخضاع الأمراء المسلمين لزعامته وغروره وطمعه دفعه إلى أن يحارب هؤلاء الأمراء ويهزم أحدهم مما أثر على قوته ومعنويته ومكانته بين الأمراء المسلمين (٤) ، والذين احتاجهم في نهاية أمره وأراد أن يستعين بهم بعد عدائه الطويل لهم وطمعه في إرضائهم وإذاءهم وبخاصة

-
- (١) ابن السعدي : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٦ .
 (٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٤ ، الذهبي : مختصر تاريخ الإسلام ، ورقة ٣٤٠ .
 (٣) النسوي : سيرة السلطان ، ص ٣٨٤ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ٤٨٩/١٢ - ٤٩٠ ، ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ابن واصل : المغرغ ٣١٦/٤ ، ٣٢٠ - ٣٢١ ، الذهبي : مختصر تاريخ الإسلام ، ورقة ٣٤٠ .
 فوزي ، فاروق عمر : الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، (لا م / ١٩٨٣)
 ما هي ١٠٥ ، ١٢٠ .

بعد أن غزاه المغول وطاردوه مما اضطره أن يلقي صرعه وحيدا قرب ديار بكر ،
 إذ قتله رجل كردي لثأر قديم معه (١) ، وموتة انطوت آخر صفحة من
 سجل الدولة الخوارزمية ونزلت من المسرح السياسي إلى الأبد .

ب - العلاقة بالحركة الاسماعيليه (النزارية)

ان الدعوة الاسماعيليه الجديدة (النزارية) هي احدى الحركات السياسية
 الدينية الباطنية التي ظهرت بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة (٤٨٧هـ
 / ١٠٩٤م) حيث انقسم الفاطميون الى قسمين : قسم يؤيد احد ابناؤه (المستعلي)
 فسوا (المستعليه) وآخر يؤيد الابن الآخر (نزارا) فسوا (النزارية) وقد استطاع
 احد اتباع نزار المدعو الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح
 بعد أن استولى على القلاع الحصينة من بلاد فارس والتي أشهرها (قلعة الموت)^(٢)
 أن يكون له دولة انتهجت هذا المذهب ثم اصبحت هذه الحركة ديناً قائماً بذاته
 لعلقه له بالاسلام الا الاسم فقط حيث عطلوا الشعائر الدينية ولم يكن لهم صلاة
 ولا صيام ولا حج ولا زكاة اذ انهم يؤمنون بنظرية الامام (المستور) والتأويل ، حيث
 أولوا الكثير من القرآن لصالح دعوتهم كما تصمت حركتهم بعدة مسيات منها :
 (النزارية) و (الحشاشين) و (الباطنية) (٣) .

- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ق ٢/٦٦٩ - ٦٧٠هـ ابن العميد : أخبار الأيوبيين
 ج ١٣٩/١٥ ، ابن الوردي : تاريخ ٢/٢٢١ . القلقشندي : مآثر
 ٢٨/٢ ، المقريزي : السلوك ج ١ ق ١/٢٤١ .
- (٢) هي اشهر وأمنع قلعة من قلاع الحشاشين المحصنة التي لا يمكن وصول الشباب
 والمنجنيق اليها ويقال معنى الموت (عش العقاب) بلسان اهل طبرستان ،
 وهي تبعد حوالي ستة فراسخ من بحر قزوين وصارت في حوزة الحسن بن الصباح
 الملقب بشيخ الجبل سنة (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) وظلت مدة واحدة وسبعون سنة
 تابعة للاسماعيلية حتى استولى عليها هولاكو المغولي وخرسها عام (٦٥٤هـ /
 ١٢٥٦م) ويقال انها لازالت آثارها ماثلة للعيان في الجبال شمال قزوين .
 (المترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة ، بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،
 بغداد / ١٩٥٤م ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦) .
- (٣) حسن : تاريخ الاسلام ٢٦٨/٤ وما بعدها وينظر : _____

ولتعارض أفكار هذه الحركة مع مبادئ الدين الاسلامي ، لأن فيها
خروجاً على الاسلام فضلاً عن اشاعتها الفوضى والاعتقال وخطورتها على الدولة
العباسية مما اضطرها الى دعوة العلماء للرد على افكارها وتطبيق نشاطها ، فأبى
لها الامام أبو حامد الغزالي الذي فضح هذه الدعوة وافكارها في كتابه (المستظهر)
أو (فضائح الباطنية) (١) ، كما تعدى لها عسكرياً الامراء والسلاطين المسلمون .
ان اخذوا يطاردون دعايتها واتباعها كلما احسوا بنشاط وجودهم فحاصروا قلاعهم
وفتحوا بعضها وهدموها وضيقوا الخناق عليهم أينما وجدوا وكلما سنحت الفرصة
لهم في ذلك (٢) .

وربما بقيت الحالة معهم ولم يتبدل موقفهم من الاسلام وموقف الخلافة
تجاههم حتى سنة (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) عندما نشولى زمامهم جلال الدين حسن
الذي نهض ديانته الاسماعيليه وأمر اصحابه في ايران والشام بالرجوع الى أحكام
الشريعة الاسلامية وارسل والدته للحج كما بعث رسلاً الى كل من الخليفة الناصر
وملوك الاسلام يبيشروهم بذلك ، فاستراح المسلمون من شرورهم واعتداءاتهم (٣) .
ولكي يثبت جلال الدين صحة ادعائه الاسلام فإنه دعا الفقهاء وأحرق أمامهم
كل ما تركه آباؤه وأجداده من كتب تحوى تعاليم دعوتهم الباطنية الملحدة ، حتى

-
- الصياد ، فؤاد عبد المعطي : المغول في التاريخ ج ١ ، (بيروت / ١٩٨٠)
ص ٧٤ وما بعدها ، بيضون ، ابراهيم وزكار ، سهيل : تاريخ العرب
السياسي من فجر الاسلام حتى سقوط بغداد (لا م / ١٩٧٤ م) ص ٣٠٣ .
، لباد ، ميشيل : الاسماعيليون والدولة الاسماعيليه بصياف ، (لا م /
١٩٦٢ م) ص ٢٥ - ٣٠ .
(١) حسن ، تاريخ الاسلام ، ٢٧١ / ٤ .
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، (بيروت / ١٩٠٨ م) ص ١٥١ .
ابن الجوزي : المنظم ج ٩ ، (الدكن / ١٣٥٩ م) ص ١٢٠ ، ابن
الاثير : الكامل ٣١٣ / ١٠ ، ٤٣٠ - ٤٣٤ .
وينظر : كحوزي : الخلافة العباسية ، ص ٩٦ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ٢٩٨ / ١٢ ، سبط ابن الجوزي : برآة ٨ ق ٥٥٥ / ٢ .
أبو الفداء : المختصر ١١٤ / ٣ .

(١) تضاربت الآراء حول جدية إسلامه وحسن نيته في ذلك ، فيرى حافظ أحمد حمدي * أن سبب إسلامه راجع إلى شغوره بضعف الدعوة الإسلامية أمام الرأي الإسلامي العام فضلا عن مجاورته للدولة الخوارزمية وقسوتها المتعاطفة ودولة الأتابكة المجاورة له ففكر بأفضل طريقة لأرضاء هذه القوى فكان رجوعه إلى الإسلام وإقامة شعائره في كل القلاع التابعة له .

ومنهم من يرى أن إسلامه كان حقيقيا وليس خطة خداع أو مواربة أو لصلة خاصة حتى سمي بـ (المسلم الجديد) وجماعته (المسلمون الجدد) (٢) وذلك لأعماله وإنجازاته الدينية المارة الذكر فضلا عن إيمانه للصلاة يوم الجمعة وبنائه للمساجد (٣) مما يمكن أن تنم عن الإيمان الحقيقي إلا أن ذلك لا يكفي لإثبات إيمانه وصدق إسلامه بدليل أن ابنه الوحيد علاء الدين محمد لم يرسه على الإيمان وذلك فإنه بعد موت أبيه جلال الدين سنة (٦١٨هـ / ١٢٢١م) (٤) انقلب على عقبيه ورجع إلى الألحاد وباطنية أجداده وهذائه للإسلام والخلافة العباسية نهاية حكم الناصر وطيلة فترة حكم المستنصر * فضلا عن تعاونهم مع أعداء الخلافة المغول (٥) فكانت نهاية دولتهم على يد هم سنة (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) قبل قضائهم على الخلافة العباسية (٦) .

-
- (١) الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي * (مصر / ١٩٥٠م) * ص ٨٦ .
 (٢) لويس * برنارد : الدعوة الإسلامية الجديدة * ترجمة * سهيل زكار * (بيروت / ١٩٧١م) * ص ٩٣ - ٩٥ .
 (٣) اليافعي * عمر أبو نصر : قلعة الموت * (بيروت / ١٩٤٥م) * ص ١٤٥ - ١٤٦ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ٤٠٥ / ١٢ * ٤٧٠ .
 (٥) النسوي : سيرة السلطان * ص ٢٦٥ .
 (٦) القرطبي : في العصر العباسي الأخير * ص ٢٤٤ .

ج - العلاقة بالمنغول :

١ - أصل المنغول وبوطنتهم :

المنغول قوم يتكونون من قبائل تركية سكنت في بيئة صحراوية قاسية المناخ عديدة البرودة تعرف بهضبة (منغوليا) الواقعة في الشمال الشرقي من آسيا وهي منطقة جرداء قليلة الكلاء مما دفعهم ضيق العيش فيها الى الخروج الى المناطق المجاورة لها ونهبها واشاعة الخراب فيها (١) فأضطبت عاداتهم وعيشتهم بهذه الحياة الهجيرة التي تعتمد على السلب والنهب في كسب لقمة العيش فكانت حياتهم رهينة ونظامهم قبلي بحث وديانتهم وثنية (٢) . اما الدور السياسي لهم وبرزهم على مسرح الاحداث فيبدأ بظهور زعيمهم جنكيزخان الذي نجح بفضل ذكائه ومهارته أن يستقطب جميع المنغول ويربطهم بقوانين وتنظيمات سياسية استمرت في الوجود والبقاء بعد مماته واصبحت ابراطورية مترامية الاطراف احتلت أجزاء كثيرة من العالم (٣) .

اما من احتكاكهم بالعالم الاسلامي فانه بدأ بتحركاتهم غربا بداية مطلع القرن السابع للهجرة وابتلاهم للدول التي امامهم واسقاطها الواحدة تلو الاخرى فكانت

- (١) الفزاز : في العصر المباسي الاخير • ص ٢٩٧ .
- (٢) النساني : المسجد ٢/٤٣٠ اما من قسوتهم وانتشار الدهر الشديد بين الناس لجورد ظهورهم قال ابن الاثير في الكامل ج ١٢ صفحة ٥٠١ ((بلغني ان انسانا منهم أخذ رجلا ولم يكن مع التتري ما يقتله به فقال له : ضع رأسك على الارض ولا تبرح • فوضع الرجل رأسه على الارض ونفى التتري فأحضر سيفاً وقتله به)) .
- (٣) الامين • حسن : الغزو المغولي • (بيروت / ١٩٧٦م) • ص ٣٠ - ٣١ .
ولزيادة التفاصيل عن المنغول ونشأتهم ينظر :
ابن العميد : اخبار الايوبيين ج ١٥ / ١٢٩ - ١٣٠ • فوزي : فاروق •
حكام بلاد فارس والعدوان على العراق (بغداد / ١٩٨٨م) • ص ٣٦ •
كاهن • كلود : تاريخ العرب والشعوب الاسلامية • ترجمة بدر الدين القاسم •
(بيروت / ١٩٧٢م) • ص ٣٦٩ - ٣٧٠ •
برزي • ادور : تاريخ الحضارات العام • ترجمة • يوسف اسعد داغر وفريد م •
داغر • ج ٣ • (بيروت / ١٩٦٥م) • ص ٣٥٨ وما بعدها •

الدولة الخوارزمية فاتحة الانقراض للدولة الإسلامية فاسقطوها سنة (٦٢٨هـ / ٢٣٠م) وسقط عليها انهار السد الذي أمام الخلافة العباسية واصبحوا مجاورين لها .

٢ - بداية الاحتكاك بينهم وبين الخلافة العباسية :

ان البحث في هذا الموضوع ترجع جذوره الى عهد الخليفة الناصر لدين الله وكيفية عهده لهجات المغول الاولى اذ يمكن ان ندرجها حسب سنوات حدوثها وكما يأتي :

أ - سنة (٦١٢هـ / ١٢٢٠م) قام المغول بمهاجمة العراق في هذه السنة وهو أول هجوم مغولي لهم ، وصلوا فيه أربل ، فواصل الناصر بذلك بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل والملك الاشرف صاحب الجزيرة الذي أعتذر عن قتال المغول ، فوجه الناصر رسالة الى صاحب أربل مظفر الدين يبلغه فيها بأنه ارسل لقتال المغول عشرة آلاف مقاتل ، ولكن لم يصل منهم الى صاحب أربل سوى ثمانمائة ورجع المغول قبل ان يلتحقوا معهم بمركبة^(١) .

ب - في سنة (٦١٨هـ / ١٢٢١م) قام المغول بهجوم ثان وصلوا فيه الى حدود العراق ولم يفعل الناصر شي ، سوى أنه حصن بغداد وأمر الناس بالصلاة والدعاء كما هيأ الجند وصرف الأموال لهم واشترى البوذية والسلاح^(٢) .

ويبدو ان الناصر لم يكن لديه جيش قوى دائم التجهيز يدافع فيه عن العراق بل حتى لم يكن عنده قائد لقيادة الجيش والذي يمكن ان يكون خوفه من استبداده بالامور السياسية والعسكرية والا فلماذا يستعين في المرتين السابقين بمظفر الدين على أمارة هذا الجيش الذي اقلبه من الموصل واربل ، فالناصر من خلال موقفه هذا لم يبد اهتماما

(١) الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٥١ ونظر : اليافعي : مرآة الحنان ، ج ٤ ، (حيدرآباد الدكن / ١٣٣٩هـ) ، ص ٣٢ ، ابن كثير : البداية ١٠ / ١٣ .

(٢) ابوشامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٢٨ ، ابن كثير : البداية ١٣ / ٩٤ - ٩٥ ، الديمار بكري : تاريخ الخميس ٢ / ٣٦٩ .

لهذين التعرضين أو يتحسب لأمور عدو خارجي والا كان الاجدر به منذ الهجوم الاول لهم أن يهتم بتجنيد جيش قوى متكامل العدد والعدة وعلى أتم الاستعداد لملاقاة المغول بل وبطاردتهم داخل حدودهم في أية لحظة • لكنه كان بالعكس لم يسمع بعودتهم حتى ينسى الامر وكأن شيئاً لم يكن بقدر ما كان عليه ان يدرك أن هذه التعرضات ما هي الا لجس نبض قوة جيش الخلافة • ومن خلال هذا يمكن ان نستنتج أن الناصر هو المسؤول الاول عن ضعف الخلافة وخاصة في ايام حكمه الاخيرة مما احدث ثغرة في جدار قوة الخلافة • فجاء بعده المستنصر والمستعصم ليعملا على توسيع تلك الثغرة من غير قصد • فكانت النتيجة الضعف المستمر بما فسخ المجال لدخول هولاكو بغداد وازالة الخلافة من الوجود •

٣ - الاحتكاك بالمغول بين المستنصر بالله :

آ - في سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) وصل المغول الى أربل بعد أن قتلوا الكثير من الاكراد والتركمان ودخلوها بما اضطر حاكمها الى طلب المساعدة من الموصل • لكن المغول انسحبوا الى اذربيجان ولم يلاحقهم مظفر الدين كوكبرى^(١) .

ب - وفي سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) وصلوا الى منطقة شهرزور فجهز المستنصر الجيوش وأمر عليهم قسطنطين الناصري بعد أن استنجد بصاحب اربل وتوجه الجيشان نحو الموصل الا انهم رجعوا دون حصول تصادم عسكري بينهما^(٢) .

(١) ابن الاثير : الكامل ٥٠١/١٢ • ابن واصل : المغر ٣٢٨/٤

المعريزي : السلوك ج ١ ق ١/٢٤١ •

(٢) ابن الفوطي : الحوادث • ص ٢٧ • الذهبي : دول الاسلام ١٣٥/٢

ابن كثير : البداية ١٣٢/١٣ •

ج - في سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) داهم المغول أربل ونشب تصادم بين الفريقين ، مما اضطر المغول الى الانسحاب الى الموصل فقتلوا ونهبوا وقام الخليفة باتفاق الأموال واستنقار الأعراب وكون جيشا لملاقاتهم الا انهم انسحبوا راجعين لديارهم^(١) ، وفي هذه المناسبة البطولية لم يكن الشعراء غائبين عن ساحة الاحداث في حياة المجتمع آنذاك فقام الشاعر النشابي^(٢) بوصف شجاعة الخليفة المستنصر بالله في محاربة العساكر المغولية الزاحفة للمعراق وردّها في قصيدة رائعة قال فيها :

انت أمير المؤمنين	من باليهان الاظهر
لك اجتبي الله لنفـ	ع خلقه والضـرر
وقد نصرت دينه	بمزمك المظفر
لما افنت المسلمين	ن من بلاد التتر

د - في سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) هجم المغول على أربل ودخلوا المدينة وقتلوا الكثير^(٣) واستغنى الخليفة العلماء حول الجهاد في حاله ما اذا اتفق الجهاد والحج في سنة واحدة فأيهما أهم ؟ فأفتوه بالجهاد فتعطل الحج لهذه السنة بسببهم ، حيث أرسل الخليفة جيشا الى اربل على رأسه مجاهد الدين ايك الدودار ثم تبعهم اقبال الشرايبي مع قوة اضافية ولم يلتقوا مع المغول

(١) ابن الفوطي : الحوادث ص ٨٤ - ٨٥ ، الذهبي :

١- دول الاسلام ١٣٢٧/٢ .

٢- المعبر ، ١٣٢٢/٥ - ١٣٢٣ .

النافعي : برآة الجنان ٨٤/٤ ، الفصاني : المسجد ٤٧٠/٢ .

(٢) طه ، عبد الله محمود : ديوان النشابي أطروحة ماجستير (غير منشورة) :

من كلية الآداب ، جامعة الموصل / ١٩٨٥ م ، ص ٦٣ .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضين ، ص ١٦٥ .

الذين انسحبوا عند سماعهم قدوم جيش الخليفة (١).

هـ - سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م) وصلت الاخبار ببغداد بوصول المغول الى الحدود وقصد هم اربل فأمر حاكمها شمس الدين باتكين بالخروج والاستعداد للحرب ، لكن المغول غيروا وجهتهم الى داقوتا فأرسل الخليفة اقبال الشرايبي على رأس جيش لقتالهم ، الا انهم علموا بذلك فانسحبوا منها ثم عادوا مرة ثانية في السنة نفسها ، وتوجهوا نحو بغداد وتهاوى الجيش لقتالهم واستنجد الخليفة المستنصر بالله بالأمراء وكاتبهم ، فوصلت له بعض الأمدادات من بعلبك ودمشق وحصل القتال بين الفريقين فانتصر جيش الخليفة في أول الأمر ، لكنه كسر فيما بعد بسبب خدعة المغول وكما أشنهم فخسروا المعركة وعادوا بثلة قليلة الى بغداد (٢).

٤ - موقف المستنصر بالله من الغزو المغولي :

آ - الموقف العسكري : يمكن تقسيمه الى قسمين :

١ - الموقف الاحترازي وبناء سور بغداد : لكثرة غزوات المغول وتعرضاتهم للمراق ومحاولاتهم احتلال بغداد جعلت الخليفة المستنصر بالله يتحسب لهذا الخطر المقبل ويأمر ببناء سور أمني يحكم حول بغداد وذلك لتسهيل عملية الدفاع عنها في حالة هجوم مفاجئ للمغول ، وقد تكامل بناء هذا السور

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٩٨ .

الذهبي : ١ - دول الاسلام ١٣٧/٢

٢ - المعبر ١٣٦/٥ .

ونذكر بهذا الصدد ان الحج تعطل عدة مرات بسبب شكالات القبائل العربية على طريق الحج مثل قبيلة خفاجة ، كما حصل في سنة ٦٣١ هـ (ابن واصل : الفرج ٨٥/٥ - ٨٦)

وفي سنة ٦٣٤ هـ (الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ورقة ٣٢٨) ، وسنة ٦٣٦ هـ (ابن النوطي : الحوادث ، ص ١٢١ وسنة ٦٣٧ هـ (ابن الفوطي : نفسه ، ص ١٣٩) .

(٢) ابن الفوطي : نفسه ، ص ١٠٩ - ١١٣ ونظر : الفسائي : المسجد ٤٧٩/٢

٤٨١ ، المقرئ : السلوك ج ١ ق ٢٧٣/٢ .

٢ - التصدي للمغول : الملاحظان الخليفة المستنصر بالله تصدى عسكريا للمغول في هجوماتهم المارة الذكر على نحو مباشر أو غير مباشر فيرسل الجيوش بقيادة امرائه في كل مرة يسمع فيها وجود هجمهم وتحشد مغولي سواء على أربل قبل انضمامها أو بعد انضمامها ، مما يدل على عزمه على التصدي والمقاومة وتحسبه للأمر واهتمامه بالجيش^(٢) واسلحته صرف الأموال اللازمة لتكوينه .

ب - الموقف الايجابي للمستنصر بالله :

لاهتمام المستنصر بالغزو المغولي ومدى خطورته على الخلافة والعالم الاسلامي فقد دعاه ذلك الى اتخاذ موقف قوي اسلامي مشترك وتكوين جبهة اسلامية من خلال دعوته لأبناء الاطراف الايوبيين وأماطة الموصل وأربل وطلبه ارسال قوات دفاعية وجيش مشترك فامتدحه المؤرخون على هذا الموقف الايجابي والتحمسي ومنهم ابن الفوطي^(٣) . الذي اثنى عليه في جمعه للأموال وتجهيزه للمساكر ودعوته لبقية أطراف الدولة الاسلامية للاشتراك معه في صد العدوان حيث قال : ((وكاتب ملوك الاطراف يستنجد بهم ويعرفهم الحال)) . كما امتدح القزاز^(٤) موقفه ايضا وأشار الى جديته في ذلك وقارن بينه وبين خلفته المستعصم

- (١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٦ ، ١١١٦ هـ ، الفسائي : المسجد ٤٨٠/٢ هـ ، ينظر : سوسة ، احمد ، الفيضان وخرق بغداد في العصر العباسي ، مجلة الجمع العلمي العراقي مج ١٠ ، بغداد ١٩٦٢ هـ ، ص ٦٦ .
- (٢) حول اهتمام الخليفة بالجيش : ينظر : الفصل الرابع ، صفحته ١٣٥ .
- (٣) الحوادث ، ص ١١١ - ١١٢ هـ ، الفسائي : المسجد ٤٨٠/٢ - ٤٨١ هـ .
- (٤) ١ - الحياة السياسية في العراق في عهد السيطر المغولية ، (النجف / ١٩٢٠ م) ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- ٢ - في العصر العباسي الاخير ، ص ١٠٣ .

بالله الذي قال عنه بأن لا يمتلك مثل هذه المبادرة في تكوين جيش دفاعي بل فرط بالجيش الذي كونه المستنصر ولم ينفق له الاموال اللازمة لأدامته وتسليحه مما أدى الى انحلاله وعدم قدرته من الدفاع عن بغداد فكانت النتيجة البأساوية المعروفة احتلال بغداد . هذا ولم ينج المستنصر بالله على الرغم من مواقفه الايجابية من نقد بعضهم له وتحمله مسؤولية مهادنة المغول وعدم تكوين جيش قوى ومستديم للخلافة .

الفصل الثالث

الحالة الاقتصادية

وتتمثل في

أولا : الزراعة

ثانيا : الصناعة

ثالثا : التجارة

أولا : الزراعة :

١ - النهر :

آ - نهر دجلة : ان دجلة هو أحد النهرين الكبيرين في العراق قديما وحديثا وسي (السلامة) ، اذ يرجع ان بغداد سميت بأسمه (دار السلام) ^(١) ، أما منبعه فهو من مرتفعات جنوبي شرقي آسيا الصغرى وحوض منابعه تقع جنوبي منابع الفرات وبجواره لها وهما منبعان رئيسان : الاول غربي يسمى (دجلة) وتقع عليه مدينة ديار بكر فضلا عن بحيرة (كولجك) التي تمتد بهاء اضافية ايضا ، أما المنبع الثاني الشرقي فيتكون من عدة روافد منها : بطلان صو والهازو وبوتان صو . وبعد اتصال هذين المنبعين بالنهر فانه يتجه جنوبا ثم الى الجنوب الشرقي حتى يدخل الاراضي العراقية عند قرية (فيشخابور) بمعد ان قطع مسافة (٣٠٠) كيلومتر خارج حدود العراق ^(٢) .

وفي أثناء مسيرة جنوبا تغذي به وتصب فيه من جهة الشرق عدة أنهار منها : الزاب الأعلى ^(٣) الذي يسمى (الجنون) لمرقة جريانه ويصب فيه بمسافة فرسخ ^(٤) من مدينة الموصل ، والزاب الأسفل الذي يصب فيه عند السن قبل تكريت ^(٥) . ونهر (تاربا) الذي يصب في دجلة بعد اجتياز

(١) النهرى : نهاية الأرب في فنون الأدب (نسخه مصوره عن دار الكتب) ج ١ ، (القاهرة / لا . ت) ، ص ٢٦٨ .

(٢) الخلف ، جاسم محمد : جغرافية العراق الطبيعية ، (القاهرة / ١٩٦٥م) ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(٣) ابن عبد الحق : مرصد الاطلاع ، تحقيق علي محمد الهجوى ، ج ٢ ، (لا . م / ١٩٥٤م) ، ص ٦٥٢ .

(٤) الفرسخ : وحدة قياس مساحه = ٣ أميال أو حوالي ٦ كيلومتر .
(هنتس) فالتر : الكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة ، كامل الخياي ، ط ١ / ١٩٢٠م ، ص ٩٤ .

(٥) ابن عبد الحق : مرصد ، ص ٦٥٢ / ٢ .

بغداد بأكثر من فرسخ وتسمى نهاية مصبه (فم دياسى) (١) ويواصل سيره جنوباً داخل السهل الرسوبي حتى البطائح ثم يلتقي بالفرات بعد خروجه من البطائح في قرية (مطارة) (٢) فيكونان (دجلة الموراء) أو ما يسمى بشط العرب حالياً الذى يصب في الخليج العربي (٣). وقد أشار أبو الفداء (٤) إلى كثرة الأنهار التي تتفرع من دجلة في الجانبين الغربي والشرقي في منطقة البصرة بعد خروجه من البطائح وبخاصة أنهار الجانب الغربي التي تزيد على مئة ألف نهر، أشهرها نهر (المرّة) ونهر (الدير) و (شق شيرين) ونهر (العقل) ونهر (الابلس) ونهر (اليهودى) ونهر (أبي الخصيب) ونهر (الأمير) ونهر (القندل) أما أنهار الجانب الشرقي فليست مشهورة جداً نهر (الاحواز) .

وقد اندثرت هذه الأنهار بمرور الزمن بسبب الأهال وعدم اصلاح خرابها لما ساد من الاضطرابات السياسية في عهد السلاجقة فضلاً عن الاحتلال المنغولي الذي اثر على الاقتصاد بعامة والزراعة بخاصة . الا أن هذه الأنهار على الرغم من اندثار أغلبها فأنها تبقى دليلاً على ازدهار الزراعة في العصر العباسي وبخاصة عصرنا الذي ندرسه عصر الخليفة المستنصر بالله الذي نشطت في عهده الزراعة حيث اهتم بالسرى وفتح في سبيل ذلك الأنهار والقناطر التي سنذكرها لاحقاً .

-
- (١) ابن عبد الحق : مرآة ٦٥٢/٢ .
 (٢) مطارة : قرية من قرى البصرة يلتقي عندها دجلة والفرات (الحموى : معجم البلدان ٥ مج ١٤٢/٥) .
 (٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت / ١٩٦٠ م) ٥ ص ٤٢٠ .
 (٤) تقويم البلدان (باريس / ١٨٤٠) ٥ ص ٥٦ - ٥٧ . ولزيادة التفصيل من مجرى دجلة ينظر : العاني ٥ نوري عبد الحميد : العراق في العهد الجلائري (بغداد / ١٩٨٦ م) ص ١٦٢ - ١٦٨ .

اهم الانهار التي تنفرج من دجلة :

١ - نهر الفوسج : ان هذا النهر يقع شمال بغداد وعلى
الجهة الشرقية من دجلة وكان له دور كبير في فيضان بغداد قديماً ، ولذلك
كانوا يراقبون سدته خوفاً من فيضانه الذي يغرق بغداد وما حولها (١)

٢ - نهر دجيل : ويخرج هذا النهر من دجلة جنوبي سامراء
فيسقي قرى ومدناً كثيرة منها (أوانا) و (الحظيرة) وغيرها (٢) وقد
وصفه ابن بطوطة (٣) في اثنا بروره به في (المائة الثامنة) وقال : ((نهر
دجيل ، وهو تنفرج من دجلة فيسقي قرى كثيرة)) .

٣ - نهر الاسحاق : وهذا النهر يخرج من دجلة جنوبي مدينة
تكريت ويصب في دجلة مرة أخرى الى الشمال من مخرج نهر دجيل (٤) .

٤ - نهر النهروان : وهو اكبر مشروع للري في العالم قبل خرابه
في منتصف القرن (السادس الهجري) ويقع في الجهة الشرقية من دجلة ، ويأخذ
مياهه من دجلة جنوبي سامراء . ويستمد بمحاذاة دجلة من جهة الشرق

-
- (١) ابن عبد الحق : مرصد الاطلاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ج ٣ ،
(لا م / ١٩٥٥ م) ، ص ١١٣٢ . وينظر :
الفيل ، محمد رشيد (الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم
الافخاني ١٢٥٨ - ١٣٣٦) ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد
ع ٦ ، (بغداد / ١٩٦٣ م) ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .
- (٢) الحموي : معجم البلدان ٤٤٣/٢ .
- (٣) ابن بطوطة : الرحلة المسمى ، تحفة النظار في غرائب الايام
وجائب الاسفار ، ج ١ ، (بيروت / ١٩٢٥ م) ، ص ٢٥٣ ، وينظر
الفيل (الحالة الاقتصادية) ، مجلة الآداب ، بغداد ، ع ٦ ، ص ٣٠٦ .
- (٤) مرصد ٤٢٥/١ ، القلقشندي : صبح ٣٢٥/٤ ، وينظر : سهراب :
جائب الاقاليم السبعة (فينا / ١٩٢٩) ، ص ١٢٧ .

(١)

بمسافة تزيد على مئتي كيلو متر حتى يلتقي بدجلة قرب مدينة الكوت .
قال الحسوي (٢) ان هذا المشروع الزراعي خرب في أثناء الفوضى السياسية
واقتيال سلاطين السلاجقة بعضهم مع بعض واهمالهم لهذا المشروع
الحيوي الذي كان من أجمل نواحي بغداد وأغرزها انتاجا في الزراعة ، وتخريبه
أضر على هذه المنطقة كلها فقل انتاجها ورحل أهلها . وأضاف صاحب المراسد
الاطلاع (٣) المتوفي (١٣٣١هـ / ١٣٣١م) أنها كانت ثلاثة نهروانات : اعلى واوسط
واسفل وان آثار قراها وبنائها باقية الى زمانه ومتركه بسبب انقطاع الساء
عنها ، وكانت تعيش الى جانب هذا المشروع الضخم مدينة كبيرة تعرف (بالنهروان) .

ب - **نهر الفرات** : ينبع نهر الفرات من المرتفعات الواقعة

في شرق آسيا الصغرى والتي يزيد ارتفاعها على (٣٠٠٠) متر ، وهناك عدة
منايع تكون هذا النهر منها :

١ - **فرات صو** : الذي يجري في سهل أرضروم - أرزنجان

٢ - **مراد صو** : الذي يجري في أرمينيا يلتقي بفرات صو عند مدينة

كان ويكوّنان نهر الفرات .

٣ - **رافد توخمة صو** الذي ينبع من جبال طوروس ثم ينحدر يلتقي

بالفرات عند مدينة ملاطية ثم يواصل سيره حتى يدخل الأراضي السورية قرب جرابلس
ويصب فيه بغداد ذلك رافدان في ضفته اليسرى هما رافد البليخ ونهر الخابور ،
ويستمر سيره حتى يدخل الأراضي العراقية بعد مدينة البوكمال الحالية بمسافة
قليلة (٤) .

(١) جواد ، وسوسة : دليل خارطة بغداد ، ص ٣٠ ، سوسة : رى سامراء

، ج ١ ، المقدمة ، ص ١١ .

(٢) معجم البلدان ٣٢٤/٥ - ٣٢٥ .

(٣) ابن عبد الحق ١٤٠٢/٣ ، كوك ، ريجارد : بغداد مدينة السلام ،

ج ١ (بغداد / ١٩٦٢م) ص ١٨٢ .

(٤) الخلف : جغرافية العراق ، ص ١٧٨ .

وهكذا يواصل الفرات سيره في العراق قاطعاً الجزيرة حتى يصل
عانة وهيت والكوفة حتى يدخل منطقة البطائح (١) (السهل الرسوبي) حالياً .
ويبدأ الفرات بعد دخوله السهل الرسوبي بالاقتراب من دجلة الى مسافة
٤٠ كيلومتر كما أنه يرتفع عن مستوى دجلة بحوالي (٧) أمتار وتنحدر الارض تدريجياً
نحو الشرق فاستغل العباسيون هذه الظاهرة * لحفر الأنهار واغراض الري فشقوا
الأنهار والجداول من ضفته اليسرى لرى الأراضي الواقعة بين النهرين (٢) ثم
ينقسم الفرات بعد ذلك ينقسم الى قسمين قسم جنوبي يسمى (الملقم)
(نهر الهندية حالياً) ينتهي بالكوفة ويمر بالبطائح * والاخر يسمى نهر عيسى
ويمر ببغداد ثم يصب في دجلة (٣) . وبعد ذلك يترك البطائح ويلتقي بدجلة
عند قرية (بطاره) المارة الذكر ثم الى شط العرب والخليج العربي .

أما الأنهار التي تتفرع من الفرات وتصب في دجلة فهي :

١ - نهر عيسى : وهو من الفروع الرئيسة لنهر الفرات التي
تصب في دجلة عند قصر عيسى بن علي بعد مروره بمجموعة كبيرة من
القنطرة (٤) .

٢ - نهر صرصر : ويخرج من تحت جري نهر عيسى ويصب فوق
المسدائن بأربعة فراسخ (٥) .

-
- (١) ابو الفداء : تقويم البلدان * ص ٥١ * ابن فضل الله العمري : ممالك
الابصار في ممالك الاصار * تحقيق : احمد زكي باشا * ج ١ *
(القاهرة / ١٩٢٤ م) * ص ٨٠ .
(٢) الخلف : جغرافية العراق * ص ١٢٩ .
(٣) شيخ الرتبة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر * اعتمد على :
A.F. Makren (لايزج / ١٩٢٢ م) * ص ٩٢-٩٤ .
(٤) ابن عبد الحق : مرصد ١٤٠٤/٣ * النويري : نهاية الارب ٢٦٧/١ *
وينظر : القبيل : (الحالة الاقتصادية) مجلة كلية الاداب * بغداد * ج ٦
ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
(٥) القلقشندي : صبح ٣٩٩/٤ * لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية * ترجمة
بشير فرنسيس وكوركيس عواد * (بغداد / ١٩٥٤) * ص ٩٣ .

٣ - نهر الملك : وخرج من تحت نهر عيسى حيث كانت على

جانبه عدد كبير من القرى حتى صبه في دجلة (١) .

٤ - نهر كوشي : وهو من الانهار التي حفرت قديما اذ يصب

في دجلة الا انه ربما كان خربا في هذه الفترة وذلك لقدمه (٢) .

ج - اهتمام الدولة بالرى : كانت الزراعة في العراق

في العصر العباسي متقدمة وازدهرت الى حد ما ، ويرد ذلك بالدرجة الاولى الى الاهتمام بنظام الرى آنذاك من قبل الخلافة العباسية نتيجة لقلّة الامطار في ارض السواد ، مما جعل اهتمام الخلفاء يتجه الى احياء الارض وجعلها صالحة للزراعة ، وذلك باحتصار الانهر الكثيرة في ارض السواد حتى قيل ان في ربيعة الرمح الواحدة عددا من الانهار (٣) .

واكد ذلك أبو الفداء (٤) قائلا بأنه كان في جنوب العراق وفي منطقة

البصرة لوحدها ما يزيد على مئة الف نهر ، مما يدل حقيقة على مدى اهتمام الحكومة العباسية بهذه الناحية . وسجي الخليفة المستنصر بالله كانت الخلافة تعيش عهد انتعاش وازدهار حقيقيين وذلك كان بجيئه استمرار لهذا الاتجاه فاهتم هو كذلك بشؤون الرى والزراعة ، ومن انجازاته في مجال الرى

(١) ابن عبد الحق : مرصد ١٤٠٦/٣ .

(٢) الحوى : معجم البلدان ٤٨٢/٤ ، ابن عبد الحق : مرصد ١١٨٥/٣ .

ولزيادة التفاصيل من هذه الانهار ينظر :

سهراب : عجائب ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، حضباك ، جعفر حسين ،

العراق في عهد المغول الايلخانيين ، (بغداد ١٩٦٨ م) ، ص ٩١ .

(٣) الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد المال ، (القاهرة /

١٩٦١ م) ، ص ٥٧ .

(٤) تقويم البلدان ، ص ٥٦ .

فتحه لنهر جديد سي باسمه الى الان (دجيل المستنصرى) سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) عندما استدعت الحاجة اليه نتيجة تحول نهر دجلة عن مجراها القديم في (القرن السادس للهجرة) واتجاهه شرقا تاركا الكثير من المزارع والقرى باسمه من دون ماء مما أثر على الزراعة فيها . فامر المستنصر بحفر هذا النهر الفرعي الذي ياخذ مياهه من دجيل ويتجه الى المناطق والقرى التي تركها دجلة ومنها قرية (الحظيرة) و (بلد) (١) .

كما انه بنى على هذا النهر القنطرة المعروفة بقنطرة (حربي) عند مدينة (حربي) (٢) في الجانب الغربي من دجلة بين سامراء وبغداد سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) (٣) وما يؤيد هذا الانجاز شريط من الكتابة على جدران القنطرة يبين تاريخ تشييدها باسم الخليفة المستنصر بالله (٤) .

٢ - ملكية الارض والاقطاع :

كانت ملكية الارض حسب المعلومات المتوافرة لدينا في فترة خلافة الناصر لدين الله حتى سقوط الخلافة العباسية تتكون من الاصناف الآتية : (٥)

١ - اراضي الخليفة

٢ - اراضي الديوان (ملكية حكومية)

٣ - اراضي وقفية

٤ - ملكية فردية (ملكية خاصة)

- (١) سورة ، رى سامراء ١٨١/١ وينظر : عبدالله ، ناجية : ريف بغداد ، (بغداد / ١٩٨٨ م) ص ٢٩٢ .
- (٢) ابن الطقطقي : الفخرى ، ص ٢٦٢ . وحربي بلدة صغيرة تقع بين دجيل وتكريت (الحموي : معجم البلدان ٢/ ٢٣٢) .
- (٣) ابن الفوطي : جميع الاداب ٤ ق ٤ / ٨٠٢ حاشية رقم ٢ - .
- (٤) لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٣ .
- (٥) خصال : العراق ، ص ٩٩ .

أما بالنسبة الى الاقطاع وخاصة العسكرية فانه بدأ شيوعه منذ بداية العهد البويعي (١) ، وذلك هو احدى نتائج التخلف الاقتصادي وقد استمر طيلة العهد السلجوقي ولم ينته بزوالهم بل ظل طيلة عهد الناصر الذي اكثر من اقطاعاته لأمواله وأرباب دولته وخاصة من الاراضي الديوانية (٢) ولما أفضت الخلافة الى المستنصر فانه لم يبلغ هذا النظام وانما سار على طريقة جدّه الناصر في منح الاقطاعات (٣) .

وفي ضوء المعلومات المتوافرة يمكن تقسيم الاقطاع الى نوعين :

أ - اقطاع الاستغلال :

نتيجة للتدهور الاقتصادي الذي مرت به الخلافة في هذه الفترة وأصبحت بموجبها غير قادرة على دفع رواتب أفراد جيشها من الامراء الماليين وبقية موظفيها مما دفع بها الى اللجوء الى استخدام هذا النظام من الاقطاع ان بموجبها تكون الارض ملكا للدولة وخارجها لصاحب الاقطاعية لتعويضه عن رواتبه وسد حاجته المعيشية ، وقد يكون هذا النوع من الاقطاع مؤقتا ويتعلق بوجود الامير بالجيش والموظف بوظيفته ووجود الاقطاعية برهون بوظيفة صاحبها الا انه تغير تدريجيا واصبح يتجه نحو الوراثة (٤) . وبعد زوال السلاجقة كرس الناصر هذا النظام لحاجته له ومن أمثلة اقطاعاته معاملة الحداديين (٥)

(١) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، (بيروت / ١٩٦٩م) ، ص ٨٢ .

(٢) ابن السامي : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وحيون السير ، تحقيق مصطفى جواد ، ج ٩ ، (بغداد / ١٩٣٤م) ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٢١٥ ، ابن كثير : البداية ، ٦٦ / ١٣ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٢ .

(٤) الدوري : مقدمة في التاريخ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٥) قرية كبيرة بالبطيحة من أعمال واسط (الحوى : معجم البلدان ٢ / ٢٢٢) .

من اعمال واسطوقوسان^(١) اللتين أقطمها الى الأمير التركسي
 كسنقر المتوفى (٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م) ووفاته أقطمها الخليفة المستنصر للأسير
 الطبرسي الظاهري المعروف بالدويدار الكبير وكان وارده منها في كل سنة
 بحدود (ثلثائة الف دينار)^(٢) ، وفي عهده كذلك استمر الأمير محمد
 بن سنقر السطويل في احتلال داقوقا التي ورثها عن ابيه منذ عهد الناصر
 حتى وفاته سنة (٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م)^(٣)

ب - اقطاع التملك :

وفي هذا النوع من الاقطاع تكون الارض ملكا لصاحب الاقطاع وليس
 عليه سوى دفع العشر من خراجها ، ويمكن ان تكون الارض وراثية ايضا ، وتعطى
 عادة من ارض الموات لأحيائها أو من الارض التي توفي صاحبها وليس له ورث^(٤) ،
 فتعطى الاقطاع عندئذ لرجل عسكري أو مدني لتكون له بمثابة مورد مالي في حياته
 وعطائه^(٥) ، حسب رغبة الخليفة الذي لم يكن عطائه مقصورا على فئة معينة من الناس
 كما ان الخليفة لم يهب اقطاع التملك للمعسكرين وعامة الناس فقط ، بل كان
 مشمولا به أهله وجواريه كذلك ، وحيث ذكر ان شاهان جارية الخليفة
 المستنصر بالله التي لها منزلة كبيرة عنده كانت ثرية جدا ولها ديوان ووكتلاه
 وقرى واقطاعات كثيرة^(٦) .

-
- (١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٢ وقوسان اقطاعية كبيرة عليها نهـر
 وقرى ومدن (ابن عبد الحق : مرصد ١١٣٣ / ٣) .
 (٢) ابن الفوطي : ١ - الحوادث ، ص ٢٦٥ - ٢ - مجمع الآداب ٤ ق ٢ /
 ١٠٠٠ .
 (٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٢١٥ .
 (٤) الدوري : ١ - تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ،
 (بغداد ١٩٤٨) ، ص ٢٨ .
 ٢ - مقدمة في التاريخ ، ص ٩٠ .
 (٥) خصباك : العراق ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
 (٦) ابن السامي : نساء الخلفاء ، تحقيق ، مصطفى جواد ، (القاهرة / لاوت)
 ص ١١٩ - ١٢٠ ، الغساني : المسجد ٥٩٩ / ٢ .

من خلال ما برزنا عن الاقطاع زمن الناصر لدين الله والمستنصر
 يمكن ان نستنتج ان الخليفة هو صاحب الكلمة في الدولة ، وحكمه
 مركزي في منحه للاقطاعات ، فنراه يقطع هذا الأمير ويحب الاقطاعية
 من أمير آخر ، وذلك تبعاً لأهمية هذا الأمير أو ذلك القائد في الجيش
 ومكانته لدى الخليفة ، كما هي الحالة لدى المستنصر بالله عند اقطاعه
 (قوسان) ^(١) للديدار الكبير ، وذلك تتوقف ملكية الاقطاعية على علاقة
 الخليفة بصاحبها أو ربما حسب أهمية الاقطاعية ، وهذا ما يؤكد
 خصاك ^(٢) بقوله ان أغلب هذه الاقطاعيات لم تكن اقطاعيات تملك وانما
 كانت اقطاعيات استغلال وذات فائدة آتية ، وان سيطرة المقطاعين كانت
 محدودة اذا ما قيست بسيطرة الخليفة المركزية .

٣ - المحاصيل الزراعية :

قبل الكلام على حالة الزراعة والمحاصيل الزراعية في عهد الخليفة
 المستنصر بالله ، كان لابد من الاشارة الى قلة المعلومات المتعلقة بالزراعة
 في هذه الفترة بالذات ، مما جعلنا نلجأ الى القياس والاستنتاج في تحديد
 ملامح اوضاعها وذلك من خلال أخبار الرحالة الذين زاروا العراق قبل عهده
 بفترة قريبة فضلا عن أخبار الجغرافيين والرحالة اللاحقين لعهد ما عكست
 اخبارهم لنا حالة الزراعة والاستقرار النسبي والتقدم الذي شهدته البلاد
 خلال هذه الفترة ابتداءً من الناصر لدين الله الذي اتجه الى تعمير البلاد

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٢٦٥ .

(٢) العراقي ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

وبناء الاقتصاد مما يعيند الركيزة الاولى للاستقرار السياسي ، وبرورا بعصر
المستنصر بالله الذي كانت الاوضاع في عهده حسنة ومستقرة نسبيا أيضا
من الناحية السياسية والاقتصادية المتمثلة بالزراعة والصناعة والتجارة .

أما من الرحالة الذين استغدننا من أخبار زياراتهم للعراق ووصفهم
له ولحاصلاته الزراعية ، بنهايين التطيلي^(١) المتوفى (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) فهو
الذي وصف بغداد ورياضها وحقولها الزراعية وساتين النخيل فيها حيث
ذكر أن ليس لها مثيل في بقية أنحاء العراق . أما الرحالة ابن جبـير^(٢)
المتوفى (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) والذي زار العراق سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) فسي
اثناء قدومه من الحج فقد وصف كل ما حط عليه بصره في الطريق من زراعة وصناعة
وعمران ، فإنه امدنا بمعلومات قيمة عن حالة الزراعة في هذه الفترة للمناطق
التي مر بها وشاهدها ، وحيث بدأ وصفه هذا بالقادسية فوصف كثرة نخيلها
وما فيها من مزروعات وحدائق ومحاصيل زراعية متنوعة ثم انتقل الى وصف
الكوفة وبين بأن الجانب الغربي منها خراب وان سببه يعود الى قبيلة
خفاجة المجاورة لها .

أما الجانب الشرقي منها فإنه ظل طامرا ومحتفظا بغابات نخيلـــــــــــــــــه
الشاسعة التي كانت على حد قوله ليس لها نهاية فهي تمتد امتداد

(١) رحلة بنهايين ، ترجمة عزرا حداد ، (بغداد / ١٩٤٥ م) ، ص ١٣٩ .

(٢) رحلة ابن جبير ، (بيروت / ١٩٦٨ م) ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، وينظر : فهد ،
بدرى محمد : العاه في بغداد (بغداد / ١٩٦٧ م) ، ص ٩٣ .
ولزيادة التفاصيل ينظر :
فهد ، تاريخ العراق ، ص ٣٤٠ - ٣٥٠ .

(١) البصر * كما أكد الرحالة ابن سعيد المغربي المتوفي (٦٨٥ هـ /
 (٢) ١٢٨٦م) * هذا الوصف وقال : ((هي بلد نخل وفيها البنفسج العراقي))
 ويبدو أنها ظلت هكذا محتفظة بنخيلها حيث أيداه ابن بطوطة (٣) المتوفى
 في (المائة الثامنة للهجرة) وقال : ((وأسواقها حسان * وأكثر ما يباع فيها
 النمر والسبك)) .

(٤) ثم تابع ابن جبير رحلته مارا بالحلة ووصف أسواقها وكثرة نفوسها
 وصناعاتها ونخيلها وجسرهما المعقود بسلاسل الحديدية * ما يدل على أنها
 ذات نشاط انساني متكامل * ثم انتقل بعد ذلك الى وصف الفرات وغذوة
 مائه * وكذلك وصف طريق الحلة الى بغداد وقراء والعمارات المحيطة بجانيبيه
 بينما وشالا ما يبهج النفس ويريحها * ثم تابع تفاصيله عن الطريق بعد الحلة
 فوصف كثرة قناطره المعترضة على الأنهر والجداول ما يعرقل سير الحاج
 فيتوزعون على القناطر .

وفي أثناء مسيره برقريمة واقعة على ضفاف أحد فروع الفرات
 تسمى (القنطرة) * فيها قنطرة سميت القرية بأسمها وتسمى كذلك
 بـ (حصن بشير) وانها جميلة وذات * وقع فسيح وبهاها متوافرة وماتنها
 كثيرة * كما لاحظ انشغال سكانها بصائد الشعير ما يدل على خصبها وبهاها
 المتنوعة * ثم تابع مسيره حتى نزل بقرية أخرى تدعى (الفرائس) وهي أيضا
 ذات خصب وجمال وسعة وبهاها وافرة ومارتها قاشة وبهاطة بمحزام
 أخضر جميل المنظر أضاف لها بهاءا وجمالا .

(١) ابن جبير : رحلة * ص ١٦٩ * وينظر : لسترنج : بلدان الخلافة *
 ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) كتاب الجغرافيا * (الجزائر / ١٩٨٢م) * ص ١٥٦ .

(٣) تحفة النظائر ١ / ٢٣٨ .

(٤) رحلة * ص ١٦٩ - ١٧١ .

ويبدو من خلال هذا الوصف ان قرى هذا الطريق ذات زراعية

(١)

وخصوصة وجمال * ثم رحل ابن جبير من القرية السابقة ونزل بقرية (زيرران) التي قال عنها بأنها أجمل قرى الارض وأحسنها منظرا ومساحتها واسعة وساتينها كثيرة الاشجار وغبات النخيل * وأجل ما في هذه القرية موقعها بين الفرات من الغرب ودجلة من الشرق وهي بينهما كالعروس التي تنتظر زفافها * كما ان فيها سوقا يضا هي اسواق المدن في اكتماله ونشاطه .

ثم ذكر قرية اخرى اسمها (صرصر) وقال بأنها تشبه (زيرران) من ناحية وصفها حيث يمر بقريةها فرع من نهر الفرات * وعليه جسر حديدي شبيه بجسر الحلة * وفي هذه القرية ايضا سوق متكاملة تسد حاجة أهلها وان هذه القرية بجمالها وهدوئها وسوقها تطمن لها النفس وترتاح لمنظرها . (٢)

اننا ومن خلال ما زودنا به الرحالة من معلومات عن هذه الجهة من العراق بين القادسية وبغداد يتضح لنا انها كانت زراعية وطامة بالسكان فضلا عن قيام أهلها بشايات اقتصادية اخرى بدليل قيام أسواقها التي تضاهاى اسواق المدن . عدا الخراب الذي عم القسم الغربي من الكوفة .

وعند وصول ابن جبير ببغداد وصفها مثلاً رآها كذلك وصفا ونقدا وبين انها تتكون من جانبين شرقي وغربي * وان الجانب الغربي عمه السخراب * الا انه ظل محتفظا بمع ذلك بزراعته وفيه الكثير من البساتين ذات الاشجار المنوعة الكثيرة والتي تزود الجانب الشرقي من بغداد بحاجته من الفواكه والخضر . (٣)

وقد ايد هذا الوصف الرحالة ابن سعيد المغربي^(٤) في وصفه لبغداد ومبانيها وزراعتها التي تكاد لاتمد حاجتها من الوان الفواكه والخضر حتى تأتيتها من

(١) رحلة * ص ١٧٢ . زيرران * قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ * وبها قبر الشيخ الصالح الزاهد علي بن ابي نصر الهيني المتوفى (١١٦٨هـ / ١١٦٨م) وعليه قبة تزار وتندرج لها الذورى (الحموى : معجم البلدان ٣ / ١٤٠) .

(٢) نفسه * ص ١٧٣ .

(٣) نفسه * ص ١٨١ .

(٤) الجغرافيا * ص ١٥٨ .

الريف المحيط بها وباقي اطراف العراق * كما بين أن التمر رخيص فيها
وانه ياتنها من البصرة * كما يصل اليها الرز وقصب السكر من البطائح والتفاح
والعنب الرازقي والليمون اليعقوبي من واسط * كما ذكر الانهار المحيطة بجانبها
الشرقي والغربي ومنها (نهر عيسى والملك والنهروان ودجيل) المارة الذكر والتي
لا بد انها كانت مستغلة للرى والزراعة بما يوحى بأن ريف بغداد الشرقي والغربي
عابر بالزراعة وذلك لكثرة هذه الجداول والانهار المحيطة بها ما ينسجم مع
وصف الرحالة البار الذكور .

ثم واصل رحلته ابن جبير (١) متجها شمالا الى الموصل حيث ذكر
بيته بأحدى قرى بغداد قرب دجيل الذي يتفرع من دجلة ويسقي القرى المحيطة
به كلها * حتى وصل مكانا بالقرب من قرية (الحرية) ولعلها هي (حربي) ووصف
سعتها وخصوبتها الزراعية * كما ذكرها المستشرق لسترنج (٢) ايضا وقال :
((وظل طسوج (٣) دجيل ودينته حربي حتى المائتين للهجرة / الرابعة عشر
للميلاد * في غاية الخصب وكان رمانه أجود ما يرى في اسواق بغداد)) ومن قرى
دجيل الزراعية أيضا بلدة (اوانا) (٤) التي تشتهر بخصوبتها وكثرة بساتينها
وشجرها ما يدل على أن هذه المنطقة المحصورة بين دجيل واعمالها الى بغداد
زراعية وذات محاصيل متنوعة .

(١) رحلة * ص ١٨٦ .

(٢) بلدان الخلافة * ص ٧٤ .

(٣) والطسوج يعني المنطقة الزراعية * ويذكر ان سواد العراق قسم الى
(٦٠) طسوجا وكل طسوج له اسم معين * كما انه يعني جزءا من اربعة
وعشرين جزءا من الدينار * (الحوى : معجم البلدان ٣٨/١) .

(٤) ابن عبد الحق : مرآة ١٢٨/١ .

ثم تحرك شمالا ابن جبير ونزل بالقرب من حصن المعشوق المقابل لمدينة
سانراء في الضفة الشرقية التي كانت خرابا آنذاك ووصفها بأنها ((عبدة من
راى)) (١) . ويبدو أنها خربت على اثر خراب النهر وانات المارة الذكر . وبعد
استراحة قصيرة واصل ابن جبير سيره حتى وصل تكريت ووصف أهلها وسكانها
كما بين ان دجلة تمر من وسطها^(٢) مما يشير الى انها منطقة زراعية ، الا انه
لم يذكر مزارعها ، وهكذا تابع ابن جبير رحلته شمالا واصفا المدن والقسرى
التي مر بها حتى وصل الى الموصل .

لنا ومن خلاصة وصف الرحالة المار ذكرهم وبخاصة ابن جبير اتضح لنا
ان المنطقة المحصورة بين تكريت شمالا حتى بغداد مرورا بدجيل وأعماله تعد منطقة
زراعية جيدة حافظت على حيويتها ونشاطها الزراعي . ويرد ذلك الى نشاط
أهلها أولا وخصوبة أرضها وتوافر مياهها ثانيا . اما عن حالة الزراعة وحاصلها
في القسم الاوسط من العراق وبخاصة في منطقة واسط وصفها ياقوت المتوفى^(٣)
(٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) وقال : ((بلدة عظيمة ذات رساتيق وقرى كثيرة ومساتين
ونخيل يفوق الحصر)) مما يشير الى ان زراعتها وافرة الانتاج بدليل هبوط
مستوى الاسعار والرخس فيها على نحو ليس له مثيل وبخاصة في المنتجات الزراعية
والحيوانية ، وذكر لنا قائمة من الاسعار لبعض هذه المنتجات ومنها (٤) :

- (١) ابن جبير : رحلة ، ص ١٨٦ .
- (٢) نفسه : ص ١٨٦ ويذكر أن تكريت تشتهر بزراعة السسم والبطيخ الذي
يزرع ثلاث مرات في السنة (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٨١)
- (٣) ~~هجم البلدان~~ ٣٥٠/٥ وينظر لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٩ - ٦٠
الرسائق : يعني التنظير والنظام . كما انه يشير الى كل موضع قيمته
مزارع وقرى (الحموي : معجم البلدان : ٣٧/١ - ٣٨)
- (٤) الحموي : نفسه ١٥٠/٥ والرطل البغدادي الشرقي قيمته ١٣٠ درهم
و = ٤٠٦/٢٥ غم (هنتس ، فالتر : الكايل والاوزان الاسلامية وما
يعادلها في النظام المتري ، عمان ١٩٢٠م ، ص ٣٥) .

كوز زبد	بدرهمين
١٢ دجاجة	بدرهم
٢٤ فرج	=
١٢ رطل سن	=
٤٠ رطل خبر	=
١٥٠ رطل لبن	=
١٠٠ رطل سبك	=

أما المنطقة المستدة بين واسط والبصرة فتسمى (البطائح) والبطائح :
مفردها بطيحة ولانتشار المياه فيها واتساع رقعتها سميت بطائح ، لأن الماء
تطح وينتشر في الأرض . وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة كانت قديما قرى
متصلة وأرضها طيرة (١) . ولكون أرض البطائح مائية فأنها تكون صالحة لزراعة
الرز والقصب الذي يستفاد منه عدة استعمالات منزلية كصناعة الحصران والورق وقد
استخدمه العراقيون للكتابة في أوقات متقدمة من التاريخ ، كما يمكن ان تنبت
فيها الكثير من النباتات المائية المختلفة اذ يمكن أن تكون خير صدر لعلف
الحيوانات التي تعيش في منطقة البطيحة ، وبخاصة قطعان الجابوس التي
تعد هذه المناطق خير مكان ملائم لمعيشتها ، وبذلك تكون البطيحة مصدرا
للمنتجات الحيوانية كاللبن والزبد والقيمير الذي تحتاج اليه كل المدن وخاصة
بغداد بشكل خاص لكثافة سكانها (٢) . ويتضح من ذلك ان هذه المنطقة غير خالية
من النشاط الاقتصادي على الرغم من رداءة مناخها وبهيتها المبرودة يختلف الامراض

(١) الحموي : معجم البلدان ٤٥٠/١ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٧ ،
ابن عبد الحق : مرصد ٢٠٦/١ .

(٢) سترك : مادة (البطيحة) ، دائرة المعارف الاسلاميه ، ترجمة محمد
ثابت القندي وآخرون ، ج ٣ ، (لا ١٩٣٣ م) ، ص ٦٩٠ .

التي تجعل من البطائح مناطق غير صالحة للسكن الا لأصحاب الجاموس

وقطاع الطرق والهاربين عن انظار الحكومة الذين وجدوا من البطائح خير مخبأ
لهم .

اما البصرة وهي المدينة القديمة التي بناها المسلمون والتي
حافظت على مكانتها التاريخية عبر المنين ، ومن مدنها الجيلة الابلس
التي ابدع في وصفها القزويني^(١) وقال: ((نظرة الاشجار متجاورة الاطيار
متدفقة الانهار ، مؤنقة الرياض والازهار ، لاتقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين
القرى من خلال اشجارها)) . وهي احد أفضل منتزهات العالم الجيلة وذلك
لوقوعها بين نهر الفيز ونهر معقل ونهر الابلّة ودجلة ، ومن أكثر فواكه البصرة^(٢)
التمر حتى قيل انه يبقى متروكاً على الارض قبل تصديره^(٣) وقال في ذلك ابن بطوطة^(٤)
المتوفى في (المائة الثامنة للهجرة) بأنها: ((ذات البساتين الكثيرة والفواكه الاثيرة
توفر قسماً من الخضار والخصب . . . وليس في الدنيا أكثر نخل منها ، فبيع التمر
في سوقها بحساب أربعة عشر رطلاً عراقية بدرهم)) وهذا دليل على كثرة نخليها
ما ادى الى رخص الترفيهها .

ووجه الخليفة عناية بالغلة بالزراعة والري وحضر الانهار لزراعة
كميات الانتاج الزراعي بدليل كرمه الفياض وهباته الكثيرة والذي لا بد ان يكون اقتصاده
قويًا ومستنداً على قاعدة مادية جيدة جعلت من مهده عهد خير ورخاء وقد اشار
الى ذلك ابن الطقطقي^(٥) وقال : ((كانت ايامه طيبة والدنيا في زمانه ساكنة
والخيرات دارة والاعمال عامرة)) .

-
- (١) آثار البلاد ، ص ٢٨٦ .
(٢) ابن سعيد المغربي : الجغرافيا ، ص ١٥٩ ، ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٥٢ .
(٣) النويري : نهاية الارب ١ / ٣٥٩ .
(٤) تحفة النظار ١ / ٢٠٢ .
(٥) الفخري ، ص ٢٦٧ .

ثانيها : الصناعة :

لقد عرف العرب الكثير من الصناعات في العصور القديمة ، وقد وجدت أغلب آثارها في أقدم القرى والمدن الأثرية ، والعراق كما هو معروف مهد الحضارات القديمة كالسومرية والأكديّة والبابليّة والآشورية حيث وجد قسم من تراث هذه الحضارات وصناعاتها القديمة كالمنسوجات ومخلفات البناء والنقش والزجاج والصوفا في المتحف العراقي . كما يمكن القول ان قسما من هذه الصناعات استمرت في الانتاج الى ما بعد عصرها والعصور التالية لها مروراً بالعصر العباسي ، وذلك للتقدم الذي اصاب مختلف مناحي الحياة ، وقد ساعدت على ذلك عدة أسباب منها توافر المواد الأولية التي تستخدم لأغراض الصناعة فضلا عن موقع العراق على طرق التجارة الرئيسية في الشرق والغرب ، فكان العراق مركزا لكثير من الصناعات المهمة آنذاك كالمنسوجات الورق والزجاج ، وقد وصفه ابن الفقيه (١) بأنه ((قلب الارض وخزانة الملك الاعظم)) وقال كذلك في وصف بغداد : ((قل في عجائب بغداد ما شئت التي قد اجتمع فيها ، ما هو متفرق في جميع الاقاليم من انواع التجارات والصناعات)) (٢) مما يوضح ان بغداد كانت ولا تزال مركزا للصناعة والتجارة منذ تأسيسها حتى زمن المستنصر بالله .

اما اهم الصناعات التي كانت موجودة وتطورت واستمرت الى ما بعد احتلال بغداد وربما بقي قسم منها محافظا على وجوده الى الان فهي :

١ - صناعة النسيج والحرير :

ان صناعة الملابس كانت مشهورة في العصر العباسي ، وكانت تنج من القطن والحرير والصوف ، وكان يستخدم فيها الالوان والتطريز والخطوط ، وقد افادنا الاقدمون والرحالة عن وجود هذه الصناعات ومناطق تركيزها .

(١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، (ليدن / ١٣٠٢) ، ص ٢٥٢ .

(٢) نفسه ، ص ٢٥٢ .

فأشار ابن الفقيه^(١) الى صناعة الثياب البيض ، كما ذكر المقدسي^(٢)

الأبله صناعة ثياب الكتان المقصبة ، وكذلك ذكر الكوفة وفيها صناعة
عائم الخبز والبنفسج وجودتها وكذلك بغداد صناعة الطرائف والسوان
ثياب القنز .

وبالنعمانية تصنع الأكسية وثياب الصوف كما اشار الى سترور واسط .

وأكد ابن جبير^(٣) تواصل هذه الصناعة ، وبين أسماء المحلات للثياب العتابية
المصنوعة من الحرير والقطن وهي محلة العتابية والحرية . وجاء في معجم البلدان^(٤)

قرية (باقداري) وهي من قرى بغداد قرب قرية أوانا حيث تصنع فيها الثياب
القطنية التي يضرب المثل في جودتها عند أهل بغداد ، وكذلك (الحظيرة)^(٥)

فهي قرية كبيرة شمالي بغداد من جهة تكريت ، يصنع فيها نوع من الثياب
(الكراس الصفيق الناعم) التي ينقلها التجار الى كافة أنحاء العراق ، كما
ينقلون قسا منه الى خارج البلاد للتصدير ، و (حربي)^(٦) بين بغداد وتكريت

مقابل الحظيرة صنعت فيها الثياب القطنية الغليظة التي تنقل الى كل أنحاء
البلاد ، كما تعمل الثياب (التسترية)^(٧) في محلة التستريون في الجانب

الغربي من بغداد بين دجلة وباب البصرة والثياب (النرسية) نسبة الى نهر نمرس^(٨)
بنواحي الكوفة ، وكذلك (السبئية)^(٩) المصنوعة من الكتان الغليظ ، وهي

(١) ابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٢) المقدسي البشاري : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (لیدن / ١٩٠٦ م) ،
ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) رحلة ص ١٨٠ والثياب العتابية تكون مخططة بحمرة وصفرة جميلة المنظر
وشبيهة بالبطنج الهندي الذي يسميه أهل العراق بـ (الشام) (ابن البيطار :
الجامع لفردات الادوية والاعذية مج ١ ، بغداد / لا . ت ، ص ١٠١)

(٤) الحموي ، ٣٢٢/١ .

(٥) نفسه ٢٢٤/٢ .

(٦) نفسه ٢٣٢/٢ .

(٧) نفسه ٣١/٢ ، ابن عبد الحق : مرصد ٢٦٢/١ .

(٨) نفسه ٢٨٠/٥ .

(٩) نفسه ١٨٦/٣ .

نسبة الى قرية (سبن) من قرى بغداد ، كما ان هناك ثيابا عراقية لها شهرة عالمية معروفة بالخارج تسمى (النصافي) البغدادية .^(١)

كما ذكر ابن الفوطي^(٢) ما يدل على وجود صناعة الثياب في عهد

ال خليفة المستنصر بالله في عدة مواضع من كتابه الحوادث الجامعة .
اما ثوب (السقلاطون)^(٣) الذي ظهر في القرنين (السابع والثامن للهجرة)

فانه كان يعد في أوروبا من أفخر ملبوسات الذوات من السيدات والفرسان في اسبانيه ، كما ان أفخر انواع ثياب (السقلاطونيات) تصنع في بغداد ويصدر منها الى أوروبا وان غالب الواضع الوردى^(٤) .

وهناك صنعة أخرى تتعلق بصناعة النسيج هي (الخياطة) المكنية لها ، وقد ظلت مستمرة الى العصر الحاضر فأورد صاحب الحوادث^(٥) عن بعض الخياطين الماهرين وهو علي بن أبي الفوارس الخياط المعروف (بالبريارك) انه جاء ببغداد وسكنها ، وكان ماهرا في فن الخياطة ، حتى قيل ان الامير (الأرنباي) احد امراء المماليك استدعاه يوما وجلب له ثوبا اطلس قد اشتط صاحبه ثمنه فقال : أنا أخطمه دون أن أقطعه فأمر رضي صاحبه بما يعطى له من الثمن أو أرده اليه فقال له افعل ذلك ، ففعل وجاء صاحبه وأصر الاشتطاط في الثمن ، ففتش الثوب ورده اليه فلما شاهد صاحبه سليما رضي به .

(١) القلقشندي : صبح ١٠٢/٥ .

(٢) ص ٧٩ - ٨٠ ١١٨٠ ٩٤٠ .

(٣) نوع من الثياب ، (ابن منظور) لسان ، ص ٩ مادة ، حلط ، ص ١٩٢ .
وقيل انه نسيج حريري يوردي اللون .

(٤) غنيمة / يوسف (صناعات العراق في عهد العباسيين) مجلة غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، السنة ٤ ، بغداد / ١٩٤١ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٨ .

(٥) ابن الفوطي : ص ٢٢٠ ، فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٦٨ .

٢ - صناعة الصبغة :

ان صناعة النسيج تعد وحدها ناقصة وليست ذات قيمة كبيرة بدون معرفة (الصبغة) اللازمة لها . وذلك لما يتطلبه أى نسيج سواء أكان من الصوف أم القطن أم الكتان أم الحرير من الاصباغ والالوان التي تضيف الى القماش الواناً زاهية وجبيلة أو قاتمة أو أى شكل من الاشكال وحسب الحاجة^(١) . وكان التجار العراقيون يقطعون المسافات البعيدة جداً للحصول على بعض الأصباغ كـ (النيل) الذي يجلب من جهة الهند ويبيع للصبغين لاستخدامه في محلاتهم^(٢) .

وما يدل على استخدام العباسيين لالوان أخرى غير السواد الذي هو شعارهم الرسمي ، ذكر ابن الفوطي^(٣) في حوادث سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) ومناسبة افتتاح المستنصر للدرسة المستنصرية انه خلع على المدرسين فيها يحيى الدين أبى عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي ورشيد الدين ابو حفص عمر بن محمد الفرغاني الحنفي جبة (سوداء) وطرحه^(٤) (كحلية لكل منهما) . مما يدل على وجود هذه الصناعة في بغداد ، وقد اشتهرت بها مشرعة الصباغين^(٥) ، كما اشتهرت قرية (الكرخي) بصناعة الثياب الابرصية بالوانه المختلفة^(٦) . كما كان يصنع الحرير بلونيه (الاخضر والاحمر) والذي كان منه يبعث الناصر لدين الله

(١) غنيمة (صناعات العراق) غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، ١٩٤١م ، ص ٥٦٨ .

(٢) فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٦٦ .

(٣) الصحاح ، ص ٥٥ .

(٤) الطرحه : قماش صنوع من الشاش الموصل يشبه الخمار ويوضع على الكتفين ، وقد كانت الطرحه زى القضاة الخاص وشعاراً مميزاً لقاضي القضاة (دوزي) المعجم الفصل ، ص ١٢) .

(٥) غنيمة (صناعات العراق) غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، ١٩٤١م ، ص ٥٦٩ .

(٦) عبد الله : ريف بغداد ، ص ٣٠١ .

الى مكة لأكباء البيت الحرام^(١) كما اشتهرت واسط بصناعة (صيغ القرمز)^(٢) .
وما يدل على ان بغداد اشتهرت قديما بصناعة الثياب وقصرها وصبنها
اشار الاصطخري^(٣) الى ان في منطقة نهر (تيرى) في غريستان ثيابا تشببه
الثياب البغدادية كانت ترسل الى بغداد لتتصر وتصبغ فيها مما يدل على
وجود هذه الصناعة وتقدمها في بغداد .

٣ - صناعة الورق :

ان صناعة الورق هي من الصناعات القديمة في العراق ، وقد
تطورت باستمرار مع الزمن حتى ظهرت بشكلها المعروف .
وكما هو معروف ان العراق كان مهد الحضارة الاسلامية ، فقد
نشطت فيه صناعة الوراقين وكل ما يتعلق بأمور صناعة الكتب والداوين والمسجلات
حتى بلغت حد الكمال والجودة فيها ، أيام ازدهاره ونضج الحضارة فيه قبل
غزوه ووقوعه تحت الاحتلال الاجنبي المغولي^(٤) ومن أشهر الورق الذي كان
يصنع انذاك الكاغد (البغدادي والثلاث)^(٥) اذ ان صناعته كانت تتركز في
بغداد في محلة (دار القز) الواقعة في أطراف بغداد^(٦) لكون السورق
من المستلزمات الضرورية للدراسة في المستنصرية فقد اهتم الخليفة المستنصر بالله في
توفيره لدارسها^(٧) ، وربما كان يصنع في بغداد أو كان يجلب من الخارج .

-
- (١) ابن جبير : رحلة ص ٥٤ .
(٢) غنية (صناعات العراق) غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، ١٩٤١ ص ٥٦٩ .
(٣) المسالك والممالك ، ص ٦٥ .
(٤) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣٥٢/١ .
(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، نقل وتصحيح امروء
القيس بن الطحان ، ج ١ ، (لا م / ١٨٨٢ م) ، ص ١٩٧ .
(٦) الحوى : معجم البلدان ٤٢٢/٢ .
(٧) الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٠٦ .

٤ - صناعة الصبغة (الذهب) :

وهي من الصناعات القديمة التي لم تنقرض ، وقد ظلت في حالة نمو وتطور حتى يومنا هذا . والمتحف العراقي ودار الآثار يحتويان على الكثير من النقائس والتحف الذهبية التي ترجع الى ازمان مختلفة في التاريخ اما في العهد العباسي فانها سارت جنباً الى جنب مع تعرف الخلفاء العباسيين وحاجات نسائهم والاغنياء كذلك ^(١) ، وكانت هذه الصناعة منتشرة في أغلب مدن العراق لاسيما بغداد حيث كان فيها (سوق الصاغنة) و (دار الريحانيين) ^(٢) و (النعمانية) ^(٣) . وكما هو معروف اشتهر في هذه الصناعة اهل الدقة اكثر من غيرهم وكان ربحهم منها وفيراً حتى اصبحوا اكثر الناس ثراء . وقد استمرت هذه الصناعة حتى زمن الخليفة المستنصر ، حيث اشار اليها صاحب الحوادث الجامعة ^(٤) في عدة مواضع ، ومنها في اثناء وصفه للمدرسة المستنصرية فقال : ((وبنى في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك وجعل بها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة ، وفي الدائرة بازاران من ذهب فسي طاستين من ذهب)) . كما لا يغوتنا هنا ان نذكر صناعة ضرب النقود الذهبية والفضية والتعامل بها في التجارة حيث ان الكثير منها يعود الى زمن الخلفاء العباسيين المتأخرين ومنهم المستنصر بالله ^(٥) .

(١) غنيمة (صناعات العراق) ، غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، ١٩٤١ ، ص ٥٢٤ .

(٢) دار كائنة في دار الخلافة ببغداد ومشرفة على سوق الريحان كان فيها سبعة عشر دكاناً لصاغنة الذهب (الحموي : معجم البلدان ٢/٤٢٠) .

(٣) بلدة صغيرة على ضفة دجلة بين واسط وبغداد فيها سوق للذهب وكهبات كبيرة منه (الحموي : معجم البلدان ٥/٢٩٤) .

(٤) ابن الفوطي ، ص ٨٣ وتنظر من الكتاب الصفحات ٧٩ ، ٩٣ .

(٥) خصباك : العراق ، ص ١٢٩ .

٥ - صناعة الزجاج :

وهي من الصناعات القديمة ايضا وقد تطورت مع الزمن ، اذ ذكرها ابن الفقيه في ذكره للعراق وقال ((ولهم الذي لا يشركهم فيه أحد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الاقداح والاقحاف والكاسات والغضائر الحجرية)) (١) .

كما ان شهرة الزجاج العراقي تعدت حدود العراق ووصلت الى الكعبة الشريفة ، حيث ادخل ضمن بناء ستورها ، شاهد ، ابن جبير (٢) في اثناء زيارته لها وبين ان أحد ستورها له خمسة شبابيك فيها زجاج هراقي جميل الصنع ويديع النقش . ولم تقتصر شهرته على العالم العربي بل تعدته الى بلدان أخرى حيث شاهد ، ابن بطوطه (٣) في خوارزم مصنعا على هيئة أواني زجاجية ، وصل كذلك الى اسبانيا ويعرف هناك باسم Iragae أو Iragae (٤) ، ومن مراكز صناعته في العراق (القادسية) (٥) التي هي قرية كبيرة من اعمال دجيل بين حربي وسامراء ، كما كانت تصنع في (القرارة) من ضواحي بغداد القوارير والتحف (٦) وأخيرا الزجاج وهي من الصناعات التي بقيت حية ومتطورة طيلة العصور الاسلامية .

(١) مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٢) رحلة ، ص ٥٥٤ .

(٣) تحفة النظار ١/٤٠٣ .

(٤) غنيمة (صناعات العراق) غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، ١٩٤١ ، ص ٥٥٢٢ .

(٥) الحموي : معجم البلدان ٤/٢٩٣ .

(٦) غنيمة (صناعات العراق) ، غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، ١٩٤١ ، ص ٥٥٢٣ .

٦ - صناعة الصابون :

عرف الصابون في العراق في العهد العباسي واستمرت صناعته واستخدامه الى اليوم كذلك . وقد ذكره ابن الجوزي^(١) في اثناء وصفه لحمامات بغداد وكمية استهلاكها من الصابون . كما جاء ذكر الصابون الرقي في (القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد) عن لسان الطبيب النصراني أمين الدولة بن التلميد انه قال لغلالم : ((يا غلام هات الطست . فاحضر طمستا مفضضا وقطعة صابون رقي كبيرة وسكب الماء عليه وهو يعمل يديه فارغى الصابون ٠٠٠))^(٢) كما كان شائعا استخدامه في عهد الخليفة الناصر لدين الله حيث أورده ابن الفوطي^(٣) في حوادث (سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) عندما صب سنقر الطويل الماء على يد الخليفة وسقطت الصابونة منه واعطاء غيرها .

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله يذكر انه أمر بتوزيعه على طـــــــلاب المستنصرية ضمن تخصيصاته لهم^(٤) مما يدل على شيوع استعماله آنذاك . ولانعلم اماكن صناعته سواء في بغداد أم في غيرها .

٧ - صناعات اخرى :

هناك بعض الصناعات الاخرى التي كانت شائعة قبل العصر العباسي وقد استمر انتاجها واستخدامها الى ما بعد عصر المستنصر . ومن هذه الصناعات (صناعة الحديد) التي أشار اليها صاحب الحوادث^(٥) ضمن حوادث سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) وذكر أنه فتح باب في حائط دار الوزارة ووضع فيه شبك من الحديد

(١) مناقب بغداد . نشر . محمد بهجة الاثرى . (بغداد / ١٣٤٢) ص ٢٤ .

(٢) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ١ / ٢٦٤ .

(٣) الحوادث ص ٢١٥ .

(٤) نفسه ص ٥٨ .

(٥) نفسه ص ٢٤ .

وجلس فيه مؤيد الدين بن القبي نائب الوزارة واستعرض الجيش نيابة عن
الخليفة .

ومن الصناعات الحديدية الأخرى : صناعة الأسلحة بأنواعها
كالمجسمات والسيفوف والزرديات والخوذ^(١) ، ويذكر أن لها
سوقاً خاصاً في بغداد يعرف بـ (سوق الأسلحة)^(٢) .

ويبدو أنه كان في العراق بعض الصناعات الحديدية الأخرى مما جعل
التجار يأتون إلى العراق ويتاجرون به إلى بلادهم ، ومنهم الشاعر البحراني بن
المقرب العيوني المتوفي (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) الذي اشترى حديداً من بغداد
واتجه به يريد بلاده ماراً بواسطه فاستوقفه فيها (صاحب المكس) (الضريبة)
واخذ منه مكساً كبيراً يقدر بنصف ثمن الحديد مما أغضب الشاعر وهجاء بقصيدة لاذعة
طويله منها^(٣) :

بع واسطاً بالنائى والهجر ودع المرور بها إلى الجسر
ارض يدورها ابن صائبة شابت بفارقها على الكفر
...

واعنت قطاع الطريق على فقر التجار وخيبة السفر
نصف البضاعة حين تظفرها مكس لقد بالفت في النكر
خنت الخليفة في رعيته وعصيته في السر والجهر
ويبدو من خلال هذه القصيدة أن تصرف صاحب المكس في مضاعفة المكس
وزيادته على التجار تصرف شخصي بدون علم الخليفة أو ولاية الإصرار .

(١) مسبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٢ / ٥٢٣ .

(٢) ابن الجوزي : مناقب بغداد ، ص ٢٧ .

(٣) ابن مقرب العيوني : ديوانه ، تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو

(القاهرة / ١٩٦٣) ص ٢٢٤ - ٢٢٩ .

ومن الصناعات القديمة الاخرى صناعة الآجر أو (اللين المشوي) والذي
 تصنع منه عدة اشياء مثل (الجرار والاحباب والبساتيق) وهي تستخدم لحفظ السوائل^(١)
 كما اشتهرت بغداد بصناعة السكر والمربيات والاشربة السكرية اللذيذة والمتسازة
 بما شجع على تقليد صنعمها في بلدان اسلامية أخرى مثل دمشق والقاهرة وقرناتة
 ثم انتقلت الى اوروبا عن طريق الافرنج^(٢).

ولاشتهار البصرة بتمورها المختلفة الاشكال والانواع وزيادته عن حاجته
 استهلك أهلها دفعهم ذلك الى استغلاله في صناعة عسل لذيذ طيب الطعم
 يسمى (السيلان)^(٣).

اما صناعة الاواني والادوات الخشبية فأنهنا استمرت كذلك طيلة العصر
 العباسي والى الآن لانغيب من أعياننا سلعمها الجميلة المصنوعة من هذه المادة
 واشتهرت (دير الجاجم) بصنع اقداح الخشب حتى سميت بأسمها لان الجمجمة
 تعني (القدح من الخشب)^(٤).

وكانت في بغداد صناعة البواري (الحصران) الجميلة والمتقنة الصنع
 الى الحد الذي يضرب بها المثل^(٥) كما اشار الذهبي^(٦) الى أن المستنصر بالله
 وفر البسط والحصران لطلاب المستنصرية في قاعات المحاضرات مما يدل على
 عسوع استعمالها وصنعمها وذلك لتوافر القصب الذي كان يجلب من البطائح.
 كما كانت هناك صناعة (المراوح) التي يحتاج اليها الناس أيام الحر في موسم
 الصيف مما يزيد في اهميتها وارتفاع اسعارها^(٧).

(١) غنية (صناعات العراق) غرفة تجارة بغداد ج ٨ ص ١٩٤١ ص ٥٦٩.

(٢) نفسه ص ٥٨٠.

(٣) ابن بطوطة: تحفة النظار ٢٠٢/١.

(٤) الحموي: معجم البلدان ١٥٩/٢.

(٥) الثعالبي: شار القلوب تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة /

١٩٦٥م) ص ٥٣٨.

(٦) الذهبي: مختصر تاريخ الاسلام ورقة ٣٠٨.

(٧) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة وقف على طبعه وتصحيحه محمد

جابر الفقيه ج ١ (القاهرة / ١٩٨٢).

أما الصناعات الجلدية فمنها صناعة سروج الخيول والديباغة السني لم تنقرض بل تقدمت نحو الأفضل الى يومنا هذا . ونظرا لأهمية صناعاتها (١) آنذاك فإن إدارتها لاتعطى الا لمن المقربين من أرباب الدولة فأورد ابن المعاشي ضمن حوادث سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) أن ابا بكر يحيى المعروف بابن البراءة كان نائب الشرطه . آنذاك وكان ابوه يتولى ادارة الدبغه . ومن الصناعات الجلدية ايضا صناعة الاحذية الرجالية والنسائية التي كانت موجودة ومتقنة في هذه الفترة (٢) .

يتضح لنا من خلال هذا العرض السريع لبعض الصناعات التي مر ذكرها ان أغلبها كان موجودا قبل عهد الخليفة المستنصر بالله وواصلت ديمومتها حتى العصر الحديث . كما لاحظنا ان بعض هذه الصناعات تعدت شهرتها حدود العراق والعالم العربي الى اوربا وآسيا الصغرى وخوارزم . وأصبحت ذات شهرة عالمية وتسمى بأسماء عربية وعراقية .

أما من ناحية الدخل والمستوى المعاشي لأصحاب هذه الحرف والصناعات فإنه من الامور التي لا يمكن تقديم التفاصيل الدقيقة بخصوصها . وذلك لافتقارنا الى المؤشرات الرقمية في إصدارنا القديمة التي كان يمكن لو انها توافرت ان تكتننا من تكوين بعض الاحصاءات ولو البدائية . الا انه مما لا شك فيه أن مستويات الحياة المعاشية لهؤلاء الحرفيين تفاوتت تبعاً لنوعية حرفهم ، ولدى اقبال عامة السكان أو خاصتهم عليها وبجسم العرض المقدم للخدمات التي تخلقها تلك المهن ، ولشروط وظروف الطلب عليها . وهو مما لا يمكن الاستطرد فيه مع غياب احصاءات تاريخية قديمة بمسهوله (٣) .

(١) الجامع المختصر ٤٠/٩ .

(٢) نفسه ٦٨/٩ .

(٣) ينظر: فهد : تاريخ العراق ، ص ٣٢٤ .

ثالثا - التجارة :

فضلا عن جانب النشاط الصناعي والزراعي الآنف الذكر كانت التجارة مهنة مهمة في هذه الفترة وقبلها وتعد أحد المحاور الاساس لتقييم النشاط الاقتصادي للمجتمع فقد استمرت بحركتها ونشاطها حتى عصر الخليفة المستنصر بالله وربما لم يظهر اختلاف فيها الا في بعض المواد المستوردة أو المستوردة * كما ظلت الاسواق عامرة بأهلها وحاجة ببضاعتها^(١) بدليل وصف الرحالة والجغرافيين الذين زاروا البلاد لها خلال هذه الفترة وشاهدوا اسواقها التجارية مثل ابن جبير ونيامين التيطلي وياقوت الحموي وابن بطوطة (اما سبب ديمومة التجارة واستمرارها فانه راجع الى عدة اسباب منها دينية ومنها اجتماعية وأهمها اقتصادية لانها مريحة اكثر من غيرها ولبدية حاجة البلاط العباسي والطبقة الغنية في الكثير من الكماليات ومواد الزينة والهدايا النادرة والثمينه غير الموجودة في أسواق العراق المحلية * مما شجع التجار الى ركوب البحر وشق المسافات البعيدة طمعا في الربح مما دفع ابن خلدون الى تسمية الدولة ((السوق الاعظم للتجارة))^(٢) .

ومن الأسباب الاخرى للاقبال على التجارة حماية الدولة لأموال التجار من الاعداء وقطاع الطرق من خلال العلاقات الحسنة بين امارات الاطراف المختلفة^(٣) كما انها حافظت على كرامتهم وسمعتهم الاجتماعية * من خلال العقوبات الرادعة تجاه بعض المتربصين بسزى التجار لاغراض خادعة كالسطو والسرقة واحداث الفوضى * ومن أمثلة ذلك العقوبة التي صدرت سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) بحق رجل كبير السن بقطع يده لانه كان يتشبه بالتجار ويلبس زهم ويسكن حيهم ويسرق اموالهم

(١) فهد : تاريخ العراق * ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) الدوري * عبد العزيز * مقدمة في التاريخ * ص ٦٩ - ٧٠ .

(٣) نفسه * ص ٧٠ وينظر : الدوري : تاريخ العراق * ص ١١٠ - ١١١ .

(١) حيث كانت لديه فشايات^(١) يفتح بها ابواب المخازن ويضطو عليها^(٢) ما يدل على اهتمام الدولة بهم و مدى تغفل علاقتهم بأرباب الدولة • بحيث أصبحوا طبقة متميزة وموثرة • بل ربما أصبح لها دور كبير في سياسة الدولة • ومن الاسباب الاخرى لأقبال الناس عليها أن التجارة ظلت حرة طيلة العصور الماضية ولعصر العباسي ولم تتدخل الدولة في تعمير البضائع الا قليلا وفيما يمس اسعار المواد الغذائية وتخليص الناس من جشع التجار واستغلا لهم^(٣) ما زاد في ارباحهم ويدخلاتهم اكثر من أية مهنة أخرى • ومن الأمثلة على ذلك ما يذكر من أن اسعار المواد الغذائية ارتفعت على أثر وفاة الخليفة الظاهر وخلاعة المستنصر حتى بيعت الكارة^(٤) بثمانية عشر قيراطا^(٥) • فضارب الخليفة المستنصر بالله التجار وأمر ان تطرح الغلات التي يملكها • وتباع كل كارة • بثلاثة عشر قيراطا حتى رخصت الاسعار واستقرت السوق^(٦) •

١ - الطرق التجارية :

لقد سلك التجار العرب مختلف الطرق البرية والبحرية فقد رحلوا فيها الى أقصى الأرض غربا وشرقا حتى وصلوا الهند والصين والمغرب الأقصى والاندلس وشرق افريقيا وروسيا واربية الشرقية^(٧) • اما اهم الطرق التجارية الرئيسية للوصول الى هذه الدول فهي :

- (١) الف خاصة أو فاتيح مزورة لفتح الأبواب •
- (٢) ابن الفوطي : الحوادث • ص ١٣٠ - ١٣١ •
- (٣) غنية • يوسف : تجارة العراق قديما وحديثا • (بغداد / ١٩٢٢م) • ص ٤٦ •
- (٤) الكارة : وحدة قياس وزن تقدر بحوالي (١٢٠) لترا (هنتس : المكاييل والاوزان • ص ٦٩) •
- (٥) القيراط : يتألف غالبا من ثلاث حبات = ٢٢٣٢ ر • غم (هنتس : نفسه • ص ٤٤) •
- (٦) ابن الاثير : الكامل ٤٥٨ / ١٢ •
- (٧) غنية : تجارة العراق • ص ٤٧ • معروف • ناجي : المدخل في تاريخ الحضارة العربية • (بغداد / ١٩٦٠م) • ص ٧٠ •

آ - الطريق البحرية :

الطريق الاول : ويتجه شرقا الى الهند والصين وموانئهم

مثل (كانتون) حاملين معهم الاحجار الكريمة كالكهرب والياقوت والكافور
(١) .
بالاضافة الى العاج والعطور .

الثاني : وتملكه السفن التي تأتي من الهند مارة ببعض الموانئ

مثل سيراف حتى الخليج العربي وبناء البصرة (٢) .

الثالث : وصل الى سواحل أفريقيا وموزمبيق انطلاقا من سواحل

الجزيرة العربية عن طريق البحر الاحمر ، وهذا الطريق صالح للملاحة طول ايام

السنة ، حيث يذهب التجار الى افريقيا بحثا عن الذهب فضلا عن السلع

(٣) التجارية الاخرى .

ولامتلاك العراق نهريين كبيرين هما دجلة والفرات وصلاحيتهما للملاحة

أخذت السفن الصغيرة والمراكب والاكلاك تأتي الى بغداد المركز التجاري وطالبة

الخلافة باخرة عاب الماء ، وقاطعة مسافات بعيدة جدا من اقاصي شرق

الأرض ومغاربها كالتيامة والهند وأفريقية وأرمينية واذربجان والصين واروبا (٤) .

ب - الطريق البرية :

ومركزها بغداد التي أصبحت أشبه بنجمة تتشعب منها الخطوط الى كل

جهات الافق الاربع شمالا وجنوبا وشرقا وغربا (٥) . اما اهم هذه الطرق :

(١) معروف : المدخل ص ٦٩ - ٧٠

(٢) غنيمية : تجارة العراق ص ٤٨ .

(٣) معروف : المدخل ص ٧٠

(٤) غنيمية : تجارة العراق ص ٤٩ - ٥٠

(٥) بصرى ص ٣ (العراق طريق تجاري طالي) مجلة غرفة تجارة بغداد ،

العدد ٨ السنة ٣ ، بغداد ١٩٤٠ م ، ص ٦٩٢ .

- ١ - الطريق الشرقي : الذي يبدأ من بسفداد ويتجه شرقا الى حلوان مقتفيا أثر طريق خراسان القديم الذي يبدأ ببغداد وهدان وقزوين ونيسابور وسمرقند وينتهي بسمرقند ثم ينقسم الى قسمين : شمالا الى خوارزم وشرقا الى الصين^(١) . وكان للمرب تجارة مع روسيا وشرقي أوروبا وذلك من خلال النقود التي شرطيها هناك في حوض البلطيق . اما اهم السلع التي كانوا يجلبونها من هناك فهي الرقيق والسيوف والفرو والشمع والقلانس والصوف فضلا عن ملح اخرى نادرة^(٢) .
- ٢ - طريق بغداد الأحواز : وتخرج فيه القوافل من بغداد مارة بواسط والبصرة ثم تتجه شرقا الى الأحواز^(٣) .
- ٣ - طريق الحج : وهو ليس طريقا واحدا معبدا وانما كانت القوافل تسلك فيه اقصر الطرق في الوصول اليه . منها ما يتجه الى الكوفة والقادسية ثم الى ديار الحج ومنها ما يسلك طريق البصرة ثم تتجه غربا وتلتقي مع الطرق المسلوكة داخل الجزيرة العربية^(٤) .
- ٤ - وهناك طرق اخرى تنطلق من بغداد منها : يتجه الى سوريا وبلاد الشام بمحاذاة الفرات مارة بالأنهار وحديشة وعانة ومنها ما يتجه شمالا بمحاذاة دجلة مارا بتكريت والموصل والجزيرة^(٥) .
- ولنشاسط العرب المعروف بالتجارة وحبيهم لها ومغامراتهم في قطع فيافي الصحراء ومخبرهم لعباب البحر من أجل الوصول الى غاياتهم في الربح مما أوجب

(١) معروف : المدخل ، ص ٧٠ وينظر : لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) معروف : المدخل ، ص ٧٠ .

(٣) غنية : تجارة العراق ، ص ٥٠ .

(٤) نفسه ، ص ٥٠ .

(٥) نفسه ، ص ٥٠ .

الاستطلاع ووصفهم لكثير من البلدان التي مروا بها ، فقد انشأوا لهم مراكز ومحطات تجارية على الطرق البرية والبحرية ، وذلك تسهيلا لمهامهم التجارية هذه . منها ما كان في مجلباسنة ومراكش غربا حيث كانت هناك جالية عراقية من تجار البصرة ، كما كان لهم شرقا جالية عراقية اخرى في سمرقند . واخرى في مصر من اليهود العراقيين الذين أسسوا محطة هناك لمنفعة تجار العراق ^(١) .

٢ - المراكز التجارية : وتشمل في :

آ - بغداد : هي عاصمة الخلافة والمركز التجاري الرئيس فيها ، ولها اهمية اقتصادية معروفة فضلا عن اهميتها الثقافية ، وذلك لعدة أسباب : منها انها كانت ولا تزال تقع على ملتقى الطرق التجارية البرية والنهرية الداخلية ، كما انها محطة مركزية مهمة في خطوط التجارة العالمية حيث يأتيها التجار من انحاء العالم كافة ، للتزود من بضائعها والاتجار معها ، فكانت أسواقها طامة يبيضاعتها وتنعج بالتجار الغرباء القادمين من مختلف أنحاء المعمورة .

وقد وصف التجار والجغرافيون أسواقها وبضائعها وتجارها يوم زاروها ابان ازدهارها في هذه الفترة ، وكذلك عند تخريب المغول لها بعد ان استعادت هافيتها ونشاطها الثقافي والاقتصادي من جديد . ومن هؤلاء الرحالة المارين الذكر (بنيامين التطيلي) ^(٢) الذي وصف تجارتها وعلاقاتها الواسعة مع العالم وقال : ((ولها تجارة واسعة يقصدها التجار من جميع اقطار العالم للبيع والشراء)) مما يدل أن لها شهرة ومكانة عالمية مرموقة من الناحية التجارية . بالإضافة الى كونها سوقا رئيسيا ومخزنا تموينيا للقرى المحيطة بها ^(٣) مما يعكس انطبعا طيبا عن الازدهار والتقدم

(١) معروف : المدخل ، ص ٧١ .

(٢) رحلة بنيامين ، ص ١٣٩ .

(٣) الدوري : تاريخ العراق ، ص ١٣٣ .

الحضارى والعلاقة الحسنة بين بغداد وريفها في هذه الفترة .
 ومن الاسواق التي وصفت ضمن مشاهدات الرحالة ابن جبير^(١) في
 اثناء مروره فيها سوق (زيران) وسوق قرية (صرصر) ومن محلات بغداد
 واسواقها (العتابية) التي تصنع فيها الثياب (العتابية) والتي ينقلها
 التجار الى بقية مدن العراق والى اورشليم حيث لها شهرة واسعة هناك .
 وذكر ياقوت الحموي^(٢) بعض اسواق بغداد ومحلاتها مثل (التستريون) التي
 تصنع بها الثياب التسترية وسوق (تتش) قرب المدرسة النظامية ويقال
 له (العقار التتشي) . كما تشتهر بلدة (البندنجين) الواقعة في^(٣)
 طرف النهر وان سمعتها ومحلاتها المتهايدة البنيان وسوقها الجميل .

ومن الرحالة الذين وصفوا بغداد وشاهدوا اسواقها وضاعتها بعد ان
 استعادت نشاطها اثر الغزو المغولي ابن سعيد المغربي المتوفي (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)^(٤)
 والذي وصف بغداد وممارتها واسواقها الرخيصة التمر لكثرة ان يجلب
 لها من البصرة كما انها تستورد الرز وقصب السكر من البطائح ومن واسط
 الفخج الواسطي والعنب الرازي والنارج والليمون . مما يوضح عمق الصلة
 والعلاقة الوطيدة بين بغداد وريفها في التجارة الداخلية .

كما تجدر الاشارة الى ذكر بعض الاسواق التي حافظت على نشاطها
 الاقتصادي على الرغم مما حصل ببغداد من فتن داخلية وغزو اجنبي ومنهـا :
 (سوق الثلاثاء) و (سوق عبد الواحد) و (سوق العطش) و (سوق يحيى)^(٥)

(١) رحلة : ص ١٧٢ - ١٧٣ . ١٨٠ .

(٢) معجم البلدان ٣١/٢ . ١٥ .

(٣) ابن عبد الحق . مرصد ٢٢٥/١ . والبندنجين هي مندلي الحالية .

(٤) الجغرافيا . ص ١٥٨ .

(٥) ابن عبد الحق : مرصد ٧٥٦/٢ .

(١) و(سوق تتش) المار الذكر^(١)، ومحلة (قطفتا) الواقعة بالجانب الغربي من بغداد والتي فيها أسواق طامره، و(منظرة الريحانيين) التي تتواجد فيها الرياحين والفواكه^(٢).

(٣) كما وصف الرحالة ابن بطوطة بغداد بجانبها الشرقي والغربي وقال بان الجهة الشرقية منها أسواقها طامره بالسلع ومرتبة بشكل جميل وأشهرها سوق الثلاثاء^(٤)، كما ذكر القلقشندي^(٥) (سوق التمر) و (الحريم) الذي فيه محال وأسواق ودور للرعيمة.

ويذكر ان الاهتمام بهذه الاسواق والعناية بها ومراقبتها مهمة يتولاها المحتسب، الا ان الخليفة العباسي غالباً ما كان يراقبها بنفسه، متنكباً ومتجولاً بالاسواق للوقوف على احوالها والاطمئنان على أوضاع الاسعار فيها، وقد فعل ذلك الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) عندما خرج ليلاً متنكباً ومتفقداً احوال اسواق بغداد^(٦).

ولكون بغداد مركزاً تجارياً عالمياً، وفيها مقر البلاط العباسي وحاجاته الكثيرة من الكماليات والسلع الفريدة والهدايا كان يأتيها الكثير من التجار من بلدان أخرى حاملين هداياهم وبضاعتهم النادرة لبيعها أو مبادلتها مع سلع أخرى من الصناعات البغدادية المارة الذكر، ومن أمثلة هؤلاء التجار تاجر هندي جاء الى بغداد ومعه ببغاء يحفظ سورة (قل هو الله احد) يريد بيعه للخليفة

(١) ابن عبد الحق : مراصد ٢٥٣/١.

(٢) نفسه ١١٠٧/٣ - ١٣٢٢.

(٣) تحفة النظائر ٢٤٣/١.

(٤) ان هذا السوق نشأ قبل أن يبني المنصور بغداد وكان خاصاً بأهل كلواذا بالجانب الشرقي حيث كانوا يأتون الى هذا المكان مرة في يوم الثلاثاء من كل شهر فنسب الى هذا اليوم الذي ينشط فيه (جواد وسوسة : دليل خارطة بغداد ص ٣٤ - ٣٥).

(٥) صبح ٣٣٠/٤ - ٣٣١.

(٦) خطار الحقائق وسر الخلائق : تحقيق : حسن حبشي : (القاهرة/ لا. ١١٩).

الناصر ، الا انها ماتت بعد يوم من وصولها قبل أن يراها الخليفة ، فبكى صاحبها عليها الا ان الخليفة عوضه ثمنها خمسمائة دينار^(١) وذلك دليل على اهتمام الخليفة بهم ورعايتهم لهم باعتبارهم ضيوفا على بغداد ، كما سكن بغداد وأقام فيها بعض التجار ومنهم : (ابو الجيش مسكر بن ابي نصر الحموي المتوفي (١٢٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) وكان ذا ثروة طائلة واخلاق فاضلة ،^(٢) وهو سيد المؤرخ والجغرافي المعروف ياقوت الحموي المتوفي (١٢٢٨ هـ / ١٢٢٨ م) الذي جاء الى بغداد صغيرا فاشتراه ابو الجيش ورأه وعلمه التجارة والاسفار التي استفاد منها في معجمه وصف البلدان التي مربها^(٣) .

ولاهية التجار الوافدين ومكانتهم المرموقة باعتبارهم سفراء بلدانهم ينقلون مظاهر الحضارة وشؤون البلد الذي يهرون به دعا المستنصر بالله التجار الموجودين في بغداد سنة (١٢٣١ هـ / ١٢٣٣ م) الى حفل افتتاح المدرسة المستنصرية حيث اكرمهم ونالوا نصيبهم من الخلع والهدايا التي وزعت على كبار الحضور من المدرسين والمعبدن وارباب الدولة^(٤) .

ب - البصرة :

كما هو معروف ان البصرة ثغر العراق وبوابته على العالم الخارجي المطلقة على البحر ، كما أنها ملتقى القوافل التجارية القادمة اليه من مختلف أنحاء الدنيا ، وقد اشتهر أهل البصرة منذ القدم بالنشاط والحياة وكثرة السفر والترحال والتجوال حتى وصفهم ابن الفقيه : ((واشتهر أهل البصرة بالاسفار التجارية التي^(٥)

-
- (١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .
 (٢) ابن الساعي ، الجامع ١ / ٢٩٤ .
 (٣) ابن خلكان : وفيات الاميان ، تحقيق احسان عباس ، ج ٦ (بيروت / لا . ت) ، ص ١٢٢ .
 (٤) ابن الغوطي : الحوادث ، ص ٥٥ .
 (٥) مختصر كتاب البلدان ، ص ١٩١ .

كل الجهات حتى ضرب المثل في ذلك فقالوا : وأبعد الناس نجمة في الكسب
بصرى . . . ومن دخل فرغانه (في الشرق) والحوس الاقصى (في الغرب)
فلا بد أن يرى بها بصرى أو حيرى .

وهذا يوضح أن لأهل البصرة نشاط تجارى متميز سواء في الشرق أو في
أقصى الغرب وذلك لموقعها البحرى الذى جعل لها صلة مع كل العالم .
أما بالنسبة الى سوقها ومنتجاتها ونشاط أهلها التجارى فقد
أشار ياقوت الحموى^(١) الى بعض منتجاتها الحيوانية والنباتية كاللبن والكتان السبي
اشتهرت بجودة انتاجها فيه وحملت اسمه حتى سميت (بصرة الكتان) حيث كانت تتبادل
به في تجارتها مع سلع اخرى .

أما أشهر أسواقها سوق (الكلاء)^(٢) وسوق (البريد) الذى يقع في
الجانب الغربى منها ويشتهر بازدهائه بالسكان وكثرة القوافل التجارية الواردة اليه
والخارجة منه كما يشتهر بكثرة الاجانب وخاصة في مناسبات مهرجانه السنوى^(٣) .

ويبدو وانها استمرت على هذا النشاط الى القرن (الثامن للهجرة) حيث
شاهدها ابن بطوطة^(٤) في زيارته للعراق فوصف مزرعاتها وكثرة بساتين نخلها
وتنوعها بأنواعها المختلفة ، ما يستوجب تصديره الى بقية أطراف العراق
كبغداد والموصل ، كما وصف مدينة (الأبله) وكثرة تمرها وبيعها للخبز والسمك
والتمر واللبن والفواكه ما جعلنا نستنتج أن فيها نشاطا زراعيا وتجاريا
مع أنحاء العالم كافة وأنها حافظت على هذا النشاط وزادت عليه منذ ذلك
التاريخ الى الان .

-
- (١) معجم البلدان ١/٤٤٠ .
(٢) ابن عبد الحق : مرصد ٣/١١٢٣ .
(٣) لسترنج . بلدان الخلافة ص ٦٥ .
(٤) تحفة النظائر ١/٢٠٢ .

ج - واسط :

وهي ايضا مدينة مهمة وحلقة وصل ومحطة تجارية بين بغداد والبصرة ، ذكرها القزويني وقال ^(١) : ((كلها قصور وماتين ومباني ، وعبيدها ان حاصلها يحل الى غيرها ، فلو كان حاصلها يبقى في يد أهلها لفافت جميع البلاد)) وهذا يدل على غزارة حاصلها الزراعية ، الا انها تنقل اما بتدخل من الدولة أو بواسطة التجار الى المناطق الاخرى التي تفتقر اليها ما يبين ان لها نشاطا تجاريا مع بقية اقاليم الخلافة نتيجة كثرة هذه المحاصيل ، كما كان لتجار واسط نشاط خارجي مع الهند حيث أورد الشطنوفسي ان تاجرا واسطيا التقى بالشيخ الكردي المتصوف المعروف (جاكير) حيث يشق به ويستشير في اموره ، فأخبره يوما نيته ركوب البحر والذهاب بتجارة الى الهند . فأذن له الشيخ ودعا له بالسلاية والوصول ، وقال له : اذا أصابتك هيبه في البحر ادع الله واذكر اسمي يستجاب لك . فتوكل الرجل وسافر وفي أثناء مسيره صادفته عقبات واهوال كبيرة كادت تفرقه لولا ان نجاه الله تعالى منها ودعوات الشيخ (جاكير) الذي كان يتابع مسيره ببركاته ، حيث علم بما جرى له فسي ذلك اليوم ودعا الله بانقاذه . فعاد الرجل سالما بعد سبعة أشهر وقص قصته للشيخ .

(١) آثار البلاد ، ص ٤٧٨ .

(٢) بهجة الاسرار ومعدن الأنوار في بعض مناقب القطب الرباني سيدي محي الدين

ابي محمد عبد القادر الجيلاني ، (لا م / لا ت) ص ١٦٩ .

د - الكوفة :

كانت الكوفة ملتقى الطرق التجارية ومركزاً تجارياً على طرف الصحراء في الجنوب الغربي من العراق ذكرها ابن جبير^(١) في زيارته للعراق ووصفها كما مر سابقاً بأن جانبها الغربي خرب ، أما الشرقي فقد ظل محافظاً على نشاطه الزراعي والتجاري حيث استمر بمزارعه الكثيفة المتداخلة بعضها البعض وبساحتها الشاسعة مع امتداد البصرة .

ونتيجة لهذا النشاط الزراعي والتنوع في المحاصيل لابد أن يكون إلى جانبه نشاط تجاري تتطلبه مستلزمات الحياة اليومية لسكانها ، ويدور أن الكوفة بقيت حتى (المائه الثامن للهجرة) من الناحية العمرانية على هذه الحالة من خراب الجانب الغربي وعارة الشرقي وعدم زوال السبب الذي هو عرب خفاجه من خلال زيارة ابن بطوطة^(٢) لها في هذه الفترة وتأكيد هذا الوصف للجانب الشرقي منها وكثرة أشجار النخيل المتعاقبة بعضها مع بعض .

هـ - تكريت :

وتكريت مدينة قديمة ومركزاً تجارياً مهم وصف أسواقها الحافلة ابن جبير^(٣) وذكر بأنها طامة بأهلها وذات مساحة واسعة وفسحة مما يدل على أن لها تجارة رائجة آنذاك . وأكد هذا الوصف ابن بطوطة^(٤) أيضاً عند مروره بها في أثناء زيارته للعراق ووصفه أسواقها المزدهرة التي تنم عن وجود نشاط اقتصادي واضح فيها ، مما يفسر لنا أن تكريت حافظت على ازدهار تجارتها منذ نشأتها حتى مشاهدة ابن بطوطة لها وإلى العصر الحديث .

(١) رحلة ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) تحفة النظار ١/٢٣٩ .

(٣) رحلة ص ١٨٦ .

(٤) تحفة النظار ١/٢٥٤ .

هذا ومن المهم ذكره هنا ان هناك عدداً تجارية اخرى في العراق
كان لها دوراً تجارياً معروف كالحيرة والبصرة والموصل واربيل وداقوق وحديثة وغانمة
والانبـار .

اننا ومن خلال ماوردتنا به المعلومات العامة الذكر يتضح لنا ان التجارة
في العصر العباسي وبضمنه عصر الخليفة المستنصر بالله كانت نشطة ورائجة .
وانها استمرت بهذا النشاط حتى بعد احتلال بغداد وبجيء المغول الايلخانيين (١) .
وان التجار المسلمين طافوا مشارق الارض ومغاربها حيث وصلوا الهند والصين
وبلاد الاندلس وروسيا والخزر وارمينيا ومصر كما انشأوا لهم محطات تجارية على الطرق
البحرية ومراكز تجارية على الطرق البرية لخدمة التجارة العربية .

٣ - وسائل التعامل التجاري :

نتيجة لتوسع التجارة وازدهارها منذ بداية العصر العباسي الثاني وتلبية
حاجة المجتمع والبيت العباسي جعل الدولة تهتم بها وترعاها ، حتى اصبح للتجارة
نظم وقوانين واصطلاحات خاصة بها لم تكن موجودة قبل هذه الفترة ، كما اصبح للتجار
وكلاء معتدون في المدن التي يتاجرون معها يبعثون لهم بالمعلومات والتقارير حسن
حالة السوق وعن كمية الحاجات المطلوبة والمعروضة في السوق (٢)

ولنتيجة لهذا التوسع ايضا ظهرت حرف مالية يشتهنها أشخاص محترفون
ذوو خبرة كبيرة بشؤونها ، ومن هذه الوظائف :-

- ١ - الجهيذة : والجهيذة كلمة معربة تعني لغة : ((الخبير بفوائض
الامور البارع العارف بطرق النقد)) (٣) . وقد اختلف الباحثون في
تفسير مفهومها ، الا انه يمكن تحديدها بانها الوظيفة المالية

(١) ينظر : خصباك : العراق ص ١٣٣ .

(٢) معروف : المدخل ص ٦٨ .

(٣) الزبيدي ، السيد محمد مرتضى : تاج المروس ص ٢ (بنغازي /
لا ت) ص ٥٥٨ .

الحكومة التي تعتمد الى موظف خبير بشؤون الصرف والعملات
وانواعها وتحديد قيمتها وفقا لنوعية النقد المتعامل به رسيا وتبعيا
لاسماء الصرف السائدة في السوق والخاصة بتحويل العملات وتبادلها^(١)
٢ - الصيرفة : وهي مهنة قديمة تطورت نتيجة توسع المؤسسات
التجارية واستمرت في الوجود والتطور الى العصر الحديث ، وكان واجبهم
تقديم القروض وايداع النقود للتجار .

وغالبا ما يقوم التجار بكتابة الصكوك بالنقود التي يريدون دفعها
ويحولونها للصراف بدل النقود فيتولى هو دفع المبلغ المراد تسديده^(٢)
اما مصدر اموالهم فهو من الودائع المودعة لديهم ، وكما هو معلوم
ان أغلب الصيارفة من اهل الذمة ومن (الجهابذة) المجازين من
الحكومة والذين يعملون في بيت المال لخبرتهم بالنقود وتميز الجيد
منها من الرديء لقاء راتب يدفع عن هذه الخدمات^(٣) .

كما كان الصرافون يعيشون في حالة خطر من اللصوص وأصحاب
المطامع والسعيارين الذين يقتنصون لهم الفرص الملائمة
للسيطرة على اموالهم واغتياهم^(٤) .

أما وسائل التعامل النقدي فانها كانت تجري بثلاثة

طرق هي :-

١ - التعامل دون اللجوء الى استعمال النقود^(٥) . بل يستخدم بدلها :

- (١) السعدي ، أمل عبد الحسين : الصيرفة والجهاز في العراق من القرن الثاني
الى نهاية القرن السابع الهجري اطروحة دكتوراه (غير منشورة) من كلية
الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ م) ص ١٨٢ .
- (٢) الدوري : تاريخ العراق ، ص ١٦٩ .
- (٣) بروي : تاريخ الحضارات العالم مج ٣ / ١٩٤ ، وينظر : كاهن : تاريخ
العرب ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .
- (٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٠٦ / ١٠ ، الغساني : المسجد ٥٨١ / ٢ .
- (٥) معروف : المدخل / ص ٢٢ .

آ - السفاتج : ويقصد بها ((أن يعطى (رجل) مالا لآخر وللآخر مال في بلد المعطي فيوقيه ثم (أى هناك) فيستفيد أمــــن الطريق)) (١)

وهي وسيلة اثنتانية للتجارة من وسائل التعامل التجاري تطلب استعمالها لعدة اسباب منها ، التخلص من مشكلة النقل وتحاشي قطاع الطرق واللصوص ، فتكون ذائته فائدة للتجار الأغنياء الذين يودعون أموالهم لوكلائهم في المدن وترسل لهم من المال المودع ما يريدون دفعه (٢) وذكر أن ناصر خسرو المتوفى (في القرن الخامس الهجري) استخدمها في اثناء رحلته الى صر وخروجه من أسوان الى عذاب (٣) . وقيل ان قيمة بعض السفاتج وصلت في بعض الاحيان الى أربعين الف دينار (٤) .

ب - الصكوك : وهي وسيلة أخرى من الوسائل الاثنتانية والتجارية ، وهو ((امر خطي يدفع مقدار من النقود الى الشخص المسمى فيه)) (٥) وكانت لــــه عدة استعمالات سواء للحكومة أو للأفراد من حيث تسديد القروض والديون ايضا (٦) ، الا انه يبقى أفضل طريقة للمعاملات التجارية ، وهو مقبول في التعامل التجاري داخل البلد وخارجـــــه (٧) .

-
- (١) الدوري : تاريخ العراق ص ١٢٤ .
 - (٢) بروي : تاريخ الحضارات العام مج ٣ / ١٩٤٠ .
 - (٣) سفرنامه ، ترجمة ، يحيى الخشاب ، (بيروت / ١٩٢٠م) ص ١١٩ .
 - (٤) زياده ، نقولا : لمحات من تاريخ العرب ، (بيروت / ١٩٦١م) ص ٢٥٥ .
 - (٥) الدوري : تاريخ العراق ص ١٢٦ .
 - (٦) نفســـــــــــــــــه ص ١٢٧ - ١٢٨ .
 - (٧) معروف : المدخل ص ٦٩ ، الدوري : مقدمة في التاريخ ص ٢٠ .

وبيّن سوء استخدامها منع من الوعظ وطرد من بغداد (١).

الا ان من المهم ذكره أن النظام النقدي الرسمي في العراق في هذه الفترة كان يجرى على اساس الدينار الذهبي والدرهم الفضي ، وكان الوزن الشرعي لهما يساوي دينارا واحدا لكل مثقال ذهب ودرهما واحدا لسبعة اعشار المثقال من الفضة . الا ان هذه النسبة لم تكن ثابتة ومستقرة في السوق (٢) ، اذ يمكن أن يعزى ذلك الى حالة الفوضى والاضطرابات السياسية في المنطقة والناجمة عن الغزو المغولي الذي اصبحت ابواب الخلافة فضلا عن عدم انسجام سياسة الدولة الاقتصادية مع واقع الحال ، مما يؤدى الى الخلل بين واردات الدولة ومصروفاتها ، مما يترتب عليه نقصان كميات الذهب من السوق على النحو الذى يؤثر تأثيرا سلبيا على قيمة النقد .

ان هذه الاسباب فضلا عن وجود القراصنة والتعامل بها لا ينسجم مع خط الخليفة المستنصر بالله الديني مما دعا الى اصدار دراهم فضية جديدة تلبي حاجة الدولة الاقتصادية والدينية وتساوى كل عشرة دراهم فضة دينارا ذهبيا واحدا كما منع التعامل بقراضة الذهب (٣) وأصدر أمره بأحضار الولاة وكبار التجار والصارفة الى دار الوزير احمد بن الناقذ وتوزع عليهم الدراهم الجديدة التي أمر بضربها سنة (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) ، ووجوب التعامل بها في السوق وتخليص

(١) ابن الاثير : الكامل ٢٢٦/١٠ وينظر :

جواد ، مصطفى (العملة والمعاملة والقراضة) مجلة غرفة تجارة بغداد ج ٥ السنة ٤ بغداد ١٩٤١ ص ٣٢٥ .

(٢) خصباك : العراق ص ١٢٠ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ص ٧٠ - ٧١ ونقش في أحد الوجهين للدراهم الجديدة

عبارة (لا اله الا الله وحده لا شريك له) كما نقش على الوجه الاخر عبارة (الحمد

لله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (النقشبندى ، ناصر : الدينار

الاسلامي ج ١ ، (بغداد ١٩٥٣) ص ١٨٥) وينظر التفاصيل :

الحسيني (نقود الخليفة العباسي المستنصر بالله) مجلة المسكوكات ج ٨ -

٩ بغداد ١٩٧٢ - ١٩٧٨ ص ٨٨ - ١٢٠ .

الناس من الربا والحرام ، فقابل الناس ذلك الاجراء بالرضى والقبول
ودعوا الله بتوفيقه على ذلك (١) . وقد مدح شاعر البلاط أبو المعالي القاسم
هبة الله بن أبي الحديد الدائني الخليفة المستنصر بالله بهذه المناسبة وقال :

لاعد منا جيبيل رأبك فينا انت باعدتنا عن التطفيسف
ليس للجميع كان منعك للصرف — ولكن للمعدل والتعريف (٢)

-
- (١) الذهبي : ١ - مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٥٤ .
٢ - المعبر ١٢٢/٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ٧٥/٤ ويذكر
ان هذه النقود ضربت في بغداد واربل في السنوات (٦٢٣ هـ و ٦٢٥ هـ و
٦٣٢ و ٦٣٤ هـ) (المقريزي : النقود الاسلامية المسمى ((بشذور المعقود
في ذكر النقود)) تحقيق ، محمد السيد بحر العلوم ، (النجف / ١٩٦٧ م) .
(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٢ .

الفصل الرابع

الادارة

- اولا : الوزارة
- ثانيا : القضاء
- ثالثا : الدوائر
- رابعا : الحسبة
- خامسا : المظالم
- سادسا : الجيش

لكن عصر الخليفة المستنصر بالله امتدادا للعصر العباسي بكل نواحيه ومظاهره ، وضمنها الإدارة المراد دراستها هنا متشعبة في (الوزارة والقضاء والدواوين والجيش) وهي كما هو معروف من ناحية انشائها تعد استمرارا لما قبلها من العصور إذ يرجع بعضها إلى صدر الإسلام والمصر الأموي والعصر العباسي الأول ، ولا فارق فيها إلا من ناحية التطور والشخصيات التي ادارتها مما لا يستوجب هنا الأعادة والتكرار في نشأتها مرة أخرى ، إلا بشيء من الإيجاز مع التأكيد على التطورات التي حصلت على بعضها وعلى الأشخاص البارزين في إدارتها كالوزراء والقضاء وقادة الجيش وبقية موظفي الدولة التي أسعفتنا بها الصادر . ولا بد أن نبين هنا أننا لم نتكهن من الحصول على كل أسماء الشخصيات وموظفي دولة الخليفة المستنصر لكل الوظائف الإدارية وحسب تسلسل السنوات مما جعل ذكرنا لها يقتصر على أهمها ومن بعد لا تكون هذه المعلومات المتواضعة في هذا الفصل نقطة الخاتمة والنهاية للإدارة في عصره بل تبقى في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة لمن أراد الاستزادة والتوسع فيها .

أولا : الوزارة :

تعد الوزارة من أهم الوظائف الإدارية بعد الخلافة في العصر العباسي الأول^(١) إلا أنها قد أصابها شيء من الضعف في أثناء فترة التدخل الاجنبي البويهي والسلجوقي^(٢) . ولم تسترجع الوزارة مكانتها الى بداية قوة الخلافة ونهضتها في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م - ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) حيث أصبح الخليفة فيما بعد حرا في اختيار وزيره^(٣) وضمن الصفات والشروط التي حددها الفقهاء في العصور الاولى من الخلافة العباسية^(٤) وخير من حددها الخليفة المأمون ونقلها لنا الماوردي^(٥) فقال : ((انسي التمسست لأمرى رجلا جامعاً لخصال الخير ذاعمة في خلافة واستقامة فسي طرائقه ، قد هذبته الآداب واحكمته التجارب ، اذا أوتن على الاسرار قام بها ، وان قلد مهمات نهض فيها ، يسكته الحلم وينطقه العلم ، وتكفيه الحظوة وتغنيه اللحمة ، له صولة الأئمة ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء وفهم الفقهاء . . . يسترق قلوب الرجال بخلافة لسانه وحسن بيانه)) . فضلا عن علمه بالامور السياسية والحربية واجادة الانشاء وكتابة الرسائل^(٦) .

الا ان الملاحظ على نظام الوزارة في هذه الفترة هو حدوث تطور في — واستحداث منصب (نائب الوزارة) الذي يخول صاحبها صلاحيات الوزير ويقوم بادارة الوزارة متى حين اختيار وزير أو يبقى في النيابة الى ان يعزل^(٧) .

- (١) البيزكي ، توفيق سلطان : الوزارة ، (المجلد ١٩٢٦ م) ، المقدمة ، ص ٥٥ .
- (٢) أمين ، حسين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي (بغداد ١٩٦٥ م) ، ص ١٨٩ - ١٩١ .
- (٣) نفسه ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
- (٤) القزاز : في العصر العباسي الاخير ، ص ١٠٤ .
- (٥) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، (مصر ١٩٦٦ م) ، ص ٢٢ .
- (٦) الحسن بن عبد الله : آثار الاول في ترتيب الدول (لا م / لا ت) ، ص ٦٢ .
- (٧) فهد : تاريخ العراق ، ص ١١٦ .

وقد اختار الخليفة المستنصر بالله لهذا المنصب (مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القبي) الذي كان وزيراً لجدّه وأبيه ، وذلك لكفاءته واملاكه لكل مقومات الوزير وشروطه الآتفة الذكر فضلاً عن موهبته الأدبية والشعرية وخبرته بالأدارة التي مارسها في بلاد العجم قبل مجيئه بغداد^(١) .
وبقي نائباً لوزارة المستنصر بالله حتى عزله في السابع عشر من شوال من سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) وقبض عليه وحبس في دار الخلافة لأسباب غامضة ، حيث استوزر مكانه أستاذ الدار ووكيله (أبا الازهر احمد بن الناقد) الذي بقى نائباً لوزارته طيلة فترة حكمه^(٢) وقد أحبه المستنصر وقربه منه وخلع عليه^(٣) .
وقلده سيفاً يذهباً ومركباً بمركب ذهب أيضاً وغير ذلك . كما أسكنه في الدار القابلة لدار الفردوس وجعل له صلاحيات إدارية واسعة ، فأصبح بيده زمام الأمور صغيرها وكبيرها فأدارها بعقيلة نيرة وذهن سياسي ثاقب^(٤) . فكان يذهب الى الخليفة يوم الجمعة ويحضر عنده ويناقشه في مجمل الأمور السياسية والدينية وأمور وزارته وما يتعلق بالرمية^(٥) . وظل مهيب الجانب محبوباً عند الخليفة طيلة حياة المستنصر ، حتى أقر على وزارته من قبل ابنه المستعصم كذلك السى وفاته سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م)^(٦)

(١) ابن الطقطقي : الفخرى ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، الصفدى : الوافى بالوفيات ، اعتناء ، هلموت ريتز ، ج ١ ، (فيسبادن / ١٩٦١ م) ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٤ ، الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٩ ، الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٣٨ ، ابن كشير : البداية ١٣ / ١٣٢٠ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) الصفدى : الوافى بالوفيات ، اعتناء ، محمد يوسف نجم ، ج ٨ ، (بيروت / ١٩٧١ م) ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٢٩٢ .

(٦) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٢٦٨ .

ثانيا : القضاء :

القضاء في اللغة معناه الفصل في الأمور والحكم فيها ، ومنه القاضي الذي يحكم بين الناس ^(١) وأول من مارسه عمليا في الاسلام الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فكان قاضيا وشرفا وموجها يقضي بين المتنازعين ويحكم بين المتشاجرين ^(٢) وفق أصول الدين الاسلامي ودستوره المتمثل في القرآن الكريم ، ولما آلت الخلافة الى بني العباس بعد قضائهم على الأمويين فأنتهم عدوا أنفسهم أحق الوارثين لبيت النبوة ، جاء ذلك على لسان داود بن علي العباسي في خطبته في الكوفة حيث قال بعد ان حمد الله وشكره : ((واصار الينا ميراثنا من نبينا محمد)) ^(٣) فبرزوا الناحية الدينية في الحكم وأصبح الخليفة العباسي حاكما وزعيما دينيا في آن واحد كما كتبوا الفقهاء واستشاروهم في مختلف الأمور السياسية والإدارية ^(٤) لأن الفقهاء نواة ضمير الأمة وفتح توجيهها لكل جيل ولكل نظام سياسي ، ولأن الخلافة ما هي الا رمز لتنفيذ دستور الشريعة الإسلامية مما جعل العباسيين يدركون أهمية هذا الدور في ترشيد دولتهم فتعارفوا مع الفقهاء وسمعوا نصائحهم ^(٥).

وقد بدأ اهتمام العباسيين بالقضاء ابتداء من زمن الخليفة المنصور الذي جعل أمر تعيينهم وعزلهم من صلاحيته فقط ، حتى يتحاشى تدخل الأمراء في شؤهم والتأثير على عملهم ^(٦) . وقد تمثل هذا الاهتمام بالقضاء في مخاطبة

- (١) ابن منظور : لسان ، ج ٢ ، مادة : (قضي) ، ص ٤٧ .
- (٢) الماوردي : أدب القاضي ، تحقيق ، محيي هلال سرحان ، ج ١ ، (بغداد / ١٩٧١م) ، ص ١٣٠ .
- (٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١٠ ، ق ٣ ، (بيروت / لاوت) ، ص ٣١ .
- (٤) الانباري ، عبد الرزاق : النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي (النجف / ١٩٧٥م) ، ص ٩٨ .
- (٥) جب : هاملتون : دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة ، احسان عباس واخرون (بيروت / ١٩٦٤م) ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، (بيروت / لاوت) ، ص ١٠٣ .

الرشيد لأحد قضائه في أثناء تعيينه ((قد رأيت أن - اشركك في أمانتي))^(١)
وهذا دليل على مدى الثقة بين الخليفة والقاضي .

ومن المهم ذكره أن مسألة الاهتمام بالقضاء وحصانتهم وعزلهم واستقضائهم
من قبل الخليفة فقط ظلت طيلة العصر العباسي ، كما أن على القاضي أن يصدر
حكمه باسم الخليفة ولا يعد حكمه ملغيا وغير نافذ ، وهذا دليل على
الحكم المركزي لدى العباسيين .^(٢)

ونتيجة لهذا الاهتمام بأمر القضاء وحتى يكون الاشراف عليه أكثر مركزية
قسمت مناصب القضاء الى ثلاث رتب حسب أهميتها في الاشراف وقد استمرت
بهذا النظام حتى نهاية الخلافة العباسية . أما عن أهم هذه المناصب القضائية
ومن تولاها في عصر الخليفة المستنصر بالله فهي :

١ - قاضي القضاة : وهذا يعد أعلى المناصب في المؤسسة
القضائية للخلافة ، إذ تقابل وزارة العدل حاليا ومهمته الاشراف على سير القضاء
في الدولة^(٣) ، أما من تولاه في هذه الفترة فيمثل في أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بسن
عبد القادر الجيلي الحنبلي الذي كان قاضي قضاة أبيه الظاهر بأمر الله فأقـرره
المستنصر فترة قليلة ثم عزله سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م)^(٤) وقد ارتاح بدوره لهذا
العزل وذلك لطبيعة نفسه من القضاء وصعوبة ممارسته وانشد في ذلك
وقال :

حمدا لله عز وجل لما
وللمستنصر المنصور أشكر
قضى لي بالخلاص من القضاء
وادع عوفوق معتاد الذعاء^(٥)

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، مج ١ / ٤١٦

(٢) الانباري : النظام القضائي ، ص ١٠١ .

(٣) نفسه ، ص ١٠٤ .

(٤) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، السبكي : طبقات

الشافعية الكبرى ١٨٢ / ٨ .

(٥) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ١٩٠ / ٢ - ١٩١ .

ثم تسلم هذا المنصب بعده محمود بن احمد الزنجاني وقسده
 عزل بعد سنة ايضا وتقلد بعده أبو المعالي عبدالرحمن الواسطي الشافعي
 والذي بقي في هذا المنصب حتى عزل سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) فرتب بعده أبو
 الفضل بن عبدالسلام اللغمانى وبقي الى آخر أيام المستنصر ^(١).

ويبدو من خلال ذلك أن هذه الوظيفة لم تقتصر على مذهب واحد
 بل شملت المذهب الحنبلي والشافعي والحنفي .

وقد كان لقاضي القضاة نائب يساعده في امور القضاء يختاره بنفسه
 ومن هــبـو لـا النـبـو ابـ عبدالرحمن بن بقل أبو المعالي
 الذى استنابه قاضي القضاة أبو صالح الجيلي على القضاء بحريم دار الخلافة ^(٢) كما
 لم يقتصر عمله على نائب واحد فقط ، وإنما تعدى ذلك الى نائبين احيانا يراعى
 في اختيارهما اختلاف المذهب بما يتماشى مع سياسة الدولة وتسهيل مهمة القاضي .
 ويشمل ذلك في قاضي القضاة ابي المعالي عبدالرحمن بن بقل الواسطي السـنـدى
 استناب عبدالرحمن بن عبدالسلام بن اللغمانى (الحنفي) المذهب وكذلك عبدالرحمن
 بن يحيى التكريتي (الشافعي) المذهب ^(٣) .

٢ - أفضى القضاة : وهذه الرتبة دون رتبة قاضي القضاة ^(٤)

وظهرت سنة (٤٢٩هـ / ١٠٢٩م) حيث لقب بهذا اللقب ابو الحسن علي بن محمد
 بن حبيب الماردي المتوفي (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) وقد استمرت هذه الرتبة في زمن ^(٥)

- (١) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص ٢٦٥ ، ابن الفوطي : الحوادث ص ٨٤ ،
 الأسنوى : طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ج ٢ ، (الرياض /
 ١٩٨١م) ، ص ٥٥٣ . المسجد ٥٥٥ / ٢ .
- (٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ١٨٧ / ٨ .
- (٣) ابن الفوطي : الحوادث ص ٢٢ .
- (٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ، تحقيق مصطفى جواد ، ج ١ ، (بغداد /
 ١٩٥١م) ص ١٩٨ حاشية رقم ٣ - .
- (٥) الماردي : أدب القاضي ص ٣٨ - ٣٩ .

ال خليفة المستنصر بالله ومن تولاهما في حكمه ابو الفضل عبدالرحمن بن عبيد السلام اللغمانى الذى ولي هذا المنصب سنة (١٢٣٣هـ/١٢٣٥م) وفي فيه طيلة فترة حكمه .^(١)

٣ - القاضي : وهي الرتبة الثالثة من رتب القضاة^(٢) وقد يرقى صاحبها في الرتب حتى يصل الى رتبة قاضي القضاة ، ومن هؤلاء القضاة في هذه الفترة القاضي محمود بن احمد بن محمود الزنجاني الذى تولى القضاء مدة ثم عزل^(٣) وعبد الرحمن بن مقل الواسطي قاضي واسط^(٤) .

ومن مستلزمات القاضي في هذه الفترة أن يخص له دار يجلس فيها للنظر في امور القضاة^(٥) . اما مسألة تعينه وعزله ظلت مركزية وبهد الخليفة طيلة العهد العباسي^(٦) .

-
- (١) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٥ ، ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٨٤ .
- (٢) فهد : تاريخ العراق ، ص ١٨٤ .
- (٣) الاسنوى : طبقات الشافعية ١٥/٢ .
- (٤) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٥ .
- (٥) نفسه ، ص ٨٤ ، اما عن عمل القضاة وواجبهم لزيادة التفاصيل ينظر : فهد : تاريخ العراق ، ص ٢١٨ - ٢٢٣ .
- (٦) الانبارى : النظام القضائي ، ص ١٠١ .

ثالثا : الدواوين :

وهي من أهم الدواوين التي كانت موجودة قبل عصر الخليفة المستنصر بالله واستمرت في وجودها وإدارتها في هذه فهي :

١ - ديوان الانشاء :

يعد هذا الديوان من الدواوين المهمة في إدارة الخلافة العباسية لأنه لسان حال الخلافة وخاصة فيما يتعلق بالمكاتبات والرسائل مع الاسراء وملوك الاطراف . لان ذلك يعتمد على اسلوب كاتب الانشاء الذي يجب أن يكون جيد الفهم والذكاء والعلم وصحيح العقل بليغ العبارة فضلا عن اطلاعه على الأمور السياسية ^(١) ويملك قدرا من الوقار والحشم والاحترام ^(٢) فمهمة صاحب الانشاء شاقة يحتاج صاحبها الى اللباقة والبلاغة في الكلام . لأن كلامه موجه في غالب الاحيان الى أصحاب الجاه والسلطان . لما يستوجب منه التأنسي في الكتابة ويذكر دائما ان لكل مقام مقالا على خلاف غيره من الكتاب ^(٣) . كما تقع عليه مهمة ترتيب المعاني حول السكاتبات التي تخص أعمال الدولة الداخلية كمراسلات الخليفة لأمرائه وأرباب دولته أو مع البلدان الأجنبية كتبادل الرسائل والاتفاقيات والهدن ^(٤) وختمها بخاتم الخليفة بعد اطلاعه عليها ^(٥) .

وقد تطور هذا الديوان في العصر العباسي الاخير وأصبح لصاحبه أهمية خاصة الى الحد الذي تسند اليه الوزارة أو نيابة الوزارة ^(٦) . ويمثل ذلك فسي

(١) الحسن بن عبد الله : آثار الاول ، ص ٦٢ - ٦٨ .

(٢) القلقشندي : صبح ١٠٤/١ - ١٠٥ .

(٣) نفسه : ٥٥/١ .

(٤) نفسه : ٥٤/١ .

(٥) ابن خلدون : تاريخ ٢٠٥/١ وينظر : سرور ، محمد جمال الدين : تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق (القاهرة / ١٩٦٥ م) ، ص ١٠١ .

(٦) ابن الساعي : الجامع المختصر ٢٨٦/٩ ، ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٥٢ .

عهد الخليفة المستنصر بالله الذي أسند نيابة الوزارة الى الكاتب محمد بن عبد الكريم القفي الذي جمع بين الوزارة والكتابة وذلك لاسلوبه وخبرته في هذا الديوان ، حتى عزل منها سنة (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ورتب بعده في كتابه الديوان المعدل ناصر بن رشيد المحزبي ثم الجلال عبد الله بن جعفر^(١) واخيرا الكاتب والاديب هزالدين بن ابي الحديد الذي تولى الكتاب في هذا الديوان الى آخر ايام الخليفة المستنصر بالله^(٢) .

٢ - ديوان البريد :

وهو أيضا من الدواوين المهمة في هذه الفترة وكان رئيسه يسمى (صاحب البريد) أو (صاحب الخبر)^(٣) وقد كان بمثابة عين الخليفة لانسه يمثل رجل استخبارات دولته ، ولذلك يجب أن يتصف بالامانة ورجاحة العقل لأن ما ينقله من أخبار تكون أساسا في سير سياسة الدولة^(٤) ، كما أن واجباته لم تقتصر على نقل الاخبار فقط بل تعدى ذلك الى مراقبة بقية أجهزة الدولة السياسية والاقتصادية وایصالها الى دار الخلافة على صورة تقارير^(٥) ، مما يدل على مدى اهمية صاحب البريد ومدى قرب وعلاقته بالخليفة حتى يوليه هذه الثقة وبخاصة زمن الناصر لدين الله الذي غني بهذه الناحية اكثر من غيره ، حيث كان له وكلاء أخبار يندسون بين الناس في الاسواق وفي كل مكان ويتدخلون في تفاصيل حياتهم الخاصة وينقلونها له^(٦) .

-
- (١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٥٧-١٥٨
 - (٢) ابن الفوطي : مجمع الآداب ٤ ق ١ / ١٩٠ - ١٩١ .
 - (٣) الايوبي : مضار ، ص ٢٠٧ ، الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، (بيروت / لا ت) ، ص ٢٠٢ .
 - (٤) الحسن بن عبد الله : آثار الأول ، ص ٨٣ .
 - (٥) القزاز : في العصر العباسي الاخير ، ص ١٢٩ ، علي ، سيد أمير : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، (القاهرة / ١٩٣٨ م) ، ص ٣٥٩ .
 - (٦) السيوطي : تاريخ العراق ، ص ٤٥١ .

الا ان اهم ما يجب ذكره هنا هو ترتيبه (الحمام الزاجل) الذي يستخدم في نقل الاخبار العسكرية وقد تجلت فائدة استخدامه زمن الخليفة المستنصر بالله في معرفة تحركات المغول ونقل أخبارهم ، كما حصل في سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) عندما حاصرت قوات المغول أربل وضايقت أهلها ، فأنتهم طلبوا الاستغاثة من الخلافة بوساطة حمام الزاجل^(١) كما ان من فائدته ايضا هو ابلاغ الخلافة ببغداد سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) بفتح أربل من قبل الجيش العباسي وارسال الخبر على جناح طائر من حمام الزاجل^(٢) .

٣ - ديوان الزمام :

وهذا الديوان هو الدائرة الرئيسية في بغداد الذي يشرف على بقية الدواوين وله عدة تسميات منها الديوان أو ديوان الخلافة أو الديوان العزيز^(٣) في المكاتبات الرسمية . كما يتميز بأنه أكثر هيبة واحتراما من بقية الديواوين الاخرى^(٤) وتصل مكانة صاحبه الى درجة نائب الوزارة^(٥) .

أما أشهر موظفيه :

أ - صدر الديوان :^(٦)

١ - تاج الدين ابو الحسن علي بن الانباري الذي أقره المستنصر على صدرية ديوان الزمام الى ان توفي سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م)^(٧) .

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | ابن الفوطي : الحوادث ص ٩٨ - ٩٩ . |
| (٢) | نفسه ، ص ٤٧ ، الخسائي : المسجد ٤٥٤/٢ . |
| (٣) | فهد : تاريخ العراق ، ص ١٤١ . |
| (٤) | الايوبي : مضارص ٢٠٧ ، الخالدي ، فاضل عبد اللطيف : النظم في العراق في اواخر العصر العباسي ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) من كلية الاداب ، جامعة القاهرة / ١٩٧٢م ، ص ١٤٤ . |
| (٥) | الايوبي : مضارص ، ص ٢٠٥ ، فهد : تاريخ العراق ، ص ١٥٥ . |
| (٦) | لزيادة التفاصيل عن دوره وشرفه ينظر : معروف : تاريخ علماء المستنصرية ١٥٧/٢ - ١٥٩ . |
| (٧) | ابن الفوطي : الحوادث ص ٦٣ ، ١٥٧ . |

- ٢ - أبو منصور معلي بن الدباهي الفخري الذي تولى صدرية المخزن ثم نقل
الى صدرية ديوان الزمام سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) (١)
- ٣ - فخر الدين بن المحزبي الذي نقل الى صدرية الزمام سنة (٦٣٣هـ/
١٢٣٥م) (٢).

ب - المشرفون : —————

- ١ - ظهير الدين الحسن بن عبد الله كان مشرفا بالديوان حتى سنة (٦٢٢هـ /
١٢٢٩م) ثم نقل الى صدرية المخزن (٣).
- ٢ - فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغاني الذي تولى اشراف الديوان
سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) (٤).
- ٣ - عبيد الدين أبو المظفر منصور بن أحمد بن هاشم الدجيلي الذي تولى
اشراف الديوان سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) (٥).
- ٤ - قوام الدين أبو القاسم هبة الله بن أبي عيسى الشهرستاني المتوفى (٦٣٨هـ /
١٢٤٠م) الذي ولي اشراف الديوان سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) (٦).

٤ - ديوان الأبنية (العقار) :

(٧)
وهذا الديوان يهتم بالابنية الخاصة بالخلافة فقط كالترميم والاضافة
والاصلاح واشراف استاذ الدار (٨) ويبدو ان لهذا الديوان مخزنا يحسب

(١) ابن الفوطي : الحوادث ٨٨ ص ٨٨ .

(٢) ١- نفسه ٨٢ ص ٨٢ - ٢- مجمع الاداب ٤ ق ٢/٢٩٢ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ١٥ ص ١٥ .

(٤) نفسه ٤٣ ص ٤٣ .

(٥) نفسه ٦٢ ص ٦٢ - ٢- مجمع الاداب ٤ ق ٢/٩٥٩ .

(٦) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق : مصطفى جواد
٤ ق ٤ (لا م / ١٩٦٢م) ٨٦٨ - ٨٦٩ ص ٨٦٩ .

(٧) الايوبي : مضار ٩٢ ص ١٢٠٠ .

(٨) الايوبي : مضار ٩٢ ص ١٢٠٠ .

مختلف المصاد سواء التي تتعلق بعملیات البناء أو غيرها من الاشياء التي قد تستخدم هدايا ، حيث اشار صاحب الحوادث الى أن الخليفة المستنصر أمر لمجاهد الدين في اثناء زواجه^(١) سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) بهدايا من ديوان الابنية تشتمل على أحد عشر طبلا واحد عشر قطعة و زوج صنج ومن نظاره في هذه الفترة عزالدین ابو العباس بن عبد الرحيم بن جدا الهيستي الكاتب المعدل الذي تولى نظارته سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)^(٣) .

٥ - ديوان العرض (الجند) :

ومن تسمية هذا الديوان يتضح انه يختص بالجيش واموره العسكرية وكما هو معروف أبان تأسيسه في صدر الاسلام كان يسمى (ديوان الجند) ثم أطلق عليه بـ (ديوان العرض)^(٤) كذلك وسي صاحبه بالعارض^(٥) اذ يشترط فيه ان يكون ذكيا واسع الصدر ذا فكر سليم يمكن الاعتماد عليه في الامور المهمة وذات خبرة كبيرة بالامور العسكرية وذات ذكاء واهية ليتمكن من معرفة رجال جيشه ورتبهم وموقعهم لانه هو الاساس في انتظام امر الجيش^(٦) في اثناء الحرب والتدريب وتوفير الميرة لهم . وقد حصل تطوّر على هذا الديوان سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م) حيث أصبح له طارضان أحدهما يختص بالجند الغرباء وقد تولاه المعدل فخر الدين ابو طالب احمد بن الدامغاني والاخر

(١) سبق ذكر هذا الخبر في الفصل الثاني (العلاقة مع إمارة الموصل ، ص ٤٩)

(٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٩٣ ، الفسياني : المعجم ٤٧٥/٢ والصنج :

صفائح نحاسية دائرية الشكل تستخدم كآلة موسيقية حيث يضرب الواحد

بالاخر في مناسبات الاحتفالات والختان والزواج والكشاف (الخالدي :

النظم ، ص ٢٠٦ حاشية رقم ٢ -) .

(٣) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٦/١ - ٧

(٤) فهد : تاريخ العراق ، ص ٢٤٤ .

(٥) السمعاني : الانساب ، تحقيق محمد عوالم ، نشر محمد أمين دمج ،

ج ٨ ، (بيروت / لا ت) ، باب الالف والعين ، ص ٣١٢ ، ابن الفوطي :

الحوادث ، ص ٥٠ .

(٦) الحسن بن عبد الله : آثار الاول ، ص ٦٩ - ٧٠ .

يختص بالمساكر البغدادية وتولاه الحسن بن المختار العلوي^(١) وقد صادف أن أصبح لديوان المجلس حاجبان أيضا فقبل في ذلك :

هذه دولة حوت كل حسن وجهها مشرق بديع المعاني
فلها حاجبان زيدا جمالا ولها من جمالها عارضان^(٢)

ومن العارضين الذين تولوه جمال الدين بن مسكر الأنباري^(٣) الذي تولاه سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) وأبو الفتح علي بن هبة الله بن الدوامي سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) عوضا عن علاء الدين هاشم بن الأمير السيد^(٤) وقضلا عن العارضين فهناك المشرفون كذلك وهم غير عسكريين أيضا حيث يقومون بأعمال خدمية فيه ومنهم عز الدين أبو الفضل محمد بن صدقة بن يحيى البغدادى الذى بقي فيه من سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الى سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٩م) وقد حل محله عبيد الدين منصور بن عباس^(٥) وكانت هنالك عادة متبعة لاستعراض الجيش في أواخر العصر العباسي حيث يقوم الخليفة أو نائب الوزارة باستعراض الجيش في المناسبات وأيام الأعياد^(٦) فتسر القطعات من أمامه ويتفقد أسلحته وعدته وخبولته وتدريبه فيوجه القادة والامراء ويحاسبهم اذا لاحظ أى نقص او خلل يوشر على قوة الجيش وهيئته^(٧).

(١) ابن الفوطي : الحوادث ٥ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) ١- نفسه ٥ ص ١٠٣ - ١٠٤ ٢- مجمع الاداب ٤ ق ٩٩/٣ ٥ ٤ ق ٥٦٦/١ حاشية رقم - ١ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث ٥ ص ٤٩ .

(٤) نفسه ٥ ص ٥٢ - ٥٣ .

(٥) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ١ / ٣١٠ .

(٦) ابن الفوطي : الحوادث ٥ ص ٢٤٠ .

(٧) ثابت ٥ نعمان : الجندية في الدولة العباسية (بغداد ١٩٥٦م) ٥ ص ٢٦٦ .

٦ - ديوان المخزن :

كان المخزن تابعا لبيت المال أو (ديوان الخراج) كما هو معلوم الا انه أصبح في أواخر العصر العباسي ديوانا مستقلا يسمى بـ (ديوان المخزن)^(١) صاحبه يعرف بصاحب المخزن أو صدر المخزن^(٢) اذ له أهمية كبيرة في الدولة ولذلك يختار من ذوى الكفاءة والخبرة بالشؤون المالية ويخلع عليه من قبل الوزير والخليفة ويعطى مركوبا بعدة كاملة ويبلغا من المال يصل الى الف دينار ودارا مجاورة للديوان^(٣) . اما أشهر موظفيه الرئيس أو الصدر والمشف والمكتب والخازن وعدد من الموظفين الذين لهم خبرة باستيفاء الأموال والضرائب^(٤) .

آ - صدور المخزن :

- ١ - فخر الدين أبو المظفر هبة الله الموسوي الذي تولى صدرية المخزن مدة قصيرة ثم عزل^(٥) .
- ٢ - ظهير الدين الحسن بن عبد الله نقل الى صدرية المخزن سنة ٦٢٢٢ هـ / ١٢٢٩ م^(٦) .
- ٣ - اما في سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) ولي صدرية المخزن كل من تاج الدين معلي وجمال الدين عبد الله بن الناقد^(٧) .

-
- (١) ابن الساعي : الجامع المختصر ٩ المقدمة (ض) ذكر مصطفى جواد ان ديوان الخراج صار يسمى المخزن وصدر المخزن كوزير المالية اليوم (
 - (٢) ابن الفوطي : الحوادث ٨ ص ٨٢ .
 - (٣) نفسه ٨ ص ٨٢ .
 - (٤) الخالدي : النظم ٢٠٢ - ٢٠٣ وليس لدينا معلومات تحدد طبيعة عمل المشرف والذي يرجح انه أقل درجة من الصدر .
 - (٥) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٣ / ٤٣٤ .
 - (٦) ابن الفوطي : الحوادث ٨ ص ١٥ .
 - (٧) نفسه ٦٢ ص ٦٢ .

٤ - في سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) نقل فخر الدين ابو سعيد المبارك الخرمي وولي بدله تاج الدين ابو الفتح علي بن الدوامي (١).

٥ - في سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) تولاه هاشم بن علي ابو نضلة ابن الامير السيد العلوي وعزل عنه سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) وولي بدله فخر الدين محمد بن أبي عيسى (٢).

ب - اما المشرفون عليهم :

١ - النقيب الطاهر ابو علي الحسن المتوفى (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) اشرف عليه (سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وعزل منه سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) وكذلك ابو المظفر عبيد الدين ابن عباس الذي نقل من الاشراف عليه الى الاشراف في الديوان سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) (٣).

٢ - فخر الدين احمد بن الدامغاني رتب مشرفا سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) وبقي فيه حتى سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) (٤).

٣ - علي ابن غزاله الدائني رتب مشرفا فيه سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) (٥).

كما رتب فيه كاتباً هبة الله بن خليل سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) (٦). اما خزانة فمنهم العدل عبد الله بن عبد الرحمن البرجوني الذي رتب فيه سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) (٧).

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | ابن القوطي ، الحوادث ٨٤ |
| (٢) | نفسه ، ص ٩٠ و ٩١ |
| (٣) | نفسه ، ص ١١٩ |
| (٤) | نفسه ، ص ٦٢ و ١٠٣ |
| (٥) | نفسه ، ص ٨٢ |
| (٦) | نفسه ، ص ٨٢ |
| (٧) | نفسه ، ص ١٤٩ ولم نعثر على غيره من الخزان لبقية السنين . |

٧ - ديوان التركات :

ويسمى ايضا ديوان التركات الحشرية ، وهي التركات التي يمسها موت صاحبها ولا وارث من قريب يستحقها شرعا ، فتصبح قانونا ملكا للدولة ، وقد اهتمت الدولة بهذا الديوان ايضا وخصصت له ناظرا يشرف عليه ويدير شؤونه (١) ومنهم هبة الله بن الحسن البغدادي البغري المعروف بالاشقر المتوفى سنة (١٢٣٤هـ/١٢٣٦م) (٢) الذي ولاه الخليفة الظاهر في خلافته ، ولم نعثر على غيره من ولاه هذا الديوان زمن الخليفة المستنصر بالله .

٨ - ديوان الجوالي :

ويختص هذا الديوان بشؤون الجزية أو ما يسمى بضريبة الرأس المقررة على اهل الذمة في كل سنة (٣) ، والتي تجبى عادة من البالغين منهم باستثناء النساء والاطفال والعبيد والمجانين بنصاب قدره حسب المذهب الشافعي دينار واحد على الذي الفقير وديناران على متوسط الحال واربعة دنانير على الغني (٤) فيأتي الذي المشمول بها الى الديوان ويقف أمام صاحب الديوان حتى توزن جزيته ويعطى صلابدك (٥) .

وكان على صاحب ديوان الجوالي ان يهتم بمتابعة اهل الذمة ومراقبة التغييرات التي تحصل عليهم من وفيات وولادات أو هجرة أو دخول في الاسلام

-
- (١) الخالدي : النظم ، ص ٢٠٧ .
 (٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢١١ .
 (٣) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٦٤ ، النويري : نهاية الارب في فنون الادب ج ٨ ، (القاهرة / لا ت) ، ص ٢٠٩ حاشية رقم ١ - .
 (٤) ابن ماتي : قوانين الدواوين ، (مصر / ١٩٤٣م) ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .
 (٥) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٣ .

ويستعين برؤساء طوائفهم الذين يتولون مهمة جمع الجزية من أتباعهم حتى يتمكن من ضبط شؤون حسابهم فيها (١).

ومن تولى هذا الديوان منهم الشيخ الفاضل عضد الدين أبا نصر بن المبارك بن الضحاك الذي توفي سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٩ م) (٢)، فترتب في السنة نفسها القاضي محيي الدين بن فضلان المتوفي (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) والذي وصف بأنه كان شديد في استيفاء الجزية، ولم يتساهل مع أحد منهم حتى قيل إن ابن الشريح رئيس طائفة اليهود ذهب إلى ابن فضلان ليلا في داره ورجاه أن يتسلم جزيته منه فلم يلتفت إليه وقال له عليك الحضور نهارا إلى الديوان وتوذيها مع أبناء طائفتك فاضطر صاغرا أن يأتي إلى الديوان ويدعن للأمر الواقع (٣).

٩ - ديوان الطبق :

وهذا الديوان يعني بشؤون الأراضي الموقوفة للفقراء في أيام الحج وشهر رمضان (٤). فضلا عن الإشراف على دور الضيافة الموجودة في بغداد، التي تفتح أبوابها في المناسبات الدينية، والتي أمر الخليفة المستنصر بالله بزيادتها سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) وذلك ببناء دارين إضافيتين في بغداد، واحدة لأبناء الخلفاء المقيمين بدار الشجرة والأخرى للفقراء الهاشمين المقيمين بخربة ابن جودة (٥). كما يصرف من هذا الديوان على الأمور الدينية والصدقات التي يرثيها الخليفة (٦) ومن قبيل ذلك أمره بأن يصرف في أحد المرات من مال هذا الديوان ثمانية آلاف دينار تسلم للوزير وتوزع على مستحقيها من وجوه الأجسر والشواب (٧).

(١) النويري : نهاية الأرب ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٢) ابن الفوطي : الحوادث ٦ ص ١٦.

(٣) نفسه : ص ١٣. الصفدي : الوافي بالوفيات ٦ اعتناء ٦ ص.

ديدريسنسج ج ٥، دار صادر (بيروت / ١٩٧٠ م) ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٤) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٣٠٦ / ١ حاشية رقم ٢ -

(٥) ابن الفوطي : الحوادث ٦ ص ٤٤ وخربة ابن جودة محلة من محلات بغداد

يرجع تاريخ انشائها إلى فترة العصر السلجوقي (جواد وسوسة : دليل خارطة

بغداد ٦ ص ١٦٤).

(٦) راجع الفصل الخامس (تدين المستنصر) صفحة ١٥٤.

(٧) الغساني : المعجم ٢ / ٤٧٠ - ٤٧١.

رابعاً : الحسبة :

لغة من الفعل (حسب) فيقال (رجل حاسب) وهو الذي يقوم
بواجبه بدون أجبر احتساباً لله ^(١) ، أما اصطلاحاً : فأنها تعني وظيفة
إدارية يعرف صاحبها بـ (المحتسب) ، ثم اكتسبت معنى خاصاً فأصبحت تدل
على الشرطة المسؤولة عن مراقبة الأسواق والآداب العامة ^(٢) . أما من الناحية الفقهية
فقد عرفها الماوردي ^(٣) بأنها : ((امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكر
اذا ظهر فعله)) .

ولأهمية المحتسب ودوره في النظر بأمور الرعية فان تعيينه يكون من الامام
او نائبه ^(٤) ، كما يفترض توافر شروط معينة فيه حيث يجب ان تكون قراراته صحيحة
ومنسجمة مع الشريعة ، ولذلك يجب ان يكون نقيهاً وعالماً بلماً باحكام الشريعة
الاسلامية ^(٥) ، فضلاً عن شرط البلوغ وكمال العقل والعدالة ^(٦) .

وللحسبة علاقة بالقضاء ، حيث انها تكون واسطة بينه وبين احكام المظالم ،
كما انها تشبه القضاء في بعض الوجوه وتختلف عنه في وجوه أخرى ، وواجبها يقتصر
على معالجة الظواهر الاجتماعية الظاهرة للعيان ، أما القضايا التي فيها انكار وشهود
فانها تكون من صلاحية القضاء ^(٧) . كما ان للمحتسب صلاحيات معينة لانه يعرف
تفاصيل حدودها تخوله حق الدخول الى مجالس القضاة وتوجيههم ومنعهم من

(١) ابن منظور : لسان ، مادة (حسب) ، ٣٠٥/١ .

(٢) زهاور : مادة (حسب) ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ، ص ٣٧٩ .

(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ .

(٤) ابن الاخوة : معالم القرية في احكام الحسبة ، نقل وتصحيح روين لبيدي ،

(كيمبرج / ١٩٣٢م) ، ص ٧ .

(٥) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ، حسام الدين السامرائي ،

(بغداد / ١٩٦٨م) ، ص ١٠ .

(٦) ابن الاخوة : معالم القرية ، ص ٧ .

(٧) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ ، وينظر : ابن الاخوة : معالم القرية ،

ص ١٠ .

بممارسة القضاء في غير أماكنه المخصصة له ، كما يدخل الى الولاية والامــــراء
(١)
ويأمر بالمعروف وينهاهم عن المنكر وحشهم على الرحمة والبر والاحسان في الرعيـــــسة
ومن تولى هذا المنصب المهم في هذه الفترة الفقيه محيي الدين ابو محمد يوسف بن
عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى (٦٥٣هـ / ١٢٥٥م) الذي كان محتسب بغداد وشالاً
للعلم والفضيلة . (٢)

خامساً : المظالم :

وهي الوظيفة المهمة الاخرى التي ترجع جذورها الى صدر الاسلام والسني
مارسها الخلفاء العباسيون الاوائل ابتداءً من الخليفة المهدي (٣) ، الا أنها أهملت
تدريجياً ولم يمارسها الخلفاء حتى عهد الناصر لدين الله الذي مارسها بنفسه بداية
خلافته حتى ضعف بصره (٤) . الا اننا لم نجد في عصر الخليفة المستنصر بالله
ما يشير الى وجودها مع تدنيه وهدله ، كما لانعرف السبب الحقيقي لاهمالها . هل
كان الخليفة ام الصادر .

-
- (١) الشيزي ، عبدالرحمن بن نصر : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشره
السيد الباز العربي ، (القاهرة / ١٩٤٦م) ، ص ١١٣ - ١١٥ .
(٢) سبط ابن الجوزي : برآة ٨٠ ق ٥٠٢ / ٢ - ٥٠٣ ، ابن خلكان : وفیات الاعيان
تحقيق احسان عباس ، مج ٣ ، (بيروت / ١٩٧٠م) ، ص ١٤٢ .
(٣) الطبري : تاريخ ٤٠٧ / ١٠ - ٤٠٨ .
(٤) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٥٠١ / ٣ .

من خلال استقراءنا للمصادر والمراجع اتضح لنا أن الجيش مؤسسة قديمة ليست من نتاج هذه الفترة ، كما أسلفنا ، وإنما هو استمرار لتكوينه في العصور السابقة لها ، كمصر صدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي الأخرى . ولكثر ما كتب عنه منذ تأسيسه وانتهاء بهذه الفترة (١) فقد اغنانا ذلك عن الإعادة والتكرار فيه مرة أخرى ، فقصرنا دراستنا في هذا البحث الموجز على اهتمام الخليفة المستنصر بالجيش وعلى دور بعض الأبراء وتأثيرهم في سياسة الدولة .

أما فيما يتعلق بدور جيش المستنصر ومواجهته للاعداء واحتياطات الخليفة واجراءاته العسكرية فتكلمنا عليها بشيء من التفصيل في الفصل الثاني (٢) .

- (١) وللمزيد من التفصيل عن الجيش وتطوره وأسلحته وتنظيماته ينظر :
 الجنابي ، محمد خالد : تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصور
 الأموية ، (بغداد / ١٩٨٤م) ، ثابت : الجندية في الدولة العباسية ،
 قادر ، نزار محدد : الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية الإسلامية
 أطروحة ماجستير (غير منشورة) من كلية الآداب ، جامعة الموصل ،
 ١٩٨٤م ، الخالدي : النظم ،
 (الفكر العسكري عند العرب) عدد خاص مجلة المورد ج ١٢ ،
 ع ٤ سنة ١٩٨٣ .
 بطاينه ، محمد ضيف الله (الجيش الإسلامي نشأته وتطوره) مجلة
 المورخ العربي ع ٣٣ السنة ١٣ ، بغداد ١٩٨٧ ،
 فوزي ، فاروق عمر (نشأة الجيش النظامي في الإسلام وتطوره حتى منتصف
 القرن الثالث للهجري) . وقائع ندوة النظم الإسلامية ، ج ٢ ، أبو ظبي
 من ١١ - ١٣ نوفمبر / ١٩٨٤م .

- (٢) راجع العلاقة مع المغول صفحة ٦٤ من الرسالة .

١ - اهتمامه بالجيش :

لاقترب الخطر المولسي من الخلافة العباسية وتهدده المتزايد لها في هذه الفترة وبخاصة اثر سقوط الدولة السخارزمية سنة (١٢٣٠هـ / ١٢٣٠م) مما جعل جيوشه محاذية للخلافة وقد كثرت تعرضاته المارة الذكر عليها نبهت الخليفة المستنصر بالله الى هذا الخطر والى امكان التصدي له في حالة وقوعه كما حصل وقد كان الخليفة موصوفاً بالفطنة والحزم والشجاعة وحسن التدبير^(١) فاستجبت الحالة هذه منه ببناء جيش قوى لرد الاعداء وجعلته يفكر جديداً في تكوين مثل هذا الجيش ((واستخدم عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها أبوه ولا جده))^(٢) حتى بالغ المؤرخون في تعدادهم وذكروا انه تراوح بين (١٠٠) الف الى (١٢٠) الف فارس^(٣) وانه استخدم اسلوب الاستنفار ودعوة المتطوعين من اهل البوادي وحكام الاطراف المسلمين واعلانه الجهاد الديني بعد استشارة الفقهاء واصدارهم فتوى في ذلك^(٤) فزاد عدد جيشه وتنوعت عناصره فدعته الحاجة ايضا الى استخدام عارضين احدهما للجند البغدادى والآخر للجند الغرباء^(٥) كما ذكر سابقا .

الا أن المتبع لكثرة هجمات المغول على العراق بين الحين والحين وعدم تمكن الخلافة من الدخول معهم في معركة حاسمة تقصم ظهورهم وتنهزمهم من التحرش بحدوده ، بل ومطاردتهم داخل اراضيهم ، فضلا عن لجوئهم الى طلب النجدة من زعماء الاطراف ، كما حصل في هجومهم سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م) ودخولهم حُدود العراق حيث بلغ مجموع هذه الاعدادات مع جيشه حوالي (٧) آلاف مقاتل^(٦)

- (١) ابن العبد : أخبار الأيوبيين ١٥٤/١٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٦٢/٨ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣١٢ .
- (٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦١ .
- (٣) ابن واصل : الفرج ٣١٧/٥ ، اليونيني : ذيل المرأة ٢٥٥/١ ، الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٨٩٥ .
- (٤) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٩٨ .
- (٥) نفسه ، ص ١٠٣ .
- (٦) نفسه ، ص ١١١ - ١١٢ .

وعجزه عن الانتصار عليهم بل أخذ ((يصانهم ويهاديهم))^(١) في نهاية الأمر ما جعلنا نشك في صحة تقدير المؤرخين لجيشه (بالرقم الأول) ونعده تقديرا بالغافيه نرجح بانه اقل من ذلك بكثير ، نتيجة لمقارنته بـ (الرقم الثاني) وعدم انتصاره على المغول والقضاء عليهم نهائيا ثم لجوئه الى تغيير سياسته معهم باستخدام اسلوب المهادنة والتفاوض الذي يدل على العجز وعدم امتلاك الخلافة لجيش قوى كما وصف الواصفون .

الا أننا على الرغم من ذلك لا يمكننا ان ننسى دوره في تصديه للمغول ومكائنه المتواضعة في تكوين جيش أفضل من قبله وبعده في هذه الفترة واهتمامه به من ناحية التجهيز والتسلح حيث أوقف في سبيله الكثير من الأموال واسترضى قادته حتى أصبحوا من كبار الملاكين في الدولة ، فاستطاع ان يصمد به ويحيى الخلافة طيلة فترة حكمه^(٢) حتى وفاته ومجيء ابنه المستعصم بالله الذي أهمل الجيش نهائيا وقلل عدد جنده ومنع رواتبهم وارزاقهم فساءت احوالهم المعاشية والمعنوية حتى اضطروا الى تركه واستجداء الناس في الاسواق والجوامع^(٣) فتقلص جيش الخلافة وحصنها المنيع امام المغول وجيوشهم الكثيرة نتيجة هذه السياسة الخاطئة .

٢ - دور الامراء العسكريين :

لقد قام بعض الامراء العسكريين وأغلبهم من الاتراك بدور ايجابي للخلافة العباسية وخدموا الخليفة المستنصر بالله من خلال وظائفهم التي أولاها لهم فأحبهم ، واكرمهم وخلع عليهم ، واصبحت لهم مكانة خاصة في الدولة وصاروا

(١) اليونيني : ذيل البراءة ٨٧/١ ، الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ورقة ٣٨٩ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٨٥ .

(٣) اليونيني : ذيل البراءة ٨٧/١ ، الكتبي : ميعون التواريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

من ذوى الجساء والصلطان * ومن هؤلاء الأبراء (شرف الدين اقبال المستنصرى الشرابي) (١) الحبشي الأصل الذى أخذه من والده الظاهر بداية الأمر وجعله شرابيا عنده فأحبه وقربه (٢) اليه ثم ولاه قيادة الجيش (٣) وسرخسل العسكر (٤) فأصبحت له مكانة كبيرة في دولة المستنصر صار يخضر عنده الأمراء وكبار زوار الخلافة ويخلع عليهم * ومن قبيل ذلك عند وصول الأمير ركن الدين بن بدر الدين لولؤه بغداد سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) وذهابهم الى البدرية فانه اكرمهم جميعا وخلع عليهم هبات كثيرة من الذهب والمخيل ومختلف الهدايا (٥) مما يدل على مكانته وزيادة املاكه واقطاعاته الى الحد الذى لا يضاهاه أحد فيها حتى جعل له وكيلا عليها (٦) .

ومن المهم ذكره ان الشرابي قام بدور ايجابي كبير خدمة للخلافة وخاصة في (فتح أربل) ضمها الى رقعة الخلافة سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) (٧) فضلا عن قيادة الجيش ضد المغول اثناء هجماتهم المتكررة المارة الذكر على الخلافة الا أن الملاحظ على اقبال الشرابي انه على الرغم من مواقفه الايجابية وخدمته للخلافة فانه استغل منصبه كقائد اعلى في الجيش حتى أصبح عنصر هدم وتخريب في تماسكها * حيث تدخل في شؤونها وبدل رموزها وكان ذلك واضحا في اثناء وفاة الخليفة المستنصر بالله حيث قام بدور كبير في خلافة ابنه المستعصم الذى كان لينا ضعيفا يدل أخيه الخفاجي الشهم الشجاع رغم معارضة البيت العباسي له (٨) .

(١) الشرابي وظيفة خد مية جاءت تسميتها من تقديم الشراب بأنواعه (القلقشندي : صبح ٢١٥ / ٤) .

(٢) معروف : حياة اقبال الشرابي * ص ٣٣ - ٣٥ .

(٣) الغساني : المسجد ٤٢١ / ٢ .

(٤) ان وظيفة سرخسل العسكر تعني قائد الفرسان (معروف : حياة اقبال الشرابي * ص ٧٥ حاشية رقم ١ -) .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث * ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦) ابن الفوطي : مجمع الآداب ٤ ق ٢ / ١٨٠ - ١٨١ .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث * ص ٤٤ - ٤٧ .

(٨) راجع الفصل الاول (وفاته ودفنه صفح ٣١ من الرسالة)

المصـل الخامس

الخليلة المستنصر بالله وأثره في الحياة الثقافية والفكرية

- أولا : اهتماماته الثقافية :
- ثانيا : علاقته بالفقهاء وعلماء الدين :
- ثالثا : اهتمامه بالفتوة :

أولاً : اهتماماته الثقافية :

آ — رعايته للعلم والعلماء :

من خلال دراستنا لمسيرة الخلافة المستنصرية بالله عرفنا عن حبه للعلم وتشجيعه له وانجازاته فيه ولايسعنا هنا الا أن نعد عصر النهضة الفكرية والعلمية في العصور الاخيرة من تاريخ الدولة العباسية بدليل ان هناك الكثير من الامثلة والشواهد على مظاهر هذه النهضة وقد اكسد ذلك المؤرخون المعاصرون له والتأخرون منهم * وشهادتهم بذلك وصفهم له ولعصره وانجازاته العلمية * ومنهم ابن الكازروني^(١) المتوفى (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) الذي ذكر أنه كان يحب العلم وأهله وكثرت في ايامه الكتابة وتجويد الخط * ونتيجة لرغبته هذه قام بإنشاء مكتبة فخمة قريبة من مجلسه تحوى كتباً مختلفة للعلوم بانواعها * كما أكد الذهبي^(٢) المتوفى (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ذلك وأشار الى بعض ما أمر بإنشائه كالمدارس والمساجد والربط * ولهذا الاهتمام وللنهضة الفكرية للمجتمع ورغبته في تحصيل الكتب وقراءتها بيعت الكتب في عهده بأثمان عالية^(٣) .

ونتيجة ميله العلمي كان يحب العلماء والادباء ويكرمهم ويشجعهم^(٤) كما كان يجالس علماء الفقه ويحاورهم في أمور الدين * ومنهم الفقيه علي بن الخطاب بن مقلد أبا الحسن الضرير المتوفى (٦٢٩هـ/١٢٣١م) الذي كثيراً ما جالسه واستمع اليه واكرمه^(٥) .

(١) مختصر التاريخ * ص ٢٥٩ * الاربلي * خلاصة الذهب * ص ٢٨٦ .

(٢) مختصر تاريخ الاسلام * ورقة * ٣٣٥ ونشير هنا الى ان المساجد والربط كان لهما دور علمي فضلاً عن دورهما الديني حيث كانت تعقد فيها المناقشات والمناظرات ومنح الاجازات العلمية بالاضافة الى التأليف وتصنيف الكتب * كما كان يحتوى كل مسجد ورباط على خزانه كتب خاصة به (معروف: أصالة الحضارة العربية * بيروت/١٩٧٥م * ص ٤٦٤ - ٤٦٥ * ٤٧١) .

(٣) الكتبي : فوات الوفيات ١٢٠/٤ .

(٤) ابن واصل : المغرج ٣١٢/٥ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٢٩٤/٨ .

ولنا في عز الدين ابن أبي الحديد المدائني المتوفى (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) الذي كان أديبا فاضلا وحكيما وكاتبا خيرا مثال على تقدير العلماء في عهد المستنصر ، اذ قلده الكتابة في دار التشرفات ثم في المخزن^(١) سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ثم جعله كاتباً في الديوان ، وكتب باسم الخليفة المستنصر كتابه الموسوم (المستنصرات) كما كان عنده أعمال أدبية أخرى منها (شرح نهج البلاغة) و (الفلك الدائر على المثل السائر)^(٢) .

ومن اهتمامات الخليفة المستنصر بالأدب والشعر أيضا انه جعل للديوان العزيز شعراء خاصين به مثل أبي منصور البغدادي المتوفى (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)^(٣) وفخر الدين أبي الحسن بن الخفاجي البغدادي^(٤) وعبد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك المتوفى (٦٢٢هـ/١٢٢٩م)^(٥) ومن الشعراء ايضا النقيب قطب الدين ابو عبد الله المعروف بابن الاقسامى المتوفى سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) وكان أديبا فاضلا جيد الشعر ، يمتاز بالظرافة وأنيسا حلوا للنكتة حاضر الجواب سريع البديهة فأحبه الخليفة وقره منه واتخذ له لنفسه جليسا^(٦) .

اما العلوم الاخرى التي ازدهرت في دولة المستنصر بالله ورعايته لها فان هناك الكثير من العلوم التي كانت سائدة في هذه الفترة وقد زودتنا المصادر المترافرة ببعض منها والتي نذكرها هنا على سبيل المثال وليس الحصر والتي منها : علم الطب الذي كان رئيسه في بغداد سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٩م) ابو علي بن المسيحي^(٧) .

(١) المخزن: ديوان مالي يشبه وزارة المالية حاليا . وينظر الفصل الرابع (الدواوين)

صفحة ١٢٣ من الرسالة .

(٢) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ١ / ١٩٠ - ١٩١ .

(٣) الصفي : الراقي بالوفيات ، اعتناء ، هلموت ريتز ، ج ٤ ، (فنيشبادن / ١٩٦١م) ، ص ٣٧٩ .

(٤) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٣ / ٢٥٧ .

(٥) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٦ .

(٦) نفسه ، ص ٢٢٠ .

(٧) نفسه ، ص ١٣ .

أما بقية العلوم الأخرى ومنها علم النجوم الذي اشتهر فيه أبو شجاع
 فيروز بن أردشير الديلمي الكرمانلي المتوفى (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ^(١) وفي الفرائض
 والحداب برز الشيخ أبو العباس أحمد بن ثابت الهاملي الواسطي المتوفى
 سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) الذي كان يعلم الناس أصول هذا العلم وله تصنيفات
 فيه ^(٢) وبرز فيه كذلك قمر الدين محمد بن علي المعروف بـ (المحل البغدادي)
 المتوفى (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) إذ أصبح مدرسا لهذه العلوم في المدرسة
 المستنصرية عند افتتاحها ^(٣).

أما في علم الفقه والخلاف فكان الشيخ شهاب الدين السهروردي المتوفى
 (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) فقد كان شيخ الشيوخ في هذا الاختصاص في بغداد ، حيث
 كان له في الإرشاد والوعظ قول جميل وكلام مسموع ، ومن كلامه في ذلك قصيدة
 وعظيمة أثرت في الناس وورقت لها القلوب وتاب على أثرها عدد كبير من الناس لدى
 سماعها ومن قوله فيها :

لا تسقني زحدي فما عودتني اني أشح بها على جلاسي
 انت الكريم ولا يليق تكريما أن يعبر الندماء دور الكاسي ^(٤)

ولا يفوتنا في مجال الأدب أن نذكر قطب الدين محمد بن الحسن البغدادي
 الكاتب المتوفى (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) الذي اشتهر بجمال الخط وكتابة الرسائل ، كما
 أنجز كتابا في الأدب سماه (الروض البهيج) ^(٥) وفي هذا المجال أيضا برز صفي
 الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموي بالموسيقى ، وكان أبرع موسيقار في وقته ، فضلا
 عن نبوغه بالأدب وإجادة الخط والتدريس بالمستنصرية ^(٦).

-
- (١) الفسائي : المسجد ٢/٤٦٧ .
 (٢) ابن الفوطي : الحوادث ص ٦٢ .
 (٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب ٤ ق ٤/٢٤٥ - ٢٤٦ .
 (٤) ابن خلكان : وفیات الاعيان ٣/٤٤٦ ، ابن الوردي : تاريخ ٢/٢٣٢ .
 (٥) ابن الفوطي : مجمع الآداب ٤ ق ٤/٦٩٠ .
 (٦) جواد وسوسة : دليل خارطة بغداد ص ٢١٧ .

أما في البصرة فقد أمر الخليفة المستنصر أميرها شمس
بأتكين بإنشاء مدارس و مدرسة للحنابلة وأخرى لعلم الطب^(١) .

ويبدو من خلال ذلك أن عصره كان زاخراً بالعلماء الذين اشتهروا
في أغلب فروع المعرفة الموجودة آنذاك ، وقد أجمل ناجي معروف^(٢) حالة العلم في
عصر المستنصر وأهم إنجازاته عندما ذكر أن عصره كان يجمع بمختلف العلوم والعلماء
الذين توزعوا على كل أصناف المعرفة ، فظهر منهم علماء بالرياضيات والطب والفقه
والفلسفة والكيمياء والقضاء والنحو والتفسير فضلاً عن كثرة المدارس كالنظامية
والمستنصرية ومدرسة أبي حنيفة والشرابية ببغداد وواسط ومدرسة الجيلي ببغداد
الازج ، والمدرسة المجاهدة ببغداد ، ومدارس البصرة التي أنشئت في عهده
حتى بلغ عدد مدارس بغداد عند احتلال المغول لها (٣٨) مدرسة وعدد دور الحديث
(١٨) داراً وكذلك اهتم بدور الكتب الخاصة والعامة ، كما كثرت عدد الخطاطيين
والنساخين فازداد تأليف الكتب والمعاجم والدواوين في مختلف أنواع العلوم
الدينية والدنيوية .

-
- (١) ابن الفوطي : الحوادث ص ٣٣ ١٨١٠ معروف ، ناجي : علماء
النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي (بغداد / ١٩٧٣م) ص ١٤٦ .
- (٢) معروف : تاريخ علماء المستنصرية ١٥١/٢ - ١٥٢ .

ب - المدرسة المستنصرية :^(١)

وهي من أبرز مآثر الخليفة المستنصر بالله الثقافية التي حملت اسمه منذ تأسيسها الى اليوم وما زالت الدراسات والبحوث والندوات تجرى بصدد ها وتبحث في جوانبها المختلفة سواء العلمية أو العمرانية . كما انها اصبحت دليلا على مدى اهتمام هذا الخليفة بالعلم ومن خلالها عد عصره بحق عصر الازدهار الفكري والثقافي في العصور الوسطى .

ولوفرة ما كتب عن هذه المدرسة من دراسات وبحوث تناولت كل تفاصيلها منذ تأسيسها وعبر العصور المختلفة التي مرت بها كوصف بنائها ومرافقها وتلاميذها وشيوخها وعلمائها ونظامها والعلوم التي درست فيها فقد اغنانا ذلك كله بالشئ الكثير من التفصيل عنها . مما جعلنا نتناولها هنا بشئ من الاجساز وقدر ما يتعلق الأمر بعصر الخليفة المستنصر بالله واهتمامه بمرافقها ورعايته لطلابها وعلمائها .

(١) لزيادة التفاصيل عن المدرسة المستنصرية ينظر :

معروف : ١ - المستنصرية وأساتذتها .

٢ - تاريخ علماء المستنصرية مجلدين (١ - ٢) ، (بغداد /

١٩٦٥م)

٣ - خزانة المستنصرية ، مجلة ا لاقلام ، ج ٤ ، السنة الثانية ،

١٩٦٥م .

امين ، حسين : المدرسة المستنصرية ، (بغداد / ١٩٦٠م)

عبدالعزیز ، محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الاملايية

(الكويت / لا . ت) ، ص ٦٢ - ٦٦ .

المشهداني ، محمد جاسم والنقشبندی ، ناصر : المستنصرية في التاريخ

(الندوة العلمية للمستنصرية) (بغداد / ١٩٨٦م) .

العبيد ، طاهر مظفر (دور المدارس الاثرية في التعليم في العصر

العباسي) مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ع ١ ، ١٩٥٩م ، ص ١١٦ - ١٢٧

جواد ، مصطفى (المدرسة المستنصرية) مجلة سوبر ، الجزء ٢٥١ ، مج ١٤ ،

(بغداد / ١٩٥٨م) ، ص ٣٧ - ٦٧ .

١ - اسباب بنائها :

قبل التعرف الى هذه المدرسة وصفاتها واهتمامات الخليفة المستنصر بها لابد ان نقرر ونحلل الاسباب والدوافع التي قادت المستنصر الى اتخاذ القرار بإنشاء مثل هذه المدرسة التي ظلت شامخة عبر الزمن تحكي قصة الحضارة العربية في العصور الوسطى ، وتحمل اسم هذا الخليفة العظيم . ولا يسعنا هنا الا ان نستنتج بعض الاسباب والبواعث لبنائها ومنها :

آ - الهايث الديني :

يمكن اعتبار الباعث الديني واحدا من اهم البواعث التي حفزت الخليفة المستنصر بالله الى انشاء هذه المدرسة وبخاصة لدى ملاحظته طريقة التدريس في المدارس السابقة^(١) فقد كانت تقتصر على مذهب معين واحد ، فأراد ان يجمع كلمة الامة ويوحد ها ويجمع المذاهب الاربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) وتدريسها جميعا في بناية واحدة وتحت اشرافه حتى تكون الفائدة أعم وأشمل للتدريس والمجتمع ، اشارت الى ذلك المصادر الموثوق بها ومن بينها سبط ابن الجوزي^(٢) الذي قال : ((عبر المدرسة الشاطئية ووقفها على المذاهب الاربعة واقف عليها الأوقاف الكثيرة)) .

ويبدو أنها استمرت على هذا المنوال في طريقة تدريسها الى القرن (الثامن للهجرة) حيث ذكرها ابن بطوطة المتوفى (٥٧٢٩هـ / ١٣٧٧م)^(٣) في وصفه لبغداد وأشار الى ان لكل مذهب من هذه المذاهب ايوانا فيه مسجد للصلاة ويمكن للتدريس .

-
- (١) ومنها المدرسة للنظامية التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد والتي تم افتتاحها سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) وجعل التدريس فيها حكرا على المذهب الشافعي فقط (معروف : علماء النظاميات ، ص ١٩) .
- (٢) برآة ٨ ق ٢ / ٧٣٩ وينظر : أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٠ . ابن واصل : المفرج ، ١٠٢ / ٥ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٠ . الاربلي : خلاصة الذهب ، ص ٢٨٢ . تحفة النظار ١ / ٢٤٤٧ .
- (٣)

ويبدو أن الخليفة المستنصر لم يكن ليقدم مذهباً على مذهب آخر كما كان سائداً في المدرسة النظامية التي كان أحد شروطها للقبول أن يكون المتقدم إليها شافعياً قبل كل شيء^(١) ، لأن غرض المستنصر من ذلك رضوان الله وطلب الثواب في الآخرة بدليل ما أشارت إليه الكتابات الأثرية التي كانت موجودة فوق باب المدرسة الرئيس ومنها : ((بسم الله الرحمن الرحيم قد أنشأ هذا رغبة في أن لا يضيع الله أجر من أحسن عملاً وطلباً للفوز بجنت الفردوس))^(٢) .

ب - الهاست العلمي :

كما أشرنا سابقاً وصف المؤرخون^(٣) الخليفة المستنصر بأنه رجل علم بجمل العلماء ويقدرهم ، ويحب العلم وأهله بما يدل على أن انشاء هذه المدرسة جاء تحقيقاً لهذه الرغبة في العلم ، وقد أراد من خلالها إشباع رغبات كل محبي المعرفة بأنواعها ، ولذلك جعل مدرسة هذه نواة لكل العلوم سواء الدينية ، كعلوم القرآن والحديث والفرائض ، أو المدنية كعلم الحساب والمساحات والطب^(٤) .

وتأكيداً لرغبته هذه كان المستنصر يتابع مدرسة بنفسه ويشرف على سير التدريسات فيها ، ويستمع إلى محاضرات ومناظرات الفقهاء من خلال (منظرة) في جدار المدرسة تطل على قاعات التدريس ، فيرى المدرسين يستمع إلى محاضراتهم دون أن يروه^(٥) .

ج - الهاست السياسي :

إن عمل الخليفة لهذه المدرسة كان بدون شك باعثاً دينياً إلا أنه أراد أن يحقق منه غرضاً سياسياً وهو كسب ود المسلمين واحترامهم وولاءهم جميعاً فيقوى

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ٦٦/٩ .
 - (٢) الأعظمي ، خالد خليل : الزخارف الجدارية في آثار بغداد ، (بغداد / ١٩٨٠ م) ، ص ٨٤ .
 - (٣) انظر رعايته للعلم وللعلماء صفحة ١٣٩ من الرسالة .
 - (٤) الأربلي : خلاصة الذهب ص ٢٨٢ .
 - (٥) ابن وأصل : الفرج ٣١٧/٥ ، البونيني : ذيل المرأة ١٣٦/١ .

بذلك الجبهة الداخلية والرابطة بالاسلامية بعامة بما يقوى القاعدة السياسية له ، لان الخلافة العباسية كانت انذاك تواجه التحدى الاسماعيلى الباطنى^(١) الشطرف افكاره البعيدة عن الاسلام والمناوئة له ، فاراد بذلك^(٢) أن يحصن المجتمع من هذه الافكار الدينية السياسية والرد عليها في الوقت ذاته .

د - الهامش الذاتي :

ان الخليفة المستنصر بالله كان شأنه في ذلك شأن كثير من الملوك والقادة العظام الذين قاموا بانجازات كبيرة خلدت أسماءهم بعدهم كمسلة حمورابي وأهرامات مصر وديانة بغداد التي ما زالت تحمل اسم بانيتها ومؤسساتها المنصورة، فيبدوان المستنصر اراد ان يحقق الغرض نفسه فضلا عن الاهداف الاخرى فيبقى بذلك اسمه حيا يذكر بعده في التاريخ من خلال انجازه لهذه المدرسة التي لم يبن مثلها آنذاك ، فأعجبت المؤرخين ووصفوها احسن وصف واشادوا بمؤسساتها المستنصر فيكون عندئذ قد حقق هدفه هذا وخلد اسمه في التاريخ .

وما يؤكد هذا الدافع احتواؤها على أفاريز من الكتابات العربية التذكارية والتي توافرت بكثرة على جدرانها من الخارج ، وتتضمن معلومات تاريخية قيمة عن تاريخ انشائها ومؤسساتها وبعض العبارات التي تشيد به ، كما توضح الغرض من انشائها^(٣) .

٢ - ملاحظتها :

اختلفت الآراء في تحديد موقع المدرسة قديما قبل التجديد ، الا انها تتفق بهدئا على وقوعها في الضفة الشرقية لنهر دجلة وقرب دار الخلافة انذاك^(٤)

-
- (١) راجع الفصل الثاني (العلاقة مع الاسماعيليه صفحة ٦١ من الرسالة)
 (٢) فوزى ، فاروق صر : الخلافة العباسية ، ص ٩٩ .
 (٣) الاعظمي : الزخارف الجدارية ، ص ٨٤ - ٨٥ .
 (٤) ابن واصل : الفرج ٣١٦/٥ ، ابو الفداء : المختصر ١٢١/٣ ، ابن الوردي : تاريخ ٢٤٨/٢ .

أشار إلى ذلك ابن بطوطه^(١) وقد شاهدها في (المائة الثانية للهجرة) بعد الغزو المغولي * مما يدل على أنها ظلت سالمة ولم يصيبها الخراب الذي حل ببغداد * كما أنه ذكر بأنها تقع في نهاية (سوق الثلاثاء) المركز التجاري الرئيس في بغداد *

٣ - وصف بنايتها :

لقد نجح الخليفة المستنصر كما أسلفنا في تحقيق رغبته في ذكر اسمه على السنة المؤرخين الذين تباروا في وصفها والاشادة بها ومواسمها إلى حد المبالغة * حتى عدوها وحيدة زمانها^(٢) * ومن أبدع في وصفها وأجاد فيه الأريلي المتوفى (٧١٧هـ / ١٣١٧م)^(٣) فقال ((وضعها غريب وحسن ترتيبها عجب شاهده إلى غنان السماء تضحك شرفاتها بالسرور ويظهر في أبنيتها الفرح والحبور * ويلعب العزفي جوانبها ويطلع السعد من أساسها وأعلىها فهي كعبة الأئام وقبة الاسلام بجميع سائر الدين وبها هب المسلمين)) *

الا أننا قبل الدخول في تفاصيل بنائها لابد أن نذكر أن البدء بتأسيسها كان في بداية سنة (٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) وتكامل بناؤها سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٤م) *

أما بنائها فقد وصفت بأنها مستطيلة الشكل يقدر طولها (١٠٤م) * عرضها من الشمال (٢٠ر ٤٤) مترو من الجنوب (٤٠ر ٤٨) متر * وتقدر مساحتها الكلية بحوالي (٤٨٣٦) متراً^(٤) * أما مشتملات بنائها فقد

(١) تحفه ٢٤٤/١ وينظر : أمين : المدرسة المستنصرية ص ٣١ - ٣٢ .
 (٢) سبط ابن الجوزي : برآة ٨ ق ٢/٢٣٩ وينظر : القزويني : آثار البلاد ص ٣١٦ . ابن واصل : الفرج ٣١٦/٥ * ابن الطقطقي : الفخرى ص ٢٦٧ .

(٣) خلاصة الذهب ص ٢٨٧ .
 (٤) أمين : المدرسة المستنصرية ص ٣٢ .

صممت على أن تكون القاعات والغرف والأرواسن محيطة وبطلقة على صحن فسيح في الوسط تزيد مساحته على (١٣٠٠) متر ^(١) وتزين هذا الصحن بركة ماء يصل إليها من تحت الأرض ^(٢) ، ويذكر أن بنايتة المدرسة تتألف من طابقين مجموع غرفهما (٧٨) غرفة أي حوالي (٣٩) غرفة لكل طابق ، وأغلب هذه الغرف صغيرة الحجم ، أما الغرف الكبيرة قليلة وعددها (١٢) غرفة فقط بيدوانها هي التي خصصت للتدريس أما الغرف الصغيرة فقد خصصت لحاجات الطلاب كالأستراحة والنوم والمطالعة ^(٣) .

وإذا أوسمت هذه المدرسة صدرها لكل المذاهب فقد قسمت غرفها وأرواسنها في الطابق الأول إلى أربعة أرباع ، كل ربع مخصص لمذهب من المذاهب الأربعة (الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي) فكان ربع القبلة الأيمن للشافعي ، والربع الثاني يسار القبلة للحنفي ، والربع الثالث يمين الداخل للحنبلي ، والربع الرابع يسار الداخل للمالكي ^(٤) .

٤ - المرافق :

لقد اعتنى المستنصر بالله بدروسه هذه وافق الكثير على بنائها كما قدرت وقوفها بأكثر من (٧٠) ألف مثقال من الذهب في السنة الواحدة كما ذكر الذهبي إلى أن أوقافها بلغت (٩٠٠) ألف دينار ^(٥) وتمدد أرقاماً خيالية من الاتفاق آنذاك ، إلا أنها تهون وتهدو قليلة في نظر رجل يرى

- (١) عواد ، كوركيس (المدرسة المستنصرية بين الماضي والحاضر) بحث في الندوة العلمية للمستنصرية في بغداد / ١٩٨٦ م ، أعداد المشهداني ، محمد والنقشبندی ، أسامة (المستنصرية في التاريخ) ، ص ١٥٦ .
- (٢) ابن الفوطي ، الحوادث ، ص ٣٦٥ .
- (٣) أمين : المدرسة المستنصرية ، ص ٣٧ .
- (٤) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٨ ، الفساني : المسجد ٤٦٢/٢ .
- (٥) الكتبي : فوات الوفيات ١٢٠/٤ ، السهوتي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٢ .
- (٦) الذهبي : مختصر تاريخ الإسلام ، ورقة ، ٣٣٣ .

العلم أسس من المال وفوق كل اعتبار آخر . كما انها تنم في الوقت نفسه عن حالة التقدم والوضع الاقتصادي المزدهر الذي يسمح له بصرف مثل هذه البهاج الطائلة وهي تعد دليلا وبوضوحا على اهتمامه بالعلم وتلبية كل حاجات طالبه في هذه المدرسة .

ومن جملة هذه الاهتمامات والمستلزمات الضرورية التي أمر بتوفيرها للمستنصرية وجود (مخزن) لحاجات المدرسة وأدواتها وكل ما يحتاج اليه الاساتذة والطلاب من ملابس وصابون وأدوات وفرش والمواد الغذائية التي يحتاجون اليها في طبخ الاطعمة^(١) كما جعل فيها (زملة) للماء البارد في الصيف لمتسببها^(٢) وقد عين لهذه الزملة موظف براتب يتولى شؤنها ويشرف عليها وقد ذكر السلاوي^(٣) ذلك وقال : ((ان العلامة شمس الدين بن الجزري دخل المستنصرية وشرب من الزملة ، فلما فرغ قال للذي فيها وكان عليه بزة حاشاكم أو ما هذا معناه فقال شخص : لا تقل هكذا هذا له خمسة دنانير على سقي الناس)) .

ومن اهتمامات المستنصر الاخرى جعل فيها (حمام)^(٤) لاستحمام الطلبة والفقهاء ما يعد دليلا على الوعي الصحي والثقافي ، كما يعد انجازا مهما

-
- (١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، بيروت / ١٩٥٨م ، ص ٢٤٣ وما بعده وجود هذا المخزن صاحب الحوادث الجامعة ضمن حوادث سنة ٦٤٤ هـ صفحة ٢١٣ وقال : ((وفيها فتح باب مخزن المدرسة المستنصرية المقابل لباب سوق المدرسة وأخذ منه نحو أربعماية رطل شعرا معمولا وحدود ثلاثمائة رطل سكر وبلغ ثلثماية دينار وثلاثين همتا (نوع من الثياب))) .
- (٢) ابن واصل : المفرج ٣١٢/٥ ، ابن الفوطي : الحوادث ص ٣٦٥ ، الكتبي : فوات الرغبات ١٢٠/٤ .
- (٣) تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، (بغداد / ١٩٣٨م) ص ٢١٣ .
- (٤) سبط ابن الجزري : برآة ٨ ق ٢ / ٧٣٩ ، ابن واصل : المفرج ٣١٢/٥ .

ومن جملة المستلزمات الأخرى المتوافرة في المستنصرية كان فيهم
(بیمارستان) للمرضى فيه جميع صنوف الأدوية والعقاقير والأشربة فضلاً عما
فيه من الأطباء الماهرين لمعالجة الطلاب والفقهاء يضاف إلى جواره (صيدلية)
تصرف لهم الدواء الذي يخصصه الأطباء من الأشربة وغيرها^(١) . كما أن من مرافقها
الأخرى (المطبخ) الذي يعد فيه الطعام الكافي لسد حاجة الطلاب والفقهاء
مع ما يضاف لهم من الجرايات التي خصصها لهم الخليفة المستنصر^(٢) .

ومن المهم ذكره هنا أن الذهبي^(٣) أجمل كل مرافق المستنصرية واهتمامات
الخليفة فيها وقال : ((وعمل فيها مارستاناً كبيراً وبنى فيها مطبخاً للفقهاء
وبزلاً للماء البارد وزيت لبيوت الفقهاء والحصر والبسط والفحم والاطعمة والسورق))
أما من متابعة المستنصر لدرسته فيذكر أنه كان للدرسة حد يقسمه
أو بستان على نهر دجلة وبجوار للدرسة كان الخليفة يذهب إليه ويمتتع بمنظره
ويراقب مدرسته من قريب فيتنقذ أحوالها وأحوال الفقهاء والدارسين من خلال شباك في
أيوان المدرسة فيرى ويسمع المحاضرات^(٤) . مما يدل على اهتمامه بدرسته وتعلقه
بها ومتابعته لها يومياً . وهي ميزة فريدة لدى القليل من أمثاله من الحكام
في تشجيع العلم آنذاك .

ومن المرافق الأخرى للمستنصرية والمجبية في وقتها (ساعة المستنصرية)
التي صنعها نور الدين المعروف بابن الساطي^(٥) . وقد تكامل بناء الأيوان السدي
وضعت عليه الساعة سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) وعمل تحته صفة يجلس فيها طبيب

-
- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٢٣٩/٢ . ابن واصل : الفرج ٣١٦/٥ .
الاريلي : خلاصة الذهب ٢٨٢ .
(٢) ابن واصل : الفرج ٣١٦/٥ . القرطبي : أخبار الدول ١٨٠ .
(٣) مختصر تاريخ الإسلام ٣١١ . ورقة ٣١١ .
(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ٢٥٣ .
(٥) ابن الساطي : هو أحمد بن علي بن تغلب بن أبي الضيا البعلبي الأصل
البغدادي المولد والمنشأ المعروف بابن الساطي الذي صنع ساعة المستنصرية
الشهيرة (السلاي : منتخب المختار ٣٥ - ٣٦) .

لتدريس الطب ويداواة المرضى^(١) ، أما هذه الساعة وكيفية عملها العجيب
 في ضبط الوقت فقد وصفها لنا الأريلسي^(٢) وقال : ((وبنى في حائط
 هذه الصفة دائرة عجيبة صورتها صورة الفلك وجعل فيها طاقات صفار
 لها ابواب ، كلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب الطاقات ، وهو يذهب
 نضار مفضض وضعت ساعة من الزمان والبندقية من شبه يقمان من قم بازين من
 ذهب في طاسين من ذهب ويذهبان الى مواضعهما وتطلع شمس من ذهب في سماء
 زرقاء في ذلك الفلك ومع طلوع الشمس تدور دوراتها وتغيب مع غروبها ، فاذا غابت
 الشمس وجاء الليل فهناك أقمار طالعة من خلفها ، كلما مضت ساعة تكامل الضوء
 في دائرة القمر ، ثم تدور بالدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس)) فيعلم
 الدارسون والفقهاء أوقات الصلاة ، وهذا دليل اضافي على الاهتمام بها وكيفية
 احترام الزمن كما تدل على التقدم العلمي والحضاري لهذا العصر .

٥ - ملحقاتها العلمية :

والى جانب المدرسة المستنصرية هنالك منشآت علمية أخرى تعد اجزاءاً
 متممة لعملها وأدت دورها في تقدم المدرسة وازدهارها وهي :

آ - دار الحديث : وتتبع المدرسة دار الحديث النبوي الشريف ،
 ولها شيخ عالي الاسناد متقن لامور الحديث والسنة ، ويلاكمها قارئان وعشرة
 تلاميذ يدرسون علم الحديث ، كما ان من شروطها ان يقرأ الحديث كل يوم سبب
 واثنين وخميس وخصص لطلابها راتب وجراية مستمرة من اللحم والطبخ والصابون
 وكل انواع الخدمات الأخرى^(٣) .

-
- (١) ابن القوطي : الحوادث ، ص ٨٢ .
 (٢) خلاصة الذهب ، ص ٢٨٧ ، ابن القوطي : الحوادث ، ص ٨٣ .
 (٣) ابن القوطي : الحوادث ، ص ٥٨ ، الفسائي : المسجد ٤٥٩/٢ ،
 وينظر التفاصيل :
 أمين : المدرسة المستنصرية ، ص ٥٣ - ٥٥ .

ب - دار القرآن : وهذه هي الاخرى من الملحقات

العلمية المهمة فيها ، ودورها يتعلق بتعليم التلاميذ اصول قراءة القرآن
المجيد لثلاثين صبياً من الايتام على يد مقرر متقن يتحلى بسوا الاخلاق
وجودة العلم ويساعده في عمله معيد ، اما من حيث الاعطيات والجرايات فيصرف
لهم مثل جماعة دار الحديث ^(١) .

ج - المكتبة : تمتد المكتبة من الاقسام العلمية

الرئيسية للمستنصرية ، لأن عليها يعتمد في سير التدريس ، وذلك لما حوته
من كتب في مختلف الفنون والعلوم المعروفة آنذاك ، وظلت مكتبة المستنصرية مرجعاً
عليها مهما لطلاب العلم الوافدين من كافة انحاء المعمورة نحو قرنين من الزمن .

اما مكانها فكان في قاعة كبيرة في الطابق الاسفل من بناية المدرسة
وخالية من النوافذ التي يوجد بدلها فتحات سقوية تزودها بالضوء والهواء ^(٢) .

اما ما يتعلق بكمية الكتب الموجودة فيها فانها كانت على ما يبدو كبيرة
جداً وقد أشار الى ذلك صاحب مفتاح السعادة ^(٣) فقال : ((وكان فيها
من الكتب ما لا يحصى ولا تقوم عليه نقاشة))

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٩ ، الفساني : المسجد ٤٥٩/٢ .

وينظر أمين : المدرسة المستنصرية ، ص ٥٠ - ٥٢ .

(٢) معروف : (خزانة المستنصرية) ، مجلة الاقلام ، ج ٤ ، ١٩٦٥ ، ص

١٩ - ٢٠ ، وينظر : أمين : المدرسة المستنصرية ، ص ٥٨ - ٦٤ .

(٣) زاده ، طاش كبرى : مفتاح السعادة وصباح السيادة ، تحقيق ، كامل

كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور ، ج ١ ، (القاهرة / لا ت) ، ص

وقد أراد المستنصر أن تكون مكتبة مدرسته طاهرة بالكتب
التي تليق بحجم هذه المدرسة وسعتها العلمية ، لذا فإنه أمر بنقل
الكتب العلمية الكثيرة إليها والشاملة لكافة العلوم الدينية والدنيوية
يوم افتتاحها ، قال في ذلك ابن الفوطي ^(١) بأنها تقدر بحمل مائة وستين
حملاً ، ورتبت هذه الكتب في مكانها ترتيباً فنياً يسهل على عالمها تناولها
الكتاب وأرجاعه بسهولة ودون تعب ^(٢) .

-
- (١) الحوادث ، ص ٥٤ ، الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ورقصة
٣٠٨ - وعن كثرة عدد الكتب التي نقلت إليها قال النساني صاحب المسجد
جد ٢ صفحة ٤٥٨ ، أنها حملت على مائة وستين
جملاً فضلاً عن الكتب التي زودت بها بعد افتتاحها .
(٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٥٤ .

ثانيا : علاقته بالعلماء وعلمااء الدين :

١ - تدبينه :

من دراستنا لسيرة الخليفة المستنصر بالله تبين لنا انه ذو نزعة دينية واضحة تليق بخليفة المسلمين ، وكان له اهتمام ديني كبير وانجازات كثيرة فسي هذا المجال ، وقد وصف لنا ابن الكازروني ^(١) هذه الصفة الدينية وقال : ((كان حسن السيرة جميل السميرة ذاعل وعلم وغو وحلم دائم التعبد كثير التهجد)) ومن مظاهر تدبينه تواضعه لله في الصلاة حيث ذكر انه كان في أول جمعة أتت على خلافته ذهب الى المقصورة المخصصة لصلاة الخلفاء فأخبر ان المطبق ^(٢) الذي يهودى اليه خراب لا يمكن سلوكه ، فركب فرسه وسار الى جامع القصر ظاهرا امام الناس ولم يرغب في احد يشي معه ، وكذلك في الجمعة الثانية حتى أصلح له المطبق ^(٣) .

ومن حسن تدبينه ايضا انه كان يترجل عن فرسه تواضعا لله وخشبة عند سماعه صوت المؤذن حيث يمشى ماشيا الى الجامع ^(٤) حتى غالى في وصف تدبينه الشاعر الحسين الاقماسي في قصيدة مدحية بالغ فيها الى حد بعيد ومنها :

تفسي القدا لخليفة أحيا الورى	بصلا تهم وهداهم بصلا تهم
أضحت ملائكة السماء تحوطهم	في صدر مجلسه وفي خلواته
باجامع القصر الشريف لقد رأت	عيناك للرحمان خير ولا تسم
ملك تبشره السعادة والعلى	بثبات دولته وهلك عداته
ساوى النبي بهديه وفضلهم	وبجوده وعلمه وهباتهم ^(٥)

- (١) مختصر التاريخ ، ص ٢٥٩ .
- (٢) المطبق : الطريق الذى يصل الى المقصورة
- (٣) ابن الاثير : الكامل ٤٥٨/١٢ .
- (٤) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٢ .
- (٥) جواد (المدرسة المستنصرية) سور ١ و ٢ ، مج ١٤ ، ص ٥٥٧ .

ومن صفاته الدينية الاخرى انه كان كريما يكثر من الصدقات في رمضان ويبحث الدقيق والتفقات للفقراء والمحتاجين مساعدة لهم على الصيام ورغبة في المشيئة والاجر ، كما كان يبعث صدقات اخرى في الايام الى الفقهاء والمتصرفين وائمة المساجد مع محيي الدين بن الجوزي (١)

وفي اليوم السابع عشر من ربيع الآخر من سنة (٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) أمر المستنصر وزيره بتوزيع صدقة قدرها (ثمانية آلاف) دينار من مال ديوانه (٢) على جهات معينة من المحتاجين من أهله وأقاربه وفقراء الأماكن الشريفة منها : ألف دينار لفقراء المباسيين ، وألف لفقراء الطالبين ، وألف لفقراء مشهد الأمام الحسين (عليه السلام) ، وألف للشرقاء المقيمين بدار الشجرة (٣) من دار الخلافة ، وألف للفقراء العلويين المجاورين في مشهد الإمام علي (عليه السلام) ، وألف لفقراء الجانب الغربي من بغداد ، وألف للفقراء المقيمين على تربة الإمام أحمد بن حنبل وقبر الشيخ معروف الكرخي (٤) .

وما يدل على تدين المستنصر وحيه للعلويين والائمة الصالحين انه في سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) ((قصد الخليفة مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في ثالث رجب فلما عاد ابرز ثلاثة آلاف دينار الى ابي عبدالله الحسين بن الاقاسي نقيب الطالبين وامره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب والحسين وموسى بن جعفر عليهم السلام)) (٥)

وفضلا عن هذه الصفات الحميدة كان المستنصر بالله خشوعا لله السبي الحد الذي لا يستطيع ذكر اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الا اذا كان نظيفا طاهرا وذلك اجلالا واحتراما لاسمه (٦) .

- (١) ابن كثير : البداية ١١٤/١٣
- (٢) لزيادة التفاصيل عن هذا الديوان راجع الفصل الرابع (الدواوين صفح ١٣٢)
- (٣) هي دار بناها الخليفة القادر بالله وصيت بذلك لان فيها شجرة من الذهب والفضة لها ثمانية عشر غصنا ، ولكل غصن فروع كثيرة محملة بأنواع الثمار من الجواهر . وعلى اعصانها انواع الطيور من الذهب والفضة التي تغرد برور الهواء عليها (الحموي : معجم البلدان ٤٢١/٢)
- (٤) الفسائي : المسجد ٤٢٠/٢ - ٤٧١
- (٥) ابن القوطي : الحوادث ص ٩٥
- (٦) نفسه ص ٢٢٠ - ٢٢١

ويتضح من خلال ما مر بنا من ذكر سيرة الخليفة المستنصر انه كان متدينا
يبتلك كل صفات الخليفة المسلم حتى بالغ شاعر البلاط النشائي في وصفه بانتسه
فشبهه بمقامه بالانبياء قائلا في بعض الابيات التي منها ^(١) :

جلاله هبة هذا المقام نخبّر عالم علم الكلام
كان المناجي به قائما يناجي النبي عليه السلام

٢ - انجازاته الدينية :

ولتدين الخليفة المستنصر وجهه لعمل الخير قام بعدة انجازات دينية
أبرزها جميعا المدرسة المستنصرية التي جعلها لتدريس المذاهب الاربعة والتي يتلقى
فيها التلاميذ علوم القرآن والحديث ^(٢) .

اما بقية الانجازات الدينية الاخرى فيبدو أنها كثيرة ايضا ومنها : انه
كان للمستنصر اهتمام بالمساجد ودور الضيافة والربط ^(٣) مثل (الرباط المستجد)
بدار الروم الذي سكنه جماعة من الصوفية وجعل لهم شيخا هو ابو صالح نصر بن
عبد الرزاق الجيلي الذي اكرمه وخلع عليه وعلى جماعته ^(٤) ، كما أمر بعمارة مساجد
البرك ورتب لها الأئمة والمؤذنون ^(٥) .

وفي سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) أمر بعمارة مقصورة الصلاة المتصلة بجاسع
قصر الخلافة ^(٦) . وفي سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أمر ببناء مسجد بالجانب الغربي

(١) الصفدي . الوافي بالوفيات ٣٥/٩ .

ولانعلم ما اذا كان الخليفة المستنصر يوافق ويصح بالقاء مثل هذه القصائد .

(٢) راجع المدرسة المستنصرية من نفس الفصل صفحة ١٤٣ .

(٣) ابن الطقطقي : الفخرى ، ص ٢٦٢ .

(٤) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٢ .

(٥) نفسه ، ص ١٥ .

(٦) الفسائي : المسجد ، ٤٢١/٢ .

من بغداد على نهر عيسى في موضع يعرف (بقريّة) ومستوعب لثلاثين دارسا وجعل لهم شيخا للصلاة وشيخا لقراءة الحديث ^(١) وانفق عليهم (١٨٠٠٠) دينار ^(٢) . و اضاف ابن القوطي ^(٣) بأن المستنصر أمر بتأثيث هذا المسجد بالفرش الفاخرة والقناديل من الذهب والفضة والشموع . وجعل فيه اماما للصلاة هو الشيخ عبد الصمد بن احمد بن أبي الحبش ومعيدا لتلقينهم علوم القرآن والحديث . كما جعل له شيخا عالي الاسناد هو الشيخ حسن بن الزبيدي لتعليمهم الحديث في يومي الاثنين والخميس فضلا عن وجود مكتبة خاصة تحوى مختلف الكتب الدينية . كما انه انتهى في سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) من انجاز عمارة باب جامع القصر وترميمه وفتح فيه زملة للماء ^(٤) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان انجازات الخليفة المستنصر لم تقتصر على مدينة بغداد وانما تعدتها الى بقية بلاد العراق . حيث حظيت البصرة بمثل هذه الرعاية عندما أمر زعيمها شمس الدين باتكين بعمارة جامعها وتجديده سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ^(٥) .

اما من انجازاته في سامراء فقد أمر المستنصر بعمارة ضريحه الامام علي الهادي والحسن العسكري وتجديدهما عندما وقع حريق فيهما سنة (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) ^(٦) .

ومن اعماله الخيرة الاخرى انه كان يكثر من بناء المساجد والمشاهد وعمارة الخانات في الطرق لايواء المسافرين ^(٧) فضلا عن اهتمامه بطريق الحج واصلاح الابار

-
- (١) ابن الكازروني : مختصر التاريخ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
 - (٢) جواد وسوسة : دليل خارطة بغداد ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
 - (٣) الحوادث ، ص ٤ .
 - (٤) ابن القوطي : الحوادث ، ص ١٠٣ ، ويبدو ان المستنصر رُم جامع الخلفاء الذي ربما هو نفسه جامع القصر الذي يعد من اهم مساجد بغداد (لسترنج : مادة ، بغداد ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١٤)
 - (٥) ابن القوطي : الحوادث ، ص ٣٣ ، الفسائي : المسجد ٤٤٨/٢ .
 - (٦) نفسه ، ص ١٥٢ .
 - (٧) سبط ابن الجوزي : برآة ٨ ق ٢ / ٧٣٩ .

التي يحتاج اليها الحاج في الطريق ، ولم تقتصر انجازاته في العراق
فحسب بل شملت مكة والمدينة ايضا حيث بنى هناك دورا للمرضى فيهمما
وزودها بالأدوية والعقاقير على نفقته (١) . وقد اكد الاربلي (٢) هذه
الصفة الدينية وذكر بأنه كان : ((يعظم اهل الدين وينفق على اربابه)) فيستدل
من ذلك أن المستنصر كان متدينا قام بإنجازات كثيرة في سبيل رضوان الله وثوابه
وأن صدقاته وإنجازاته لم تقتصر على بغداد وحدها وإنما عامة العراق وأرض العرب
كما أنها لم تكن لفئة معينة دون أخرى وإنما شملت العباسيين والعلويين وكل الطوائف
ابتغاء رضوان الله تعالى أولا وقبلا بحق رحمته عليه ثانيها .

٢ - مظاهر علاقته بالفقهاء وطلباء الدين :

كان الخليفة المستنصر بالله ذا نزعة دينية واضحة تمثلت في انجازاته
الدينية البارزة الذكر فضلا عن علاقته وبيلائه للفقهاء والزهاد والصالحين والمتصرفين
والمدينين (٣) وهناك شواهد كثيرة على هذه العلاقة منها انه كان يحترم شيخ رباط
(الحرم الظاهري) غيف الدين بن دلف البغدادي المتوفى (٦٣٢هـ / ١٢٣٩م) الى
حد بعيد وكان ذا صلة وثيقة به قبل وفاته حتى كان يستوسط للناس عنده لقضاء
بعض حاجاتهم وذلك لتقدير الخليفة له (٤) .

ومن جهة للفقهاء ايضا انه كان يذهب الى الملت (٥) مسيرة يومين من بغداد
لزيارة اسحق بن احمد العلبي الحنبلي المتوفى (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) (٦) كما

-
- (١) الكتبي : فوات الوفيات ١٢٠/٤ .
 - (٢) خلاصة الذهب ٥ ص ٢٨٦ .
 - (٣) الكتبي : فوات الوفيات ٥ ص ١٢٠/٤ .
 - (٤) ابن الفوطي : (١- الحوادث ٥ ص ١٣٤ ٢- مجمع الاداب ٤ ق ١/٤٩٢) .
 - (٥) قرية تقع في الجانب الشرقي من دجلة بين ٥ عكبرا وسابرا وهي من اعمال دجيل
(ابن هدا الحق : مرآة ١٥٦/٢) .
 - (٦) سبط ابن الجوزي : مرآة ٨ ق ٢/٢٤٠ .

انه جالس الفقيه الواسطي ابي الحسن
الضرير المتوفى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) (١) وفي سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م)
عند وصول خبر المغول ببغداد بمحاصرتهم أربل وتطويقها أمر الخليفة نائب وزارته
ابن الناقذ باستفتاء الفقهاء في مسألة الجهاد وأيهما أولى اذا صادف الجهاد والحج •
فأفتوه آنذاك بأن الجهاد أولى من الحج (٢) مما يدل على تقديره • مكانة الفقهاء
لديه والأخذ برأيهم حتى في سياسة الدولة وأمرها العسكرية •

ومن مظاهر هذه العلاقة والاحترام ايضا يذكر أن الخليفة المستنصر أمر
في الرابع عشر من رمضان سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) بحضور ذوي الجاه والمناصب
من رجال الدولة والفقهاء ومشايخ الربط الصوفية والقراء والوظاظ والشعراء بالترتبة
الشريفة بالرفافة • وبعد حضورهم بدأت مراسيم الختمة بقراءة القرآن ثم تكلم
الوظاظ ثم الشعراء حتى انتهى الحفل وانصرف جميع الحضور ما عدا الفقهاء والصوفية
والقراء والوظاظ فقد أمر الخليفة بجهيتهم وخدمتهم على نفقة الدولة وصرف ما اتفق
من المخزن (٣) • ومن مظاهر علاقته بهم ايضا • يذكر في اثناء ختم أولاده القرآن
الكریم على يد الشيخ الفقيه العدل ابي المظفر علي بن النيار سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)
من انه خلق عليه واكرمه تشميناً لجهوده (٤) •

أما في مجال الصدقات على الفقهاء والصوفية والتقدير لهم فللمستنصر
الشيء الكثير في ذلك • ففي سنة (٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) أمر بعمل (بزملة) بالقبرب
من قبر الشيخ الفقيه احمد بن حنبل لسد حاجة زواره الواردين اليه من الماء وعين لها

(١) الصفدي : نكت الهميان في نكت العيان • (مصر / ١٩١١م) ص ٢١١

— ٢١٢ • السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٢٩٤/٨ •

(٢) ابن الفوطي : الحوادث • ص ٤٦٥ • كوك : بغداد مدينة السلام
١٩٦ / ١ •

(٣) جواد (المدرسة المستنصرية) • سور ج ١ • ٢ • مج ١٤ • ١٩٥٨ •
ص ٥٨ •

(٤) ابن الفوطي : الحوادث • ص ٨٩٠ • ٢١٠ • الفساني : المسجد ٢ / ٤٦٤
— ٤٦٥ •

قيماً يقوم برعايتها ، مما حرك هذا العمل الشعراء ، فنظموا قصائد فصيحة
ذلك ، ومنها ما قاله جعفر بن مهدي الكاتب في قصيدة مدح فيها الخليفة
المستنصر والتي منها :

وقبر احد قد طرزت حلبيته بحلبيته زينت منه بهانيته
ثم اتخذت لنا فيه مزلمة تدل انك يوم الخوض ساقية (١)
فأسلم فدتك الرعايا يا امام هدى تهدي الى الحق من قد ضل في التيه

وهذا يبين اهتمامه ليس بالاحياء منهم فقط وانما شملت رعايته ومكرمه
الاموات منهم كذلك .

وعندما حج بالناس من الشام شهاب الدين غازي بن العادل وممر
بالمراق وزار كربلاء والكوفة بسعث الخليفة اليه فرسين وسفلة والفي دينار من ملكه
الخاص اعانة للفقهاء في طريق الحج (٢) .

وفي سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) سافر القاضي شهاب الدين قاضي حمراء
الى بغداد يريد الحج رفقة الحاج العراقي ولما وصل سافر معهم الا انهم رجعوا
جميعا ولم يحجوا بسبب مشكلات الاعراب فخلع الخليفة على القاضي شهاب الدين
واكرمه ثم عاد الى بلاده (٣) .

وفضلا عما ذكر آنفا من تكريمه للفقهاء فانه كان ذا ثقة كبيرة بهم في توزيع
الصدقات على اهلها ، حيث أوكل اليهم أمر توزيعها على مستحقيها ومن امثلة
ذلك انه أمر في اوائل المحرم من سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) بتوزيع صدقة قدرها
(ستة الاف) دينار سلمت الى ثلاثة من الفقهاء وهم : ابن الجوزي ، وعبد الله

(١) ابن القوطي ، الحوادث ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) سبط بن الجوزي : برآة ٨ ق ٢ / ٦٤٤ .

(٣) ابن واصل : المفرج : ٨٥ / ٥ - ٨٦ .

البادراني واحد بن عبد العزيز وذلك لثقتهم بهم في عدل توزيعها على المعوزين
والاحتاجين^(١) ، كما انه كما اسلفنا سابقا كان يتصدق في اول ليالي العيد بصدقات
كثيرة الى الفقهاء والمتصوفة وائمة المساجد ويرسلها مع موضع ثقته الفقيه يحيى الدين
بن الجوزي^(٢) .

وما يؤكد بصورة أوضح مدى هذه العلاقة اشراكه لهم في مجال السياسة،
وتكليفه لهم سفراء للخلافة يمثلون السياسة الخارجية لها وتخويلهم الصلاحيات بالمفاوضات
وحل الخلافات ، كما حصل في الوساطة في حل خلافات البيت الايوبي نيابة عن الخليفة^(٣)
ومن هؤلاء الفقهاء يحيى الدين يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي الذي كان يوفد
الخليفة الى الملوك وأمراء الاطراف^(٤) ومنها مصر والروم والشام والشرق والموصل
والجزيرة وغير ذلك^(٥) .

ومن الفقهاء الذين كانوا ذوي علاقة وثيقة بالخليفة ايضا الشيخ الفقيه
شهاب الدين السهروردي صاحب كتاب (عوارف المعارف) الذي ارسل الى عسدة
اقطار في مهمات نيابة عن الخلافة وظهر دوره في انجاحها^(٦) ونهجا
ارساله الى اربل من قبل الخلافة وعقد في اهلها مجلس ارشاد ووعظة وهداية^(٧) .

-
- (١) الفسائي : المسجد ٥٠٦/٢ .
(٢) ابن كثير : البداية ١١٤/١٣ .
(٣) راجع الفصل الثاني (العلاقة مع الايوبيين صفحة ٤٢)
(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان مج ١٤٢/٣ .
(٥) ابن واصل : المغر ١٥٥/٥ - ١٥٦ ، ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١١٥ .
اليونيني : ذيل المرأة ٣٣٢/١ - ٣٣٣ ، الفسائي : المسجد ٥٠١/٢ -
٥٠٢ .
(٦) سبط ابن الجوزي : برآة ٨ ق ٦٧٩/٢ ، زاده : بفتح المعادة ٣٥٥/٢ .
ابن تغري بردي : النجوم ٢٨٤/٦ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٤٤٧/٣ .

ومن المقربين اليه من الفقهاء ايضا الشيخ أبو البركات
عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ الذي بعثه مع وفد رفيع المستوى الى جلال
الدين خوارزم شاه في حصاره لمدينة خلاط سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ^(١) وكذلك
الشيخ الامام رضي الدين ابو الفضائل الحسن بن محمد الذي بعثه الى الهند
في مهمة خاصة لنعلم فحواها ^(٢).

اننا من خلال ما تنصّر لدينا من المعلومات المارة الذكر اتضح لنا
ان الخليفة المستنصر بالله كانت له نزعة وميول دينية عالية ، وانه كان
كريمًا ومحبا لعمل الخير وذا علاقة جيدة بالفقهاء والمتصوفين والمتدينين ،
سواء الذين عاصروه أو الذين ماتوا قبله بسنين كما كان ميالا لزيارة المشاهد
وأضرحة الأئمة الصالحين وكان ذا ثقة عالية بأهل الدين والتقوى من رجال
عصره حتى ولاهم توزيع الصدقات على أهلها من المحتاجين فضلا عن إشراكهم
في مجال السياسة وأمر الدين وتمثيلهم له سفراء الى الملوك والامراء ، وهذه أعلى
مرتبة فسي العلاقة والثقة بينه وبين الفقهاء و علماء الدين .

(١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٤
(٢) معروف : تاريخ علماء المستنصرية ١٦٢/٢ .

ثالثا - اهتمامه بالفتوة :

١ - معنى الفتوة : ان تاريخ الفتوة يكاد يكون

غائبا لاننا لم نعثر على كتاب خاص بها يبحث في كل جوانبها من حيث بدايتها تأسيسها لأول مرة وبؤسها والمراحل التي مرت بها عبر التاريخ ومسمى النشاط أو حالة الجود في كل مرحلة من هذه المراحل^(١) .

ولم تكن الفتوة نوطا واحدا وانما نتيجة لتطورها أصبحت عدة انواع منها : الفتوة الفروسية ، وفتوة العيارين ، وفتوة الصوفية والمجونية أو فتوة المترفين .^(٢) كما أصبح لكل نوع من هذه الانواع منهجه وتعريفاته الخاصة به ، وصار لدينا الكثير من التعريفات التي لا يمكننا ايرادها هنا جميعا الا أننا اقتصرنا على ايراد بعض منها على سبيل المثال وليس للحصر ومن هذه التعريفات :

الفتوة لغة : تدل على صفة الفتى وهي مأخوذة من الفتى ، كالرجولة المأخوذة من الرجل .^(٣) اما الفتوة في الاصطلاح الاسلامي : ((هي مجموع الصفات التي يتحلى بها الفتى من الشجاعة والسخاء والايثار والعصبية الدينية والصدق والوفاء والحياء ، واتباع الحق ، ونصر صاحب الحق والمطالب به واخلاص العبادة واغاشة الخضر ورعاية النساء واليتامى))^(٤) كما عرفها الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم المعروف بابن المعمار الحنبلي البغدادي وقال : ((هي عبارة عن صفات محبوبة اتسم بها الشخص على وجه مخصوص واماز بها على ابناء جنسه فارجمت له اسم فتى))^(٥) وهو يمد ذلك قوله تعالى : ((انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم

-
- (١) الديوبندي ، سعيد : الفتوة في الاسلام ، (الموصل / ١٩٤٠) ، ص ٩٠ .
 - (٢) نفسه ، ص ١٨ وما بعدها ، الدسوقي ، عمر : الفتوة عند العرب (الفجالة / لا ت) ، ص ٢٢٠ وما بعدها .
 - (٣) جواد ، مصطفى (الفتوة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٥ ، ١٩٥٨ ، ص ٤٦ .
 - (٤) جواد (الفتوة واطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٥ ، ١٩٥٨ ، ص ٤٦ .
 - (٥) كتاب الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، (بغداد / ١٩٥٨م) ، ص ١٣٠ .

(١)

هدى وربطنا على قلوبهم))

(٢)

أما الفتوة في السنة النبوية فقد ورد عن النبي (صلي الله عليه وسلم)

انه قال : ((لفتيان أمتي عشر علامات : قيل يا رسول الله : وهل لأمتك فتية ؟ قال : نعم وأين الفتوة الأولى من فتوة أمتي ؟ قيل وما تلك العلامات يا رسول الله ؟ قال : صدق الحديث والوفاء بالعهد وإداء الأمانة وترك الكذب والرحمة لليتيم وإعطاء السائل وبذل النائل واكثار الصنائع وقصر الضعيف ورأسهن الحياء)) كما أورد القسيري (٣) العديد من التعريفات والطرائف الكثيرة التي تحمل في طياتها صفات وروح الفتوة ومن هذه التعريفات :

الفتوة : ((ان لا ترى لنفسك فضلا على غيرك)) ويقال : ((الفتى : من

لا يكون خصما لاحد)) وقيل : ((الفتوة فضيلة تأتينا ولا ترى نفسك فيها)) . كما يمكن اضافة تعريف آخر للفتيان : ((بانهم الشباب الذين يعيشون في تجمعات صغيرة وهم ينحدرون من طبقات اجتماعية وروايات مختلفة كما انهم احرار من اى ارتباط اسرى أو مهني أو قبلي يساهمون معا في حياة بسيطة اساسها التضامن والاخلاص المتبادل والملكية المشتركة (٤) .

أما عن مكانة الفتوة في الشعر العربي فهي معروفة لدى الجميع ، حيث كانت الفتوة العربية بمثابة أبهى صورها فيه كالغفر والمدح والحماة والبطولة وكانت لها حصة كبيرة في دواوين الشعر العربي حتى أصبحت غرضا مبرزاً لدى الكثير من الشعراء الذين وظفوا قصائدهم في خدمة الهادي العربية الاصيلية والتي يمكن اعتبارها

(١) القرآن الكريم : سورة الكهف : الآية ١٣ .

(٢) حديث نبوي شريف نقل عن ابن المكارم في كتاب الفتوة ، ص ١٣٣ .

(٣) الرسالة القسيرية ، تحقيق : محمد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، ج ٢ ، (القاهرة / لا . ت) ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٤) -Cahen: Art. "Futwa", Encyclopaedia of Islam, New

Edition, Leiden, 1965. Vol. LI . p. 961 .

نموذجاً للفتوة العربية ، حيث هناك الكثير من الأمثلة عليها ومنها قول الشاعر طرفة بن العبد الذي كان خير نموذجاً للفتوة في مجتمعه لمّا كان يتصف من التأهب والاستعداد الدائم لنجدة قومه عند الحاجة والضيق بشيئاً في قوله :

إذا القوم قالوا من فتى ؟ قلت أنني عنيتم فلم اكسل ولم اتلهس (١)

ولكثرة التعاريف التي تناولت الفتوة ومعانيها لا يسعنا هنا أن نستعرضها جميعاً ، إلا أننا يمكن أن نستنتج بأن الفتوة كانت أشبه بذهب ديني عقائدي أخلاقي يهدف إلى غرس العادات والتقاليد الأصيلة في نفس الإنسان العربي كالكرم والصدق والوفاء بالمعهد والشجاعة والفروسية وخاصة بعد الإسلام أخذت تستند إلى القرآن والسنة في منهجها وأصبح الفتى الإنسان النموذج للإنسان العربي .

إلا أنه من المؤسف حقاً أن هذه الفتوة تطورت وبرت بفترات تحولت فيها عن الممار الصحيح للفتوة العربية الإسلامية إلى شطارة وعبارة وأصبحت ذات شعارات بعيدة عن شعارات فتوة صدر الإسلام . وربما يرجع ذلك إلى انحراف حكام الدول الإسلامية وقادتها عن الطريق السوي للإسلام ما ترتب عليه انحراف الرعيمة التي تتبع الراعي في كل شيء (٢) .

٢ - الفتوة في عهد الناصر لدين الله :

لما بويع الخليفة الناصر بالخلافة (سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) كانت الأمة الإسلامية على غير ما يرام ضعيفة ومتدهورة فضلاً عن احاطة الأعداء بها كالأفرنج في بلاد الشام ودولة الموحدين في شمال أفريقيا وقايا سلاجقة العراق

(١) حنش ، أدهام محمد : الفتوة العربية نحو رؤية جديدة ، (المجلد / ١٩٨٥) ، ص ٦٢ .

(٢) جواد (الفتوة وأطوارها) مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١٩٥٨ م ، ص ٤٨ .

في إيران (١) حيث اقتضت ملطة الخلافة الفعلية على بغداد وبعض أنحاء العراق المحيط بها (٢) كما لاحظ الناصر كثرة الفساد في المجتمع وانحراف أبنائه عن القيم والأخلاق العربية الإسلامية السامية وسيطرة فتوة العيارين والشاريين وانتشارها بشكل خطير بلغت الانتباه (٣) فضلا عن سبب آخر مهم ذي علاقة بالجانب الديني الذي يتشمل بكثرة النزاعات الطائفية والمذهبية في بغداد والعراق . وقد أراد الخليفة الناصر القضاء عليها فجعل مبادئ الفتوة واسطة لضم الأطراف المتنازعة مذهبيا . حتى يجنبهم النزاعات المذهبية الضيقة والسياسية أودت بأرواح الكثيرين وأقلقست راحة الدولة . مما دعا الناصر أن يلغي الفتوة القديمة وينتسب إلى الشيخ الزاهد (عبد الجبار بن يوسف البغدادي) (٤) المتوفى (٥٨٣ هـ / ١١٨٢ م) شيخ الفتوة في عصره سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) ويصبح بذلك المؤسس والمرجع الأعلى للفتوة الجديدة الذي نشرها وعيها إلى دول الأطراف والممالك الإسلامية . وكانهم بذلك سنة (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) وطلب منهم الانتماء إلى فتوته وشيوخها (٥) . فامتثلوا لأمره وشربوا كأس الفتوة ورموا له بالبندق (٦) .

كما أمر الناصر كل واحد منهم أن يسقي رعيته كأسها ويلبسها سراويلها فاطاعوه أيضا ووافقوه على ذلك . حتى انتشرت فتوته في مناطق بعيدة من

(١) ابن المعمار : كتاب الفتوة . المقدمة . ص ٥٥ .

(٢) الديوه جي : الفتوة في الإسلام . ص ٤٣ .

(٣) نفسه . ص ٤٥ . وينظر الدوري . عبد العزيز (نشوء الاصناف والحسوف في الإسلام) مجلة كلية الآداب . بغداد . ع ١ حزيران ١٩٥٩ م . ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٤) ابن المعمار : كتاب الفتوة . ص ١٤٧ . ابن السامي الجاهل المختصر ٢٢١ / ١ - ٢٢٢ .

(٥) شرية الفتوة : كأس فيه ماء ملوح (ابن المعمار : كتاب الفتوة المقدمة . ص ٥٧) .

(٦) ابن واصل : المفرج ١٦٤ / ٤ . أبو الفداء : المختصر ١١٣ / ٣ .

(١) بغداد . مثل دمشق حيث ارسل سراويلها للملك العادل واولاده .
 كذلك الى كل من شهاب الدين الغوري ملك الهند صاحب كيشي واتبك سـمـد
 صاحب شيراز والملك الظاهر صاحب حلب الذين استجابوا له ورووا له بالبندق
 والطبـور المناسبـين (٣) .

الا ان المعلومات المتوافرة عن هذا الموضوع تبرز ان الخليفة الناصر
 غالى في نظام الفتوة وربي البندق الى حد بعيد مما أصبح ينتقد عليه من بعض
 المؤرخين كابن الاثير الذي يبدو من كلامه مستهزئا بسيرة الخليفة الناصر وبخاصة
 في مسألة الفتوة وربي البندق واحتكارها لنفسه الى الحد الذي لايسمح لاحد أن يرمى
 لغيره دون ان ينتسب اليه ، ما ولد هذا الاستحواذ الى الملك الذي بعض الناس
 وهروبهم خارج حدود العراق مثل ابن السفت الذي هرب من بغداد الى الشام ،
 وبدأ يفخر بنفسه وبأنه الوحيد في الدنيا الذي لايرى البندق للناصر (٤) .

وهذا وانما لم نعثر من خلال البحث على رد من مؤرخ معاصر لابن الاثير
 لنقده الناصر حتى العصر الحديث حيث رد عليه مصطفى جواد في مقدمة كتاب
 الفتوة لابن المعمار (٥) وبين ان ابن الاثير كان محدود الفكر ونظرتة سطحية وكان متأثرا
 بحوادث شخصية ، ولم يكن واسع الأفق حتى ينظر الى وحدة الامة الاسلاميـة
 بشارق الارض ومنازلها تحت خيمة هذا النظام على يد الناصر ، فضلا عن
 فائدة اخرى وهي استنتاج نسل جديد من الطيور المناسب (الحمام الزاجل) الذي
 يستفاد منه في نقل الرسائل والخبار العسكرية داخل الدولة العباسية وخارجها .

-
- (١) الديوجي : الفتوة في الاسلام ، ص ٤٧ - ٤٨ .
 (٢) سبط بن الجوزي : مرآة ٨ ق ٥١٣/٢ .
 (٣) الذهبي : مختصر تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٢١ ، الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .
 (٤) ابن الاثير : الكامل ٤٤٠/١٢ .
 (٥) ابن المعمار : كتاب الفتوة ، المقدمة ، ص ٧٢ .

٣ - الفتوة في عهد :

لما كان نظام الفتوة أحد أسباب قوة الخلافة وتوحيدها في عهد الناصر لدين الله نرى ان حفيده المستنصر بالله سار على نهجه في اهتمامه بهذا النظام الذي عده خير وسيلة لوحدة العالم الاسلامي وقوته في هذه الفترة لاسيما وقد بدأ فيها الخطر المغولي يزداد خطورة على الامة كما درسنا سابقا ، مما يوجب التوحيد والتصدى له بكل الوسائل . فذكر صاحب الحوادث الجامعة ^(١) ان جلال الدين عبدالله بن المختار العلوي المتوفى (٦٤٩هـ / ١٢٥١م) اشار على الخليفة المستنصر بالله أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) فتوجه الخليفة الى مشهده وليس عند الضريح الشريف السراويل وانتهى اليه ، ثم قام باعتماد هذا النظام ايضا ، وذلك بارسال لباس الفتوة الى ملوك الاطراف بوساطة وكلائه لينسوا عنه في ذلك .

هذا ويمكننا ان نستنتج مدى هذا الاهتمام للخليفة المستنصر بالفتوة ومحاولته نشرها من خلال الامثلة الاتية وحسب السنوات :

- ١ - في سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) ارسل الخليفة المستنصر كلا من فخر الدين ابي طالب احمد بن الدامغاني والشيخ ابي البركات عبدالرحمن ، والامير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل الى جلال الدين خوارزم شاه ومعهم هدايا ولباس الفتوة عند ما كان محاصرا لخلاط كما مر سابقا ^(٢) ووكّل الخليفة كلا من فخر الدين أبو طالب احمد الدامغاني والشيخ ابي البركات في تفتيته فخلعوا عليه ما ارسله الخليفة له من الهدايا ولباس الفتوة فتقبلها ولبسها

(١) ابن الفوطي ، ص ٢٥٢ . بالدولة

(٢) راجع الفصل الثاني (العلاقة الخوارزمية صفحـة ٥٧)

في خيمة خاصة ضربت له (١) .

٢ - وفي سنة (١٢٣٤هـ / ١٢٣٦م) وفي الخامس من صفر وصل بغداد نور الدين ارسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور ، فخرج بوكب الديسوان للقاءه ثم اكرموه وخلصوا عليه واسكنوه بدار النقيب الطاهر بعد الموسوي بالمقدية ثم استدعوه في اليوم الحادي والعشرين من الشهر نفسه الى البدرية عند شرف الدين اقبال الشرايبي قائد الجيش الذي شرفه بلباس الفتوة نيابة عن الخليفة المستنصر بالله (٢) .

٣ - وفي السنة نفسها ايضاً أي (١٢٣٤هـ / ١٢٣٦م) استدعي عبدالله الشرساحي مدرس المالكية بالمستنصرية الى البدرية عند الشرايبي ايضاً وشرفه بلباس الفتوة نيابة عن الخليفة (٣) .

٤ - وفي سنة (١٢٣٧هـ / ١٢٣٩م) وصل بغداد منيف بن الاير شينحة أمير المدينة ، فخلع عليه واكرم ، وتشرف بلباس الفتوة ثم عاد الى بلاد بعد انتصابه للخليفة (٤) .

٥ - وفي السنة نفسها ايضاً (١٢٣٧هـ / ١٢٣٩م) شرب كأس الفتوة من الاسام المستنصر الأمير عماد الدين ابو منصور احمد بن مؤيد الدين محمد بن اسعد بن علة الاصفهاني وكان فارساً شجاعاً وطالماً بالفروسية وركوب الخيل (٥) .

-
- (١) النسوي : سيرة السلطان ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ ، ابن الفوطي :
 ١ - الحوادث ، ص ٤ - ٥ ، ١٤٠ .
 ٢ - مجمع الاداب ٤ ق ٩٩/٣ ونظر جواد ، مصطفى (الفتوة والفتيان قديماً وحديثاً) مجلة لغة العرب ، ص ٨٠ ، ج ٤ ، السنة ١٣٠٠ ، ص ٢٤٣ .
 (٢) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ٨٨ - ٨٩ .
 (٣) نفسه ، ص ٩٠ - ٩١ .
 (٤) نفسه ، ص ١٢٦ .
 (٥) ابن الفوطي : مجمع الاداب ٤ ق ٦٢٤/٢ .

٦ - وفي السنة نفسها ايضا وصل بغداد ابو علي بن غنام أمير عرب الشام واستدعي الى البدرية ، وخلع عليه واكرم ، ثم شرف بلباس الفتوة وعاد الى دياره .^(١)

هذا وأن نظام الفتوة لم يمت بصوت الخليفة المستنصر سنة (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) وإنما استمر وانتقل الى الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس^(٢) وبعد قضاء المغول على الخلافة العباسية في بغداد انتكس نظام الفتوة وصار في حالة ركود حتى ظهور الخلافة العباسية الصورية في مصر فعاد معها نظام الفتوة ونشط من جديد .^(٣)

-
- (١) ابن الفوطي : الحوادث ، ص ١٣٠ .
 (٢) الدسوقي : الفتوة عند العرب ، ص ٢٤٩ .
 (٣) ابن المعمار : كتاب الفتوة ، المقدمة ، ص ٨٣ .

الخاتمة :

بعد دراستنا لعصر الخليفة المستنصر تبينت لنا عدة حقائق منها : ان الخليفة الخليفة المستنصر بالله نشأ في فترة انتعاش الخلافة حيث عاصر جده الناصر واباء الظاهر حتى توليه الخلافة سنة (٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) ، فاستمر عهده على هذا النحو من الاستقرار والهدوء طيلة فترة حكمه ، الا ان هذه الحالة من الانتعاش والاستقرار كانت مهددة بظهور المغول وتعاظم قواتهم فقد بدأت هجماتهم تتكرر على ارض الخلافة بين الحين والآخر ، فضلا عن اكتساحهم للقوى المجاورة لهم كالدولة الخوارزمية التي قضوا عليها عام (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) والحركة الاسماعيلية (السنزارية) عام (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) مما اقلق الخليفة المستنصر وجعله في حالة تحسب لهم فشرع في بناء سور حول بغداد لحمايتها من اي هجوم بهاغت ، فضلا عن تأسيسه جيشا ضمن امكاناته لملاقاتهم ودخوله معهم في عدة نزالات استطاع في معظمها أن ينتصر عليهم ويحيي ارض الخلافة من شرورهم طيلة فترة حكمه ، كما انه استطاع دول الاطراف لتكوين قوة اسلامية كبيرة للقضاء عليهم وملاحقتهم داخل اراضيهم .

اما على صعيد العلاقات السياسية في عهده فقد اتضح لنا انها كانت حسنة مع كل دول الاطراف التابعة للخلافة بما فيها (المغرب والاندلس ومكة والمدينة واليمن والايوبيين وامارة الموصل وسلاجقة الروم والخوارزمية) حيث كان يذكر فيها اسم الخليفة في الخطبة والسكة ، ولم تكن العلاقة عدائية الا مع الحركة الاسماعيلية بسبب الاختلاف العقائدي معها . اما ما يخص شخصية الخليفة المستنصر بالله واهتماماته الاخرى فقد اتضح لنا انه كان متدينا ، عادلا كريما ومحبا لعمل الخير فضلا عن حبه للعلم ورعايته لمناسطه ، حيث كانت له انجازات علمية ودينية غـير المدرسة المستنصرية ، التي اعتدها المؤرخون وحيدة زمانها ، وكذلك رعايته

للمدارس الأخرى ، فكان عصره بحق ، عصر النهضة الفكرية والثقافية في العصور
العباسية المتأخرة ، كما انه قام بتجديد حركة الفتوة التي انشأها جده
الناصر ، عندما لاحظ تفكك العالم الاسلامي ، وكثرة الحركات المذهبية
وسيطرة فتوة العيارين وتشويههم لاسم الفتوة القديمة ، فانتسب الى الفتوة
واصبح قائدها وحاول نشرها الى بقية دول الاطراف لأن فيها جمعا لامة
الاسلام فضلا عن قائدها المعكرية والبدنية والتربوية .

أما من الناحية الاقتصادية فكانت له انجازات أخرى منها في مجال الزراعة
مثل حفر الانهار والتي منها (النهر المستنصري) ، وبنى القناطر على الأنهار
مثل قنطرة (حربي) فضلا عن وجود شبكة من الانهار الكثيرة الاخرى ، مما يسد
على تقدم الزراعة في هذه الفترة . كما كانت هنالك بعض الصناعات الشائعة التي
يعود قسم منها الى العهد السابق لعصره مثل صناعة الثياب العراقية الشهيرة
التي تعدت شهرتها حدود العراق مثل (العتابي) و (السقلاطون) الى جانب
وجود صناعات اخرى .

كما ان التجارة كانت رائجة ومسترة على ما كانت عليه قبل هذه الفترة وقد
استطاعت أن تلبي حاجة البيت العباسي والمجتمع ، وكان من نتيجة هذا الراج والانتشار
ظهور بعض الوظائف المالية كالجهنزة والصيرفة ، وكذلك استخدام الصفائح والصكوك
في التعامل النقدي فضلا عن وجود النقود التي ضربها الخليفة المستنصر ومنعه
التعامل بالنقود الرديئة والمثلوم التي يؤدى استخدامها الى الربا والحرام .

أما بالنسبة إلى الإدارة فقد تبين لنا أن الوظائف الإدارية الرئيسية كالوزارة والقضاء والدواوين والحسبة هي امتداد للجهود السابقة له وأنه استمرت في عهده مع ظهور بعض الوظائف الجديدة مثل منصب (نائيب الوزارة) و (الأستاذية) كما اتضح أن المستنصر بالله ذو شخصية بارزة يتولى بنفسه اختبار وزرائه وقضائه وموظفيه ، وظل في هذه القوة والمركزية إلى أيامه الأخيرة حيث بدأ يختفي عن الناس حتى صار العويسة بيد قادة الجيش وإمرائه الاتسراك مثل (أقبال الشرابي) و (الدويدار الصغير) ، فضلا عن تعاون أستاذ السدار (مريد الدين بن العلقمي) وتأمر أولئك عليه وإبعادهم لاختيه الخفاجي الذي وصف بالشجاعة والقوة والبيد كان مرشحا للخلافة بعد المستنصر ، فنصبوا ابنه الضعيف الإرادة المدعو المستعصم بالله خليفة بعده ، مما ولد الشكوك لدى المؤرخين حول وفاته المفاجئة سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) والتي كانت خاتمة لنهاية عصره الذي بدأ سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) ودام ست عشرة سنة وعشرة أشهر وثمانين سنة وعشرين يوما .

وبعد ذلك أرجو أن أكون قد وفقت في رفد المكتبة العربية بهذا الجهد المتواضع والله الموفق .

أ - القرآن الكريم

ب - المخطوطات

- الحموي ، ابو الفضائل محمد بن علي (ت ١٢٤٤هـ / ١٢٤٦م)

١ - التاريخ المنصوري ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ،

مخطوطة منشورة كالأصل بدون تحقيق ، عني بنشرها ووضع

فهارسها ، بطرس غريازنيويج ، (موسكو / ١٩٦٣م)

- الذهبي ، الحافظ شمس الدين (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

٢ - مختصر تاريخ الاسلام ، مخطوطة على المايكروفلم ، محفوظة

في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد

برقم (١٨٠٣) .

ج - المصادر العربية الاصلية

- ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضايسي

(ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)

١ - الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، ج ٢ ، ط ١ ، مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة / ١٩٦٣م) .

- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني

(ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

٢ - الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت / ١٩٦٦م)

- ابن الاخوة ، محمد بن محمد ، احمد القرشي (ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م)

٣ - معالم القرية في احكام الحسبة ، اعتناء روين ليومي ،

مطبعة دار الفنون (كيمبرج / ١٩٣٢م) .

- الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م)

٤ - خلاصة الذهب المصبوك ، مختصر من سير الملوك ، وقف على طبعه

وتصححه ، مكي السيد جاسم ، (بغداد / لا ت) .

- الاسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٠م)

٥ - طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ج ٢ ، دار العلوم

للطباعة والنشر ، (الرياض / ١٩٨١م) .

- الاصطخرى ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخسي
(ت. ٣٤٠هـ / ٩٥٢م)
- ٦ – المسالك والممالك ، تحقيق ، محمد جابر عبد العال الحيني ،
مراجعة محمد شفيق غريال ، (القاهرة : ١٩٦١م) .
- ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة
الخرزجي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)
- ٧ – عيون الانباء في طبقات الاطباء ، نقل وتصحيح امرو القيس
بن الطحان ، ط ١ ، المطبعة الوهبية (لا م / ١٨٨٢م) .
- افندي ، زادة مرتضى (ت ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م)
- ٨ – كلشن خلفا ، ترجمة ، موسى كاظم نورس ، مطبعة الآداب ،
(النجف / لا ت) .
- الايوبي ، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (٦١٧هـ / ١٢٢٠م)
- ٩ – مضار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ،
دار الهنا ، (القاهرة / لا ت) .
- ابن بسام ، محمد بن احمد
- ١٠ – نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام الدين السامرائي ،
مطبعة المعارف (بغداد / ١٩٦٨م) .
- ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
- ١١ – رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار
وعجائب الاسفار ، تحقيق ، علي المنتصر الكتاني ، ج ١ ، ط ١ ،
مؤسسة الرسالة ، (بيروت / ١٩٧٥م) .
- البنداري ، الاصفهاني الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)
- ١٢ – تاريخ دولة آل سلجوق ، تحقيق ، لجنة احياء التراث العربي ،
ط ٣ ، دارالافاق ، (بيروت / ١٩٨٠م) .
- بنيامين ، بن يونه الشطيلي النباري الاندلسي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)
- ١٣ – رحلة بنيامين ، ترجمها عن العبرية ، عزرا حداد ، ط ١ ،
المطبعة الشرقية ، (بغداد / ١٩٤٥م)
- ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله بن احمد الاندلسي
(ت ٦٤٦هـ / ١٢٨٤م)
- ١٤ – الجامع لفردات الأدوية والافذية ، مج ١ ، مكتبة المثنى ،
(بغداد / لا ت) .

- ابن تغرى بردى ، جمال الدين الى المحاسن الاتاكي
(ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)
- ١٥ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (القاهرة / ١٩٦٣م)
- الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
- ١٦ — ثمار القلوب في المصاف والمنسوب ، تحقيق ، محمد ابوالفضل
ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة المدني ،
(القاهرة / ١٩٦٥م) .
- ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد الكتاني (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
- ١٧ — رحلة ابن جبير ، دار التراث ، (بيروت / ١٩٦٨م)
- ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
(ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)
- ١٨ — مناقب بغداد ، غني بتصحيحه وعلق على هوامشه ونشره ، محمد
بهجة الاثرى البغدادي ، مطبعة دار السلام ، (بغداد /
١٣٤٢)
- ١٩ — المنتظم في تاريخ الملوك والام ، ج ١ ، ١٠ ط ١ ، مطبعة
دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد (الدكن / ١٣٥٩م ،
١٣٥٨م)
- ابن ابي الحديد ، عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني
(ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)
- ٢٠ — المستنصرات ، مطبعة دار السلام ، (بغداد / لا . ت) .
- الحسن بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن العباس
(ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م)
- ٢١ — اثار الاول في ترتيب الدول ، (لا . م / لا . ت)
- الحموى ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله
(ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٢٢ — معجم البلدان ، مج (١ - ٥) ، دار صادر ودار بيروت ،
مج ١ ١٩٥٥ ، مج ٢ ١٩٥٦ ، مج ٣ ١٩٥٥ ،
١٩٥٧م .
- ٢٣ — معجم الادباء ، دار المستشرق ، (بيروت / لا . ت) .

- الحنبلي ، احمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م)
- ٢٤— عفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ، ناظم رشيد ،
دار الحرية ، (بغداد / ١٩٨٧م) .
- الخزرجي ، علي بن الحسن (ت ٨١٢هـ / ١٤٠٩م)
- ٢٥— كتاب العقود اللؤلؤية في الدولة الرسولية ، غني بتصحيحه
وتقيقه ، الشيخ محمد بسيوني عسل ، ج ١ ، مطبعة
الهلال بالقجالة ، (مصر / ١٩١١م) .
- خسرو ، نياصر (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)
- ٢٦— سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط ٢ ، دار الكتاب الجديد ،
(بيروت / ١٩٧٠م) .
- ابن الخطيب ، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ / ٣٧٤م)
- ٢٧— تاريخ اسبانيا او كتاب احوال الاعلام من بويج قبل
الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق ، ليفي بروفنسال ،
ط ٢ ، (بيروت / ١٩٥٦م) .
- ٢٨— اللحة البدرية في الدولة النصرية ، ط ٣ ، دارالافاق
الجديدة ، (بيروت / ١٩٨٠م) .
- الخطيب البغدادي ، الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب
(ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)
- ٢٩— تاريخ بغداد او مدينة السلام ، دار الكاتب العربي ،
(بيروت / لا . ت) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
- ٣٠— تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ
والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوى السلطان الاكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ،
(بيروت / ١٩٧٩م) .
- ابن خلكان ، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
- ٣١— وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس
مج ٣ ، دار الثقافة ، (بيروت / ١٩٧٠م) .
مج ٥ ، دار الثقافة ، (بيروت / لا . ت) .
مج ٦ ، دار الثقافة ، (بيروت / لا . ت) .

١٢٨
- الديار بكرى ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ١٥٨٢/هـ ١٩١٠م)

٣٢- تاريخ الخميس في احوال انفس النفوس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع (بيروت / لا ت)

- الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد (ت ١٣٤٧/هـ ١٧٤٨م)

٣٣- دول الاسلام ، تحقيق ، فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى

ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر / ١٩٧٤م)

٣٤- العبر في خبر من فبر ، تحقيق ، صلاح الدين المنجد

ج ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت / ١٩٦٦م) .

٣٥- المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبد الله محمد

ابن سعيد بن محمد ابن الديلمي ، ج ١ ، غني بتحقيقه

والتعليق عليه ونشره ، مصطفى جواد ، مطبعة المعارف ،

(بغداد / ١٩٥١م) .

- ابن رجب ، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد

البغدادى الحنبلي . (ت ١٣١٢/هـ ١٧٩٥م) .

٣٦- الذيل على طبقات الحنابلة ، وقف على طبعه وصححه

محمد حامد الفقي ج (٢٥١) ، مطبعة السنة المحمدية ،

(القاهرة / ١٩٥٢م ، ١٩٥٣م) .

- زادة ، طاش كبرى احمد بن مصطفى (ت ١٦٦٨/هـ ١٥٦٠م)

٣٧- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ،

مراجعة وتحقيق ، كامل كامل بكرى وعبد الوهاب ابو النصور

دار الكتب الحديثة بعابدين ، مطبعة الاستقلال الكبرى ،

(القاهرة / لا ت) .

- الزبيدي ، محب الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥/هـ ١٨٢٠م)

٣٨- تاج المروس من جواهر القاموس مج ٢ ، ط ١ ، المطبعة

الخيرية ، (مصر / ١٣٠٦) .

- ابن الساعي ، ابو طالب علي بن انجب تاج الدين (ت ١٢٧٤/هـ ١٢٧٥م)

٣٩- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، غني بنسخه

ونشره واصلاح تصحيحه وتعليق حواشيه وصل فهارسه ،

مصطفى جواد ، ج ١ ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ،

(بغداد / ١٩٣٤م) .

- ٤٠- نماء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء ، تحقيق ، مصطفى جواد ، دارالمعارف بمصر ، (القاهرة / لا . ت) .
- سبط بن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزوافلي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)
- ٤١- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مج ٨ ق ٢ ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، (حيدرآباد ، الدكن ، الهند / ١٩٥٢م) .
- السبكي ، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٢١هـ / ١٣٦٩م)
- ٤٢- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، ط ١ ، (لا م / ١٩٧١م) .
- ابن سعيد المغربي ، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
- ٤٣- كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، اسماعيل العربي ، ط ٢ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (الجزائر / ١٩٨٢م)
- الصلامي ، ابو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ٤٤- تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، تصحيح عباس العزاوي ، مطبعة الاهالي ، (بغداد / ١٩٣٨م) .
- السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (٥٦٢هـ / ١١٦٦م)
- ٤٥- الانساب (عدة اجزاء) حققه وعلق عليه ، محمد عوامه ، نشر ، محمد امين دمج ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، (بيروت / لا . ت) .
- سهراب : عاش في النصف الاول من القرن الرابع الهجري .
- ٤٦- كتاب عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة ، اعتنا ، هانس فون شريك ، مطبعة هولزهاوزن ، (فينا / ١٩٢٩م) .

— السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ١١١١هـ / ١٥٠٥م)

٤٧— تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محمد يحيى الدين عبد الحميد ،

ط ١ ، مطبعة السعادة ، (مصر / ١٩٥٢م) .

٤٨— حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق ، محمد

ابو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، دار احياء الكتب

العربية ، (لا م / ١٩٦٨م) .

— ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل

(ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)

٤٩— تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على

الروشتين ، تصحيح ، محمد زاهد بن الحسن الكوثري ،

نشر ، السيد عزت المطار الحسيني ، ط ٢ ، دار الجيل ،

(بيروت / ١٩٧٤م) .

— ابن شداد ، عز الدين محمد بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم

(ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)

٥٠— الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، (تاريخ

لبنان والاردن وفلسطين) نشر وتحقيق وفهرست

سامي الدهان ، (دمشق / ١٩٦٢م) .

— الشطنوفسي ، نور الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن جرير اللخمي

(ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م)

٥١— بهجة الاسرار ومعدن الانوار في بعض مناقب سيد كمي

الدين ابو محمد عبد القادر الجيلاني (قدس الله سره)

(لا م / لا ت) .

— شيخ الربوة ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري (٧٢٧/١٣٢٦)

٥٢— نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، اعتناء A. F. Mehren

(لا ينج / ١٩٢٣م) .

- الشيرزى ، عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م)
- ٥٣— نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر ، السيد البازالمريني
اشراف محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، (القاهرة / ١٩٤٦م) .
- ابن ابي صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)
- ٥٤— تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله آئمة
وجعلهم الوارثين ، تحقيق ، عبد الهادي التازي ،
(بغداد / ١٩٢٩م) .
- الصفدى ، صلاح الدين بن ابيك (ت ٧٦٤هـ / ١٢٦٥م)
- ٥٥— الوافى بالوفيات
- ج ١ ، ٤ ، اعتناء زهلموت ريتز ، ط ٢ (فيسبادن / ١٩٦١م) .
- ج ٥ ، اعتناء س. ديدريخ دار (صادر) بيروت / ١٩٢٠م)
- ج ٢ ، اعتناء ، احسان عباس ، (دار صادر ودار بيروت / ١٩٦٩م)
- ج ٨ ، اعتناء ، محمد يوسف نجم ، (دار صادر بيروت / ١٩٧١م)
- ج ٩ ، اعتناء ، يوسف ثان ، اس ، (دار صادر ودار بيروت /
١٩٧٣م) .
- ٥٦— نكت الهميان في نكت العميان ، وقف على طبعة ، احمد
زكي بك ، المطبعة الجمالية (مصر / ١٩١١م) .
- الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
- ٥٧— تاريخ الرسل والملوك ، (بيروت / لا ت) .
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)
- ٥٨— الفخرى في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، مطبعة
محمد علي صبيح واولاده (مصر / لا ت) .
- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ / ١٢٣٨م)
- ٥٩— مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق ، علي محمد
البجاوى ، ط ١ ، ج (١-٢) ، دار احياء الكتب العربية
(لا م / ١٩٥٤م) ، ج ٣ ، دار احياء الكتب العربية ،
(لا م / ١٩٥٥م) .

- ابن العبري ، فرينوريوس الملطي (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)
٦٥- تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ،
(بيروت / ١٩٥٨م) .
- ابن عذارى ، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)
٦٦- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب :
ج ١ ، تحقيق وسراجة ، ج . س . كولان و . ا . ليفي
بروفنسال ، دار الثقافة ، (بيروت / لا . ت) .
ج ٤ ، كتب التعليقات ، احسان عباس ، ط ١ ، دار
الثقافة ، (بيروت / ١٩٦٧م) .
- ابن العميد ، المكين جرجيس (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)
٦٧- اخبار الايوبيين ، تحقيق كلود كاهن ، مج ١٥ ،
(دمشق / ١٩٥٨م) ، (نسخة مصورة عن مجلة المعهد
الفرنسي بدمشق) .
- الغساني ، الملك الاشرف (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)
٦٨- المسجد النبوي والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء
والملوك ، تحقيق ، شاكرو محمود عبد المنعم ، دار البيان ،
(بغداد / ١٩٧٥م) .
- ابو الفداء ، عمار الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
٦٩- المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، (مصر /
لا . ت) .
- ٦٥- تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك
كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس / ١٨٤٠م) .
- ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
٦٦- مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق احمد زكي باشا ،
ج ١ ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة / ١٩٢٤م) .
- ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت ٩٠٣هـ / ١٥٠٣م)
٦٧- مختصر كتاب البلدان ، مطبعة برسل ، (لندن / ١٣٠٢م)

- ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين احمد
(ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)
- ٦٨ — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ،
وقف على طبعه وتصحيحه ، مصطفى جواد ، (المنسوب
لابن الفوطي) ، مطبعة الفرات ، (بغداد / ١٩٥٥م)
- ٦٩ — تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق ،
مصطفى جواد ، (ج ٤ ، اربعة اقسام) : ١ ، ٢ ،
مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، المطبعة الهاشمية ،
(دمشق / ١٩٦٢م ، ١٩٦٣م) ، ق ٤٠٣ ، مطابع
وزارة الثقافة والارشاد القومي (لا م / ١٩٦٥ م ، ١٩٦٧م) .
- القرمانلي ، ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي
(ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م)
- ٧٠ — اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، (بيروت / لا م) .
- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود
(ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)
- ٧١ — اثار البلاد واخبار العباد ، (دار صادر ودار بيروت ١٩٦٠م) .
- القشيري ، ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طه
(ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م)
- ٧٢ — الرسالة القشيرية ، تحقيق ، عبد الحليم محمود ومحمود بن
الشرif ، ج ٢ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة / لا م)
- ابن القلانسي ، ابو يعلي حمزة بن القلانسي
(ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)
- ٧٣ — ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء المسيحيين ، (بيروت /
١٩٠٨م) .
- القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي
(ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- ٧٤ — صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، نسخة مصورة عن الطبعة
الاميرية ، (القاهرة / ١٩٦٣م) .
- ٧٥ — مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد
فراج ، ط ١ ، (بيروت / ١٩٨٠م) .

— ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي

(ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

٧٦— مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس

تحقيق ، مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف على طبعه

سالم الآلوسي ، مطبعة الحكومة ، (بغداد / ١٩٧٠م) .

— الكتبي ، محمد بن احمد بن شاکر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)

٧٧— عيون التواريخ ، تحقيق ، فيصل السامر ونائلة عبدالمنعم

داود ، ج ٢٠ ، دار الرشيد ، (بغداد / ١٩٨٠م) .

٧٨— فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق ، احسان عباس ، دار

الثقافة ، (بيروت / ١٩٧٤م) .

— ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .

٧٩— البداية والنهاية في التاريخ ، ط ١ ، (بيروت والرياض / ١٩٦٦م) .

— الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي

(ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) .

٨٠— الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ج ٢ ، (مصر / ١٩٦٦م) .

٨١— ادب القاضي ، تحقيق محي هلال السرحان ، ج ١ ، مطبعة

الارشاد ، (بغداد / ١٩٧١م) .

— ابن مطروح ، صاحب جمال الدين يحيى بن عيسى (ت ٦٤٩هـ / ١٢٥١م)

٨٢— ديوانه ، ط ١ ، مطبعة الجوائب ، (قسطنطينية / ١٢٩٨)

— ابن المعمار ، ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) .

٨٣— كتاب الفتوة ، تحقيق ، مصطفى جواد واخرون ، ط ١ ،

مطبعة شفيق ، (بغداد / ١٩٥٨م) .

— المقدسي البشاري ، محمد بن احمد (ت حوالي ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)

٨٤— احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط ٢ ، مطبعة بريل

(لندن / ١٩٠٦م) .

— ابن المقرب ، الميوني جمال الدين علي الميوني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

٨٥— ديوانه ، تحقيق وشرح ، عبد الفتاح محمد الحلو ،

ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، (القاهرة / ١٩٦٣م) .

- المقرئى ، ثقى الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
- ٨٦ — السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه ، محمد مصطفى زياره ، ج ١ ق ١ ، ق ٢ ط ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة / ١٩٥٦ ، ١٩٥٧م)
- ٨٧ — النقود الاسلامية المسمى " بشذور المقدود في ذكر النقود " تحقيق ، محمد السيد علي بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ومطبعتها في (النجف / ١٩٦٧م) .
- ابن ماتي ، الاسعد شرف الدين (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)
- ٨٨ — قوانين الدواوين ، جمعه وحققه ، عزيز سورياي عطيه ، مطبعة مصر ، (مصر / ١٩٤٣م) .
- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)
- ٨٩ — لسان العرب ، (طبعة مصورة عن طبعة بولاق) ، الدار الوطنية للتأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة / لا ت) .
- الناصرى ، ابو العباس احمد بن خالد بن محمد المدعو حمادا بن محمد (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)
- ٩٠ — الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ، جعفر الناصرى ومحمد الناصرى ، ج ٢ ، مطبعة دار الكتاب (الدار البيضاء / ١٩٥٤م) .
- النسوى ، محمد بن احمد (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤١م)
- ٩١ — سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق ^{مانظ} احمد حمدي ، دار الفكر العربي ، (القاهرة / ١٩٥٣م) .
- النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٩٢ — نهاية الارب في فنون الادب (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة / لا ت) .
- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)
- ٩٣ — مفرج الكروب في اخبار بني ايوب : ج ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، دار القلم ، (القاهرة / ١٩٦٠م) .
- ج ٤ ، ٥ ، تحقيق حصنين محمد ربيع ، مطبعة دار الكتب (لا م / ١٩٧٢م ، ١٩٧٧م) .

- ابن الوردى ، زين الدين عمر بن الوردى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
- ٩٤ — تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، المطبعة الحيدرية (النجف / ١٩٦٩م)
- اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- ٩٥ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج ٤ ، ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف النظامية حيدرآباد (الدكن / ١٣٣٩ هـ) .
- اليماني ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) .
- ٩٦ — تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق ، مصطفى حجازي ، (دار العودة — بيروت ، دار الكلمة — صنعاء / ١٩٦٥م) .
- اليونيني ، قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)
- ٩٧ — ذيل مرآة الزمان ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العشانية بحيدرآباد ، (الدكن / ١٩٥٤م) .
- ج — المراجع العربية الحديثة
- الاعظمي ، خالد خليل
- ١ — الزخارف الجدارية في اثار بغداد ، دار الرشيد ، (بغداد / ١٩٨٠م) .
- الامين ، حصن
- ٢ — الفوز المفقولي ، دائرة المعارف ، (بيروت / ١٩٧٦م) .
- امين ، حسين
- ٣ — المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، (لا م / ١٩٦٠م)
- ٤ — تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد ، (بغداد / ١٩٦٥م) .
- الانباري ، عبد الرزاق
- ٥ — النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي (١٤٥ — ٦٥٦) مطبعة النعمان ، (النجف / ١٩٧٧م) .

- الباشا ، حسن
- ٦ - الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، مطبعة
لجنة البيان العربي ، (القاهرة / ١٩٥٢م) .
- بيضون ، ابراهيم وزكار سهيل
- ٧ - تاريخ العرب السياسي من فجر الاسلام حتى سقوط بغداد ،
دار الفكر ، (بيروت / ١٩٧٤م) .
- ثابت ، نعمان
- ٨ - الجندي في الدولة العباسية ، مطبعة اسعد ، (بغداد /
١٩٥٦م) .
- الثور ، عبد الله بن احمد
- ٩ - مختصر من تاريخ اليمن ، دار الاستقلال ، (القاهرة :
١٩٧١م) .
- الجميلي ، رشيد
- ١٠ - دولة الاتابكة في الموصل ، ط ١ ، (بيروت / ١٩٧٠م) .
- الجناسي ، خالد جاسم
- ١١ - تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الاموي ، دار
الحرية للطباعة ، (بغداد / ١٩٨٤م) .
- جواد ، مصطفى
- ١٢ - سادات البلاط العباسي ، دار الفكر للجميع ، (بيروت /
لا . ت) .
- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد
- ١٣ - دليل خارطة بغداد الفصل في خطط بغداد قديما
وحديثا ، مطبعة المجمع العلمي ، (بغداد / ١٩٥٨م) .
- حسن ، حسن ابراهيم
- ١٤ - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ٤ ،
ط ١ ، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة / ١٩٦٧م) .
- ١٥ - اليمن البلاد السعيدة ، دار المعارف ، (مصر / لا . ت) .

- حسنين ، عبد المنعم محمد
- ١٦ — سلاجقة ايران والعراق ، ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة / ١٩٥٩ م) .
- الحسيني ، محمد باقر
- ١٧ — تطور النقود العربية الاسلامية ، ط ١ ، دار الجاحظ ، (بغداد / ١٩٦٩ م) .
- حمدي ، حافظ احمد
- ١٨ — المشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي (مصر / ١٩٥٠ م)
- حنش ، ادهام محمد
- ١٩ — الفتوة العربية نحو رؤية جديدة ، (المصل / ١٩٨٥ م) .
- الخالدي ، فاضل عبد اللطيف
- ٢٠ — النظم في العراق في اواخر العصر العباسي من (٤٤٢ — ٦٥٦ هـ) ، اطروحة دكتوراة (غير منشورة) مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة القاهرة / ١٩٧٢ .
- خصباك ، جعفر حسين
- ٢١ — العراق في عهد المغول الايلخانيين ، ط ١ ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٦٨ م) .
- الخلف ، جاسم محمد
- ٢٢ — جغرافية العراق الطبيعية ، ط ٣ ، مطبعة المعرفة ، (القاهرة / ١٩٦٥ م) .
- الدسوقي ، عمر
- ٢٣ — الفتوة عند العرب او احاديث الفروسية والمثل العليا ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (الفجالة / لا . ت) .
- الدوري ، عبد العزيز
- ٢٤ — تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف ، (بغداد / ١٩٤٨ م) .
- ٢٥ — مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط ١ ، دار الطليعة ، (بيروت / ١٩٦٩ م) .

- الديوه جي ، سعيد
- ٢٦- الفتوة في الاسلام ، المطبعة الكلدانية ، (مصل / ١٤٠م)
- رشيد ، ناظم
- ٢٧- داود بن عيسى الايوبي ، حياته وادبه ، اطروحة دكتوراة
(غير منشورة) من كلية الاداب ، جامعة بغداد / ١٩٨١م .
- الرويشدي ، سوادى عبد محمد
- ٢٨- امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ، ط ١ ،
(بغداد / ١٩٧١م) .
- الزركلي ، خير الدين
- ٢٩- الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب
والمستعربين والمستشرقين ، ط ٣ ، (لا م / لا ت) .
- زيادة ، نقولا
- ٣٠- لمحات من تاريخ العرب ، دار الكتب ، (بيروت / ١٩٦١م) .
- سرور ، محمد جمال الدين
- ٣١- تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نقوذ الاثراك
الى منتصف القرن الخامس الهجرى ، دار الثقافة العربية ،
(القاهرة / ١٩٦٥م) .
- السعدى ، اسمل عبد الحسين
- ٣٢- الصيرفة والجهيزة في العراق من القرن الثاني الى نهاية
القرن السابع الهجرى ، اطروحة دكتوراة (غير منشورة) من
كلية الاداب ، جامعة بغداد / ١٩٨٥م .
- سليمان ، احمد السعيد
- ٣٣- تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، ج ١ ،
دار المعارف ، (مصر / ١٩٦٩م) .
- سوسة ، احمد
- ٣٤- رى سامراء في عهد الخلافة العباسية (٢٥١) ، ط ١ ،
مطبعة المعارف ، (بغداد / ١٩٤٨م ، ١٩٤٩م) .
- الشبيبي ، محمد رضا
- ٣٥- مؤرخ العراق ابن الفوطي ، ج ٢ ، مطبعة المجمع
العلمي ، (بغداد / ١٩٥٨م) .

— الصياد ، فؤاد عبد المعطي

٣٦ — المغول في التاريخ ، ج ١ ، (بيروت / ١٩٨٠ م) .

— طه ، عبد الله محمود

٣٧ — ديوان النشائي ، مجد الدين اسعد بن ابراهيم بن

الحسن الاربلي المتوفي ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، اطروحة

ماجستير (غير منشورة) من كلية الاداب ،

جامعة الموصل / ١٩٨٥ م .

— العاني ، نوري عبد الحميد

٣٨ — العراق في العهد الجلائري ، (بغداد / ١٩٨٦ م) .

— عبد العزيز ، محمد الحسيني

٣٩ — الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ، وكالة المطبوعات ،

(الكويت / لا ت) .

— عبد الله ، ناجيه

٤٠ — رصف بغداد ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ،

(بغداد / ١٩٨٨ م) .

— العبود ، عبد الكريم توفيق

٤١ — الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط

بغداد ، دار الحرية ، (بغداد / ١٩٧٦ م) .

— العبود ، نافع توفيق

٤٢ — الدولة الخوارزمية ، مطبعة الجامعة ، (بغداد / ١٩٧٨ م) .

— علي ، سيد امير

٤٣ — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ترجمة رياض

رافت ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر ، (القاهرة / ١٩٣٨ م) .

— عنان ، محمد عبد الله

٤٤ — عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم الثاني

(عصر الموحدين وانهيار الاندلس) ط ١ ، (القاهرة /

١٩٦٤ م) .

— غنيمه ، يوسف رزق الله

٤٥ — تجارة العراق قديما وحديثا ، (بغداد / ١٩٢٢ م) .

- فهد ، بدرى محمد

٤٦ - تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، مطبعة

الارشاد ، (بغداد / ١٩٧٣م) .

٤٧ - العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري ، مطبعة

الارشاد ، (بغداد / ١٩٦٧م) .

- فوزى ، فاروق عـ

٤٨ - الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، (لا م / ١٩٨٣م) .

٤٩ - حكام بلاد فارس والعدوان على العراق خلال العصر

العباسي ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد /

١٩٨٨م) .

- قادر ، نزار

٥٠ - الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة العربية الاسلامية منذ

تأسيسها وحتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ اطروحة

ماجستير (غير منشورة) من كلية الاداب ، جامعة الموصل

١٩٨٤ .

- القزاز ، محمد صالح

٥١ - الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ،

(٥١٢ - ٦٥٦هـ) ، مطبعة القضاء ، (النجف / ١٩٧١م) .

٥٢ - الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المملوكية

، مطبعة القضاء ، (النجف / ١٩٧٠م) .

- كحالة ، عمر رضا

٥٣ - معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، نشر

مكتبة المتن ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت / ١٩٥٧م) .

- لباد ، ميشيل

٥٤ - الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بصيف ، ط ١ ، مطبعة

الاتحاد ، (لا م / ١٩٦٢م) .

- محمود ، حسن سليمان

٥٥ - تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي ، ط ١ ،

(بغداد / ١٩٦٩م) .

— معروف ، ناجسي

- ٥٦— المستنصرية واحداثتها وتطور الدراسة الى جامعة
اطريحة دكتوراة (غير منشورة) من كلية الاداب ،
جامعة القاهرة / ١٩٧١م .
- ٥٧— اصالة الحضارة العربية ، ط ٣ ، دار الثقافة ، (بيروت ؛
١٩٧٥م) .
- ٥٨— تاريخ علماء المستنصرية ، ج ٢ ، مطبعة العاني ، (بغداد /
١٩٦٥م) .
- ٥٩— حياة اقبال الشرايبي ، ط ١ ، مطبعة الارشاد ، (بغداد /
١٩٦٦م) .
- ٦٠— المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، ط ١ ، مطبعة العاني ،
(بغداد / ١٩٦٠م) .
- ٦١— علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي ، ط ١ ، مطبعة
الارشاد ، (بغداد / ١٩٧٣م) .
- النقشبندی ، ناصر السيد محمود
- ٦٢— الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، مطبعة الرابطة ،
(بغداد / ١٩٥٣م) .
- اليافي ، عمر ابو نصر
- ٦٣— قلعة البوت ، ط ١ ، دار الاحد ، (بيروت / ١٩٤٥م) .
- اليوزكي ، توفيق سلطان
- ٦٤— الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (١٣٢-١٤٧)
ط ٢ ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، (جامعة الموصل ،
١٩٧٦) .

د — المراجع الاجنبية المترجمة

— ارنولد ، الصير توماس

- ١— الخلافة تاريخ الحضارة الاسلامية حتى اخرا العهد العثماني
سلسلة ١٧ ، مطبعة المعارف ، (بغداد / ١٩٥٦م) .
- بروي ، ادوار
- ٢— تاريخ الحضارات العام ، ترجمة يوسف اسعد دافروفريد م .
داغر ، مج ٣ ، ط ١ ، (بيروت / ١٩٦٥م) .

- جب ، هاملتون
- ٣ — دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة ، احسان عباس
واخرون ، (بيروت / ١٩٦٤ م) .
- دوزي ، رينهارت
- ٤ — المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة ،
اكرم فاضل ، (بغداد / ١٩٧١ م) .
- كاهن ، كلود
- ٥ — تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة بدر الدين القاسم ،
مج ١ ، ط ١ ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، (بيروت /
١٩٧٢ م) .
- كوك ، رينجار
- ٦ — بغداد مدينة السلام ، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد ،
ج ١ ، ط ١ ، مطبعة شفيق ، (بغداد / ١٩٦٢ م) .
- لسترنج ، كسى
- ٧ — بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة ، بشير فرنسيس وكوركيس
عواد ، مطبعة الرابطة ، (بغداد / ١٩٥٤ م) .
- لويس ، برنارد
- ٨ — الدعوة الاسماعيليه ، ترجمة ، سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر
(بيروت / ١٩٧١ م) .
- هنتس ، فالتس
- ٩ — المكييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام
المتري ، ترجمة ، كامل المعلي ، مطبعة القوات المسلحة
الاردنية ، (عمان / ١٩٧٠ م) .

- ١- بطاينة ، محمد ضيف الله : الجيش الاسلامي نشأته وتطوره ،
مجلة المشرق العربي ، العدد ٣٣ السنة ١٣ بغداد / ١٩٨٢ م .
- ٢- التكريتي ، محمود ياسين : الايوبيين في اليمن تاريخهم السياسي
من ٥٦٩ هـ - ٦٢٦ هـ ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ١٢ ،
جامعة الموصل / ١٩٨٠ م .
- ٣- جواد ، مصطفى : العملة والمعاملة والقراضه ، مجلة غرفة تجارة بغداد
العدد الخامس السنة ٤ ايار ، بغداد / ١٩٤١ .
- ٤- جواد : الفتوة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين ،
مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٥ ، مطبعة المجمع العلمي
العراقي ، بغداد / ١٩٥٨ م .
- ٥- جواد : الفتوة والفتيان قديما وحديثا ، مجلة لغة العرب ، مج ٨ ،
ج ٤ ، السنة ٨ ، بغداد / ١٩٣٠ م .
- ٦- جواد : المدرسة المستنصرية ، مجلة سومر ، ج ١ - ٢ ، مج ١٤ ،
بغداد / ١٩٥٨ م .
- ٧- الحسيني ، محمد باقر : نقود الخليفة العباسي المستنصر بالله
مجلة المسكوكات ، العدد ٨ - ٩ دار الحرية ، بغداد / ١٩٧٧ -
١٩٧٨ .
- ٨- الدوري ، عبد العزيز : نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ،
مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، مج ١ العدد ١ ، مطبعة
العاني ، بغداد / ١٩٥٩ م .
- ٩- سوسة ، احمد : الفيضانات وفرق بغداد في العصر العباسي ،
مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ١٠ ، مطبعة المجمع العلمي
العراقي ، بغداد / ١٩٦٢ .
- ١٠- بصرى ، صبر : العراق طريق تجارى عالمي ، مجلة غرفة
تجارة بغداد ، العدد ٨ السنة ٣ ، بغداد / ١٩٤٠ .

- ١١- العميد ، طاهر مظفر : دور المدارس الاثرية في التعليم في العصر العباسي ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١ ، ١٩٥٩ م .
- ١٢- غنيمة ، يوسف : صناعات العراق في عهد العباسيين ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، ج ٨ ، السنة ٤ ، بغداد / ١٩٤١ م .
- ١٣- فوزي ، فاروق عمر : نشأة الجيش النظامي في الاسلام وتطوره حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، (وقائع ندوة النظم الاسلامية) ، (ابو ظبي / ١٩٨٤ م) .
- ١٤- الفيل ، محمد رشيد : الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد اثناء الحكم الالخاني ١٢٥٨ - ١٣٣٦ هـ ، مجلة كلية الاداب ، العدد ٦ ، مطبعة العاني ، (بغداد / ١٩٦٣ م) .
- ١٥- المشنداني ، محمد جاسم والنقشبندی ، اسامة ناصر : المستنصرية في التاريخ ، بحوث الندوة العلمية للمستنصرية " لا مدرسة وجامعة " التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب فسي بغداد بالاشتراك مع الجامعة المستنصرية .
- ١٦- معروف ، ناجي : خزانة المستنصرية ، مجلة الاقلام ، ج ٤ ، السنة الثانية ، كانون الاول / ١٩٦٥ م .
- ١٧- الفكر المعكرى عند العرب ، مجلة المورد (عدد خاص) ، مج ١٢ ، العدد ٤ ، ١٩٨٣ م .

دائرة المعارف الاسلامية

- ١- زمبار : مادة (حبة) ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج ٧ .
- ٢- شترك : مادة (بطيخة) ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج ٣ .
- ٣- لسترلي : مادة (بغداد) ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج ٤ .
- ٤- CL . Caben : Art . " Putuwwa " Encyclopaedia Of Islam , New Edition , Leiden , 1965 .

((تظهير الخليفة المستنصر بالله للملك الكامل))

الحمد لله الذي اطمأنت القلوب بذكره ، ووجب على الخلائق جزيل
 حمده وشكره ، ووسعت كل شيء رحمة وظهرت في كل أمر حكمته ، ودل على وحدانيته
 بعجائب ما أحكم صنعا وتدييرا ، وخلق كل شيء بقدره وتقديره ، مدد للشاكرين بنعمائه
 التي لا تحصى عددا ، وعالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه أحدا ، لا يعقب لحكمه نسي
 الأبرام والنقض ، ولا يفوت حفظ السموات والأرض ، تعالى أن يحيط به الضير ، وجل أن
 يبلغ وصفه البيان والتفسير ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .
 وأحد الله الذي أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا
 إلى الله يادنه وسراجا منيرا ، وابتعثه هاديا للخلق ، وأوضح به مناهج الرشد وسبل الحق ،
 واصطفاه من أشرف الأنساب وأعز القبائل ، وجعله أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل ، فقد
 صلى الله عليه وسلم بالحق على الباطل ، وحمل الناس بشرعته على المحجة البيضاء
 والسنن العادل ، حتى استقام أعوجاج كل رافع ، ورجع إلى الحق كل حائد عنه ومائل ،
 وسجد لله كل شيء تنقيا ظلالة على البين والشمالك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
 الكرام الأفاضل ، صلاة مستمرة بالفدوات والأصائل ، خصصا على عبده وصنوابيه العباس
 بن عبد المطلب الذي اشتهرت مناقبه في المجامع والمحافل ، ودرت ببركة استمقائه أخلاق
 السحب الهواطل ، وفاز من تنصيب الرسول صلى الله عليه وسلم في الخلافة المعظمة
 بما لم يفز به أحد من الأوائل .
 والحمد لله الذي حاز موارث النبوة والامامة ، ووفر من جزيل الأقسام من الفضل
 والكرامة ، لعبد وخليفته ، ووارث نبيه وصحي شريعته وسنته .
 ولما وفق الله نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة
 المشهورة ، والخدم المشكورة ، أنعم عليه بتقليده شرفا مائيا ، فقلده على خيرة الله
 الرعاية والصلاة وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضباع والصدقات والجوالي
 وسائر وجوه الجبايات والقروض والعطاء ، والنفقة في الأولياء والمظالم والحسبه في بلاد ،
 وما يفتتحه ويستولي عليه من بلاد الفرنج الملايين ، وبلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة
 بقصد من المارقين عن الإجماع المنعقد بين علماء المسلمين ، ومنه أمره بتقوى الله تعالى
 التي هي الجنة الواقية ، والنعمه الباقية والعلج المنيع ، والعماد الرفيع ، والذخيرة النافعة
 في السر والنجوى ، والجذوة المحترقة من قوله تعالى : (وتوودوا فان خير الزاد التقوى)

وأن يدرع شعارها في جميع الأقوال ، ويهتدى بأنوارها من مشكلات الأمور والاحوال ،
وأن يعمل بها شرا وجهرا ، ويشرح للقيام بحدودها الواجبه صدرا ، قال الله تعالى :
(ومن يتسق الله يكفر عنه سيئاته ويمظم له أجرا) وأمره بتلاوة كتاب الله تعالى ،
متدبرا غواضا عجائبه ، سالكا سبيل الرشاد ، وللهداية في العمل به ، وأن يجعله مثالا يتبعه
وقفيه ، ودليلا يهتدى به راشده الواضحة في أوامره ونواهيه ، فانه النقل الاعظم ، وسبب
الله المحكم ، والدليل الذي يهتدى للتي هي أقوم ، ضرب الله فيه لعباده جوامع الامثال ،
وبين لهم بهداه مسالك الرشد والضلال ، وفرق بدلائله الواضحه ونواهيته الصادقة بين
الحرام والحلال ، فقال عز من قائل : (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال
تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبر آياته وليتذكر أولوا الالباب) .

وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين
الخشوع والاخبات ، وأن يكون نظره في موضع نجواه من الارض وان يمثل لنفسه في ذلك موقفه
بين يدي الله تعالى يوم العرض ، قال تعالى (والذين هم في صلاتهم خاشعون) وقال
سبحانه (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) ولا يشتغل بشاغل عن أداء فرضها
الواجبة ولا يلهو بسبب عن اقامة سنتها الراتبه فانها عماد الدين التي ست أعاليه ،
ومهاد الشرع الذي رست قواعد ومبانيه ، قال تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) .
وأمره أن يسعى الى صلاة الجيع والاعياد ويقوم في ذلك بما فرضه الله عليه وعلى
العباد ، وأن يتوجه الى المساجد والجوامع متواضعا ، ويبرز الى الصلوات الضاحية فسي
الاعياد خاشعا ، وأن يحافظ في تشييد قواعد الاسلام على الواجب والسندوب ويعظ باعتداله
ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب .

وأن يشمل بوافر اهتمام واعتناء ، وكمال نظره وارطائه ، بيوت الله التي هي
محال البركات ، وموطن العبادات ، والمساجد التي تأكد في تعظيمها واجلالها حكمه ،
والبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وأن يرتب لها من الخدم من يهتم لازالة
أدناسها ، ويصدي لاذكاء صابيحها في الظلام وايئناسها ، ويقوم لها بما يحتاج اليه
من أسباب الصلاح والعمارات ، ويخضر اليها ما يلبق من الدهن والكسوات .

وأمره باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوضح جردها ، وثقف عليه
السلام أروها ، وأن يعتد فيها على الاسانيد التي نقلت الثقاف ، والاحاديث التي صحت
بالطرق السليمة والروايات ، وأن يقتدى بما جاءت به من مكارم الاخلاق التي تدب صلى الله
عليه وسلم الى القسك بسببها ، ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بأدبها ، قال الله

تعالى : (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال سبحانه وتعالى
(من يطع الرسول فقد اطاع الله) .

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين ، وأولى الاخلاص في طاعة الله واليقين
والاستشارة بهم في عوارض الشك والالتباس ، والعمل بآرائهم في التثبيل والقياس ، فان
في الاستشارة بهم عين الهداية ، وآمناً من اللضلال والغواية ، والا يلقح عقم الافهام والالباب
ويقتح زناد الرشد والصواب ، قال الله تعالى في الارشاد الى فضلها والامر في التمسك
بحبليها : (وشاورهم في الامر) .

وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثغوره ، وأن يشملهم بحسن نظيره
وجبيل تدبيره ، مستصلاً شأنهم بادامة التلطف والتعهد مستوضحاً أحوالهم بمواصلة
التفحص عنها والتفقد ، وأن يحوسهم بسياسة تبعث على سلوك المنهج السليم ، ويهد بهم
في انتظامها واتساقها الى الصراط المستقيم ، ويحملهم على القيام بشرائط الخدم
والتمسك منها بأقوى الاسباب وامتن العصم ، ويدعوهم الى صلحة التواصل والائتلاف
ويصد هم عن موجبات التخاذل والاختلاف ، وأن يعتمد فيهم شرائط الحزم في الاعطاء
والمنع ، وما تقتضيه صلحة احوالهم من اسباب الخفض والرفع ، وأن يثيب المحسن منهم
على احسانه ، ويثيب على المسيء ما وسعه العفو واحتفل الامر ذيل صفحه وامتنانه
وأن يأخذ برأى ذوى التجارب منهم والحنكة ، ويجتنى بشاورتهم شر البركة ،
اذ في ذلك أمن من خطا الانفراد ، وتزحزح عن مقام الزيف والاستبداد .

وأمره بالتبطل لما يليه من البلاد ، ويتصل بنواحيه من ثغور أولى الشوك والمعناد
وأن يصرف مجامع الالتفاف اليها ، ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها ، وأن
يشمل ما ببلاده من الحصون والمعازل بالاحكام الاتقان ، وينتهي في اسباب صالحها
الى غاية الوسع والامكان ، وأن يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر ، ويدها من الاسلحة
والالات بالعدد المستلح الوافر ، وأن يتخير لحراستها من الامناء الثقات ، ويدها
بمن ينتخبه من الشجعان الكماة ، وأن يؤكد عليهم في استعمال اسباب الحيطه والاستظهار
ويوقظهم الى الاحتراس من غوائل الغفلة والاغتراس ، وأن يكون المشار اليهم ممن تربوا في
في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد ، وتدريبوا في نصب الحبال للشركين والاخذ
عليهم بالمراسد ، وأن يعتمد هذا القليل بمواصلة المدد ، وكثرة العدد ، والتوسعة
في النفقة والمطاء ، وللمعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التصير والعناء

اذ في ذلك خمس لئلا يطاع في بلاد الاسلام ، ورد لكيد المعاند من عبدة
الاصنام ، فمعلوم أن هذا الفرض أولى ما وجهت اليه العناية وصرفت ، وأحق ما قصرت
عليه الهم ووقفت ، فان الله تعالى جعله من أهم الفروض التي لزم القيام فيها بحقه
وأكبر الواجبات التي كتب العمل بها على خلقه ، فقال سبحانه وتعالى هادي في
ذلك الى سبيل الرشاد ، وبحر ضا لمباد ، على قيامهم له بفرض الجهاد : (ذلك بأنهم
لا يصيبهم ظمأ ولا نصب . . .) ، الى قوله تعالى : (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)
وقال تعالى : (وأقتلوهم حيث تقتلوههم) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " من
نزل منزلا لا يخيف فيه المشركين ويخيفون ، كان له كأجر ساجد لا يرفع رأسه الى يوم القيامة
وأجر قائم لا يقعد الى يوم القيامة ، وأجر صائم لا يفطر " ، وقال صلى الله عليه وسلم
: " غداة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس " ، هذا عليه السلام
: " ألا أخبركم بخير الناس ! معك بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هبة طمار
اليها " .

وأمره باقتفاء أوامر الله تعالى في رعاياه ، والاهتداء الى رعاية العدل والانصاف
والاحسان بمراشده الواضحة ووصاياه ، وأن يسلك في السياسة بهم سبيل الصلاح ويشلهم
بلمين الكتف وخفض الجناح ، ويعد ظل رعايتهم على مسلمهم ومعاهدتهم ويزحزح الاقضاء
والشوائب عن مناهلهم في العدل ومواردهم ، وينظر في مصالحهم نظرا يساوي فيه بين
الضعيف والقوى ، ريقم بأودهم قبالا تهتدي به ويهديهم الى الصراط السوي ، قال
الله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان . . .) الآية .

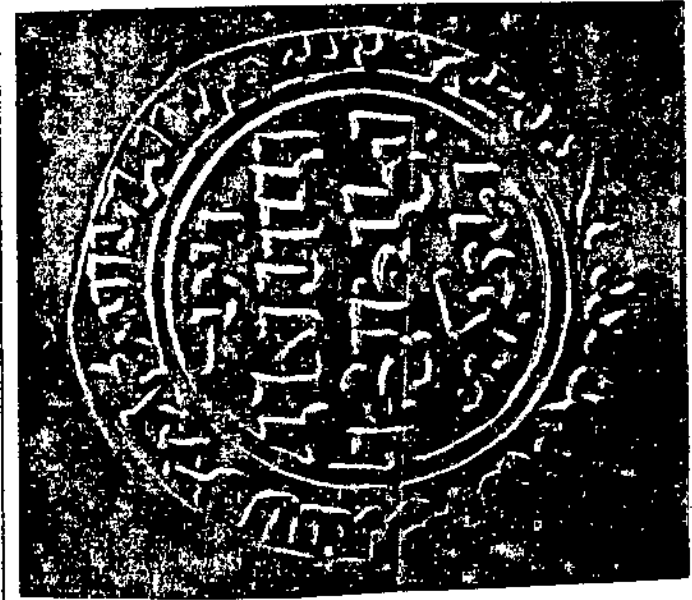
وأمره باعتماد أسباب الاستظهار والامنة واستقصاء الطاقة المستلطة والقدرة
الممكنة ، في المساعدة على قضاء ثقت حجاج بيت الله الحرام ، وزوار نبيه عليه افضل الصلاة
والسلام ، وان يمد لهم بالاعانة في ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ البرام ، ويحرسهم من
التخطف والأذى في حالتي الظعن والبقام ، فان الحج أحد اركان الدين المشددة ، وفرضه
المشددة الواجبة المؤكدة ، قال تعالى : (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا) .

وأمر بتقوية أيدي العالمين بحكم الشرع في الرعايا ، وتنفيذ ما يصدر عنهم من
الأحكام والقضايا ، والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوي الاستحقاق ، والشد على أيديهم
فيما يروونه من المنع والاطلاق ، وأنه متى تأخر أحد الخصمين عن اجابة داعي الحكم
أو اتقا من في ذلك لما يلزم من الاداء والغرم ، جذبه بعنان القصر الى مجلس الشـمسـرع
وأضطره بقوة الأنصار الى الاداء بعد المنع ، وأن يتوخى حال الوقوف التي تقرب المتقربون
بها ، واستمسكوا في ظل ثواب الله بمتين سببها ، وأن يمد لهم بجمل المعارنة والمساعدة

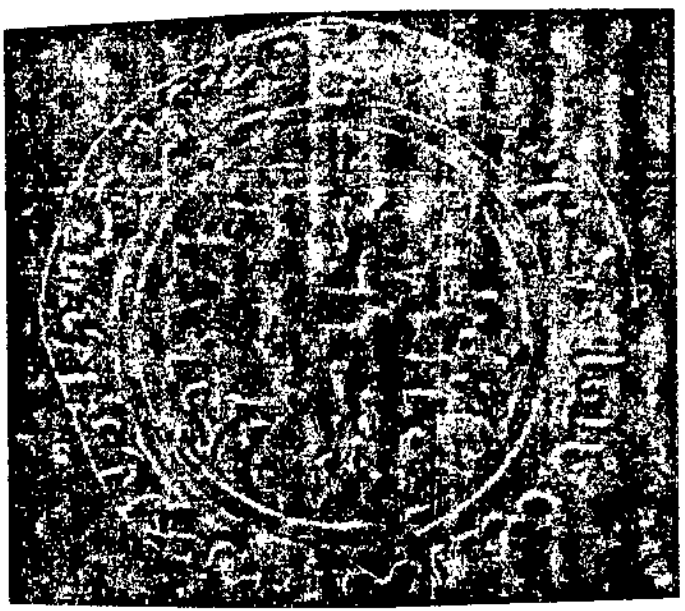
وحسن البررة والمعاضدة * في الأسباب التي توهن بالعمارة والاستثناء * ويعود
عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء * قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) .
وأمره أن يتخير من أولى الكفاية والنزاهة من يستخلصه للخدم والأعمال ، والقيام
بالواجب * من أداء الأمانة والحراسة والتبليغ لبيت المال * وأن يكونوا من قوى الاطلاع
بشروط الخدم المعينة وأمورها * والمهتدين الى مسالك صلاحهم . (١)

(١) السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة * تحقيق * محمد ابو الفضل
ابراهيم * ج ٢ * دار احياء الكتب العربية * (لا م / ١٩٦٨) *
ص ٢٥ - ٣٢ .

ملحق رقم - ٢ - : نماذج لفقرات الوصية وبها موصيات هذبة من عهد الخليفة المستنصر بالله .
« لفقرات الوصية من الكمال اللبني »



صورة رقم - ٢ - : نقش الفاتح ;
الوسط : الوصية - الكمال اللبني - المكتبة العامة - مكتبة ابن أبي بكر
الوسط : لاداة ابن الله - مكتبة رسول الله - مكتبة أم المؤمنين
درجتي الحق لسيده علي الدين كله .



صورة رقم - ١ - : نقش الوجه ;
الوسط : الوصية - المكتبة العامة - المكتبة العامة - المكتبة العامة
الوسط : المكتبة العامة - المكتبة العامة - المكتبة العامة - المكتبة العامة
سنة ١٢٠٠ هـ - المكتبة العامة .

١١) لقورد ساجوونيتي حذيت في عصر الخليفة السني باللات ، حذيت لقوونيتي ساجوونيتي وثلوثين وحذيتي «



صورة رقم - ٤ - تمك الخلف : « السالمان الوظم
غيات الدين كينفسر بن كينفسر »



صورة رقم - ٣ - تمك الوجه : « الدمام السني باللات
أسير الوينين » .

• ١٨٨٠ هـ طبعات الملك العزيز الممدود ، بحدت / ١٨٨٠ هـ

1

A B S T R A C T

The Era of the Caliph Al- Mustansir
Billah - (623 A.H /1226 A.D - 640 A.H/
1242 A.D).

٢٨٤٥٩٨

Al Mustansir Billah came to the office after thirty five calips . His rule as a caliph started from (623A.H/1226 A.D - 640 A.H/1242 A.D) . This period , infact , was called by so many historians as (the caliphate revival) or the (last awakening). The time of his rule had witnessed no troubles but relative calmness inspite of the outside danger represented by the (Maghol) As long as the caliph at the office , this danger accompanied him but this didnt prevent him from achieving so many things like (the school of Al - Mustansiriya) Which was the most prominent one since little has been written about his great achievements or some times neglected by historians , this study deals comprehensively with the life of the Calphe Al - Mustansir billah, the social state during his time , his achievements and some other important things starting from the time of ruling the state as the caliphe up to his death .

This study contains five chapters : The First chapter is an introductory one ; and it is a biography

Of the caliph which includes: his name , his title , his lineage with an indication to his sons and wife as well as other qualities for example , his piety , his hospitability and his cultural and scientific cares . This chapter finishes with his death and its ambiguities and the way in which his son Ahmad who was named Al - Musta'asim Billah was crowned as a new caliph after his father .

The Second chapter deals with the political status during his time and studies the relationship between the caliphate with its positive or aggressive nature and the outside dangers . It also deals with the relationship between the caliphate and the countries in the west as Morocco , Andalusia , Mecca , Medina , Yaman as well as the countries in the north as (the Ayoubiin) in egypt , in Sham , in Mosul (Emirate and Salajikat Al - Room . The relation ship between the caliphate and the countries in the east is also discussed , The Maghals for example. The attacks of those people against the caliphate and the resistance of the caliph to stop them are also mentioned . An indication to the relationship between the caliphete and (the state of khawarizim) is obvious which expresses unnatural relation ship with the caliphate until it has been

destroyed by the Maghol in 628 A.H /1230 A.D .Another relationship can be seen between the caliphate and the movement of Al-Ismailiyya (Al - Nazariyya) . The position of this movement toward the caliphate at that time until the crushing of this movement by Holako in (654 A.H /1206 A.D) is also mentioned .

The Third chapter deals with the economic aspect in the state of the caliph Al - Mustansir Billah. It includes the agriculture and what are related to it like irrigation in Tigris and Uphrates , It also deals with the land ownership and the feudal system as well as agricultural crops during that time . In this study there is an indication to the industry like weaving producing soaps , papers dyeing and the industry of gold . It also deals with trade and its ways whether on land or sea with an indication to the commercial centres , which are famous due to their commercial activity .

The fourth chapter deals with the administration during the time of the caliph of Al - Mustansur Billah with indication to the most important posts in the state like Ministry , Justice , Prominent Dawaween , Municipality and courts . It also deals with the Army which is of great importance as well as the roles and influence of some army officers in policy of the state and their interference

in the caliphate affairs .

The fifth chapter deals particularly with the role of the caliph Al - Mustansir and influence and encouragement to culture and science . It also studies but in brief the reasons behind building (The school of Al Mustansiryia) . This school has been paid great attention by the caliph . Furthermore , the relationship between the Caliph and his prudent and pious has been mentioned . Since the caliph is very pious he looks after religious achievements in the state . As for (Futiwa),

a name of the army during the time of the caliph . So, he did utmost to develop it and he tried to spread this power outside Iraq borders . because it was the best way to protect Islam and its unity against the danger of Moghols which exceedingly increased at that time .